نفحات

من نور القرآن

فوزى محمد أبو زيد

الجزء الأول

مطبعة ستراند الحديثة



بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله الذى أنزل القرآن، وفجّر منه أنهار المعانى والبيان، فى قلوب أهل التقى والعرفان، ليهتدوا بهديه فى كل ما عنّ لهم من علل فى أنفسهم؛ أو أحداث ينوء بها كاهل بنى الإنسان، والصلاة والسلام على من أنزل الله عز وجل عليه القرآن هدى ورحمة لأهل الإيمان سيدنا ومولانا محمد وآله آل القرآن وصحابته خاصة المقربين لحضرة الديان، وكل من اتبعهم فى العمل بأحكام القرآن فى كل زمان ومكان إلى يوم لقاء حضرة الرحمن... آمين

وبعد

هذه صفحات من نور القرآن، شممنا عبيرها، واستنشقنا أريجها على مائدة القرآن التى يدعو إليها نبينا الكريم جميع أهل الإيمان فيقول ﷺ: «**القرآن الكريم مأدبة الله عز وجل فى الأرض**». هذه المائدة التى جمعت مكارم الأخلاق، وكوامل المعاملات، وأشمل التقنينات، وأصح الاعتقادات، بالإضافة إلى وصف شامل لكل العلل الإنسانية، والأمراض الإجتماعية، والأدواء البشرية، ووضع تذكرة شفاء لكل داء تنحنى لها رؤوس جميع الأطباء والعلماء تقديراً وتكريماً وكيف لا؟! وقد أنبأنا الله عز وجل عن ذلك فقال: ﴿**وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين**﴾ ومن يتدبر

فى كلام الله يجد أنه وَصَفَ علاج القرآن بأنه (شفاء) ولم يصفه بأنه (دواء) وذلك لأنه شفاء محقّق لا ريب فيه، بل لا يحتاج إلى التجارب للتصديق به والاعتقاد فيه، لكن الدواء يحتمل أن يحقق الشفاء، ويحتمل أن يزيد الداء.

ومن هنا فإننا نعتقد تام الاعتقاد أنه لا شفاء للبشرية من مشاكلها الكثيرة التى تفاقمت فى هذا العصر إلا باختيار منهج القرآن والسير على الأسس التى وضعها القرآن للحياة الإنسانية فأصول المعاملات الدولية فى الإسلام هى وحدها الكفيلة بفض كل المنازعات بين الدول والشعوب بعد أن عجزت هيئة الأمم المتحدة والدول الكبرى عن حل هذه المشكلات لاتباعهم الهوى، وسيطرة النزعات العرقية، والعصبية الجاهلية على تصرفاتهم.

والقواعد الاقتصادية الإسلامية لا ولن تجد البشرية بديلاً لها يفك أسرها من غوائل الربا، ويقضى على التضخم والبطالة والفقر ويضمن للبشر جميعاً الهناءة والرخاء، لأن الإسلام وحده هو الذى يقتلع الأثرة والأنانية والشح والأحقاد من النفوس، ويزرع مكانها الحب والإيثار والشفقة والرحمة وعلى هذه القيم وليس على اللوائح والقوانين الوضعية صلاح الأحوال الاقتصادية العالمية وكذلك لن يشفى الأفراد من الأمراض العصبية، والعقد النفسية، والنزاعات والخلافات الشخصية إلا خضوعهم لقواعد التعامل الحياتية الإيمانية، والتزامهم بالآداب السلوكية الإسلامية وهكذا لا يبحث فرد أو جماعة، أو أمة أو دولة عن حل سليم ومستقيم لأى مشكلة تواجههم إلا ووجدوا هذا الحل مبسوطاً فى كتاب الله وهذا سر قول الله عز وجل: **﴿قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما فى الصدور﴾** [سورة يونس: الآية ٥٧].

فالذى خلق الخلق وكوّن الأكوان أعلم بما يصلحهم فى كل زمان ومكان وإنى أعجب للإنسان كلما استخدم آلة من صنع بنى الإنسان، قرأ (كتالوجها) بإمعان، ونفّذ كل ما فيه بدون توان حتى يحافظ على هذه الآلة من التلف والخسران، فإذا أصابها عطب رجع للتعليمات الخاصة بهذا الشأن ونفّذ كل ما فيها بإتقان.

هذا الإنسان خلقه الرحمن، وسخّر له كل شيء فى الأكوان، وجعله وحده الدّرة اليتيمة المرادة لحضرة الرضوان، ومن حدبه عز وجل عليه، وحرصه وشفقته وحنانته به جعل له هذا الكتاب ليستعين به فى عالم الأسباب، وبيّن له فيه كل ما يحتاجه، وفصّل له فيه الأدوار، وشرح له كيفية تعامله فى كل طور من الأطوار سواء مع نفسه أو مع أهله، أو مع المحيطين به فكان كما قال الله عز وجل فى شأنه: **﴿لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها﴾** [سورة الكهف: الآية ٤٩].

وإذا كان الإنسان قد التفت عن (كتالوج) الرحمن، لما أصابه من شرك وكفران، فأى عذر لأهل الإيمان؟.

فمن أراد الهناءة والعافية الجسدية والنفسية فعليه بالالتزام بمنهج الحياة الإيمانية فى القرآن، ومن أراد السعادة فى الدار الآخرة فليتخلق بأخلاق القرآن، وليجعل سعيه وعمله لرضا حضرة الرحمن، وقد نصّ على ذلك كله فقرة واحدة من دستور الحنان المنّان يقول فيها عز وجل واعداً أهل الإيمان: **﴿من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون﴾** [سورة النحل: الآية ٩٧].

ولما كان هذا دستورنا ومنهجنا فقد تفضل الله عز وجل علينا -وإن كنا لسنا أهلاً لذلك- بإخوة أحباب نلتقى بهم فى مدنهم وقراهم؛

على مائدة كتاب الله، فيتم اللقاء فى بيت الله ويبدأ بتلاوة آيات من كتاب الله، ثم نأخذ فى شرحها وتفسيرها على قدرهم بحسب ما يفتح به الله عز وجل، ومن فضل الله عز وجل علينا، ومن بركة القرآن علينا أن ما يتفضل به الله علينا من شرح للآيات القرآنية يكون غالباً هو الشفاء للمشكلات الإجتماعية والأمراض المعنوية التى يشكو منها الحاضرون، فيزيد إيمانهم، ويربو يقينهم، ويزداد تعلقهم بمنهج الله عز وجل وهذا الكتاب ثمرة إحدى هذه الزيارات وقد كان تجوالاً فى بعض مدن وقرى محافظتى المنيا وبنى سويف فى صيف سنة ألف وتسعمائة وثلاث وتسعين وقد سجل الأحباب هذه اللقاءات وقام الإخوة الصادقون من جماعة آل العزائم بمغاغة محافظة المنيا بنسخ بعض دروسها وقام الأخ الفاضل الحاج محمود عبد الملك الأمين الأول للمعامل بمدرسة مغاغة الثانوية للبنين بكتابتها.

وقد طلب منى الإخوة الكرام أهل هذه البلاد الإذن بطبعها بعد مراجعتها فأذنت لهم بذلك حسبة لوجه الله عز وجل، وذلك بعد مراجعتها وتخريج آياتها وأحاديثها وإن كنا آثرنا أن تبقى كما هى حيث أنها كانت لقاءات عامة ونحن حرصاً على استفادة الجميع نجعل الحديث على حسب أغلبية الحاضرين فإن كان غالبيتهم مثقفين جعلنا الحديث بالعربية الفصحى، وإن كان غالبية الحاضرين من العوام جعلنا الحديث بالعامية، وقد قال فى ذلك ﷺ: « **أمرت أن أخاطب الناس على قدر عقولهم** » [رواه الديلمى عن ابن عباس رضى الله عنهما].

فمن وجد فى هذا الكتاب شيئاً من الألفاظ العامية، أو الأسلوب العامى فليلتمس لنا العذر فى ذلك فهذا الكتاب ليس تأليفاً، وإنما هو جمع لأحاديث متفرقة صيغت بأسلوب وقتها، مع مراعاة درجة ثقافة حاضريها ومستمعيها.

والله أسأل أن يجازى عنى إخوانى الذين جمعوا هذه الدروس وكتبوها وراجعوها وطبعوها ونشروها خير الجزاء بمغفرة ورضوان وخير فى الدنيا والآخرة.

كما أسأله سبحانه أن يجعلها خالصة لوجهه الكريم وأن ينفع بها كل من قرأها أو سمعها أو اطّلع عليها، وأن يغفر لى ما وقع فيها من خلل أو سهو أو خطأ فإنى عبد خطّاء عجول جهول وأناجيه بما أناجيه به دائماً فأقول:

يظن الناس بى خيراً وإنى

لشر الناس إن لم تعفو عنى

﴿ ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين﴾ [سورة الأعراف: الآية٢٣].

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

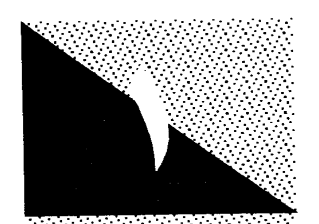
عصر الخميس الموافق: ٢٢ من ذى الحجة ١٤١٤هـ / ٢ من يونيو ١٩٩٤م

العُبَيْد الظّلُوم الجَهُول

فوزى محمد أبو زيد

الجميزة - غربية

ت ٤٨٠٥١٩ الجميزة



مجتمعنا في مصحة الإيمان

★ شفاء المؤمن
★ أمراض القلوب وعلاجها
★ القلب السليم
★ مرض الكبر
★ علامة رضا الله عن العبد
★ حكمة الله في ابتلاء المؤمن
★ مرض الشح
★ علاج أمراض المجتمع

كان هذا الدرس بمسجد ميّانة الكبير ـ مركز مغاغة ـ محافظة المنيا بعد صلاة العشاء من يوم الأحد ١٩٩٣/٧/٤م

مجتمعنا فى مصحة الإيمان

الأول: أرجو أن تسامحونا على التأخير لأننا قصدنا أن نأتى على صلاة المغرب وأنتم انتظرتم فأصبح هذا حقكم عندنا ـ فلو قدمتم فينا ورقة صغيرة إلى الله ستأخذون حقكم لكن أنتم أهل السماح فسامحونا لأن الذى منعنا عذر قاهر. بارك الله فيكم أجمعين.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى جمعنا على هداه، والشكر لله الذى واجهنا وجعل لنا موضعاً فى ملأه الأعلى يشهده ملائكة الله فى سمواته فى هذا الوقت والحين فضلاً من الله ونعمة والله عليم حكيم.

والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد بن عبد الله، الذى هدانا الله به بعد الضلالة وعلمنا به بعد الجهالة، وجمعنا به بعد الفرقة، وأعزّنا به بعد الذلة، صلوات الله وسلامه عليه، صلاة ننال بها رضاه، ونرزق بها متابعته حتى نلقى الله، ونحن فى أبهى حلل الشوق إلى لقاء حضرة الله آمين، أجمعين، يا رب العالمين... وبعد:

بعض إخواننا سألنى فقال: من عشرين سنة أو ثلاثين سنة ونحن صغار كان الخير بسيط والأرزاق والأقوات قليلة، لكن كان الناس فى صحة، ولا يوجد أمراض بل ربما لم يكن يذهب أحد من أهل ميّانة للطبيب فى مغاغة إلا كل ثلاثة أو أربعة أشهر مرة، والذى يذهب للطبيب كانت البلد كلها تسمع به ويذهبون لزيارته لأنه ذهب إلى الطبيب، ومغاغة

كلها كان فيها طبيب واحد أو اثنين، والذى يشكو من رأسه كانوا مرة يضعون له قليلاً من الماء والملح ويشفى، ومرة بوصفة أخرى ويشفى، وعندما يشتد الألم يصبح الأمر لله ويشترون له قرصين اسبرين وهذا ما كان يحدث، ثم يشفى والحمد لله.

واللحمة كانت قليلة لكن الصحة جيدة والبال رايق...

والآن الخير كثير والأرزاق وسعت، ولكن الأمراض كثرت، والحوادث أكثر، والخير مع كثرته لا يكفى فلا الخمسمائة تكفى من يأخذها، ولا المائة تكفى من يأخذها، كلنا نسمع تحليل الإذاعة والتليفزيون لهذا الأمر... لكن نحن نريد تحليل كتاب الله وتحليل سنة رسول الله ﷺ لأنهما هما الشفاء **﴿وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين﴾** [سورة الإسراء: الآية ٨٢].

شفاء المؤمنين

نقول له: المؤمنون شفاؤهم ورحمتهم من القرآن، وليس من لندن أو باريس أو واشنطن وإنما من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، ويحضرنى فى هذه المناسبة ما حدث فى الستينيات عندما احتارت الحكومة فى تخطيط القاهرة، وأحضروا لجنة من ألمانيا - وجاء هذا الكلام فى الصحف- لكى ينظّموا القاهرة لتيسير حركة الناس فى الشوارع والطرقات وكان الخبراء أذكياء فطلبوا الاستماع لرأى الخبراء الذين عندنا من أهل الاجتماع ليعرفوا ماذا يقولون؟ وأهل الاقتصاد وماذا يقولون؟ وأهل السياسة وماذا يقولون؟ فسأل أحد الخبراء قائلاً: أنتم تقولون إن الإسلام به منهج؟ قالوا: نعم، قال: فلماذا لم تحضروا إلينا أهل الدين يقولون لنا ما رأى الإسلام فى هذا الأمر؟ فأحضروهم وأجابهم أهل الدين بوجهة نظر الإسلام

فتعجب الخبراء قائلين: إذا كان عندكم هذا الحل فى الإسلام فلماذا تستدعوننا إذاً؟ أين الحلول؟ الحلول فى الإسلام، وفى هدى سيدنا رسول الله ﷺ.

فمثلاً الناس الذين عاشوا قبلنا لما تعلم اخواننا الشباب وتنوروا بدأوا ساعة يسخرون منهم، وساعة يستهزءون بهم ويقولون لهم: أنتم لا تعلمون شيئاً فتعلّموا.

وهم صحيح كانوا لا يعرفون الحساب والانجليزى والعلوم. لكن كانوا يعرفون تعاليم الله عز وجل وهذه كفاية.

من عرف الله فلم تُغْنه
معرفة الله فذاك الشقىّ

والذى عرف الله ماذا يريد أن يعرف بعد ذلك؟ والذى عرف كتاب الله وبيان الله ماذا يحتاج بعد ذلك؟.

أمراض القلوب وعلاجها

باختصار منعاً للتطويل، الذى نحن فيه ما سببه؟ هو الأوبئة والأمراض التى صدّرها أهل الغرب وانتشرت بيننا... إنها أشد وباءً من الكوليرا وهى أمراض كانت محدودة لكنها انتشرت ولا نعلم لها علاج، فالكوليرا لها علاج والوزارة تحضر التطعيم والعلاج وتطعّم الناس.. ولكن مرض الحقد.. من الذى يستطيع أن يحضر له علاج من صيدلية ميّانة أو مغاغة؟ لا أحد لأنه لا يوجد له علاج فيها. إذن أين علاجه؟.

علاجه فى جزء صغير فى الصيدلية القرآنية: **﴿ونزعنا ما فى صدورهم من غل إخواناً على سرر متقابلين﴾** [سورة الحجر: الآية ٤٧].

هـذه صـفات المؤمنين لأن الإيمان عنـدما يدخـل القـلوب يطهـرها من هـذا المرض.

وإذا كان التعليم زاد لكن الإيمان فى القلوب قَلّ لذلك فهى مرضت، وليس مرض قلبى طبى يعالجه طبيب القلب، لا إنها أمراض القلب التى هى فى منتهى الخطـورة فهناك مثـلاً أشـياء الناس لا تلاحظها مثل: أنّ هنـا فى هذه البلدة بيوت مبنية من الطوب اللّبِن من مائة سنة وماشاء الله عايشة، وفيه بيوت مبنية من المسلح من سبع سنينَ أو ثمانية وتصدّعت وتطلب الإزالة وهذا لأنه عند بناء البيوت القديمة كان كلما مر عليه رجل قال للذى يبنى: عنّـك يا عم فـلان- الله يعينـك- ومنهـم من يساعد بنفسـه، ومنهم من يسـاعد بابنـه، أو بابنته، ومنهم من يساعد بطعام، والكل فرحان به ويريد مساعدته.

أما الذى يبنى بالمسلح الآن فيقولون عنه: من أين أتى هذا الرجل بالمال؟ وماذا فعل لكى يحصل على المال؟ إن هذه النظرات لها تأثير غريب وعجيب وأثبته الله عز وجل..

وهل النظرة تُقصّر من العمر؟ نعم! قال ﷺ: «**إن العين تُدخل الرجل القبر والجمـل القـدر**»[1]. فالرجل يذهبون به إلى القبور، والجمل يسرعون له بالسكين ليذبحوه، والأسمنت المسلح تأتى له البرومة، وهل النظرة الخبيثة تأتى بالبرومة للمسلح؟ نعم من نظرات الحقـد من المؤمنين لإخوانهـم المؤمنين، وهـل المؤمن يحسـد؟ لا... المؤمن يغبط أى يتمنى أن يكون عنده مثل أخيه، بيت مثله أو حديقة مثله أو فدان مثله، لكن يتمنى أن تزول النعـمة عنه؛ لا، لأن هذه ليست من صفات المؤمنين إنما من صفات الكافرين والعياذ بالله، والعجب أنه يفرح لما تنزل به مصيبة: كيف؟ إن معنى هـذا أنه يحتاج إلى جرّاح كبير علّمه العلى الكبير، يشرّحه ويقلع الذى فيه،

(١) رواه أبو نعيم عن جابر رضى الله عنه.

وإلا فإن الحقد سيعميه ويجعله يزلّ ويضل عن الصراط المستقيم وهو فاكر أنه ليس له مثيل فى الاستقامة والتقوى والورع، وفاكر أن الموضوع صلاة وصيام، وذكر وتهليل فحسب.

القلب السليم

لكن قبل هذه الفروض ما تفرض على رسول الله ﷺ ويأمر بها أصحابه قال لهم: تعالوا أدخلكم المستشفى الصدرية والمصحة النفسية ولا تقوموا بعبادة إلا لما الأشعة تثبت أن الصدر سليم وأن القلب مستقيم، فمكث يعالجهم إثنى عشرة سنة بنظراته لهم، لأنهم عايشوا الأمراض التى هى بيننا الآن – فالقوى كان يأكل الضعيف، والفقير يحسد الغنى، لأنه لا يعطيه، والرجل يئد البنت وهذا ما يحدث الآن عن طريق جهاز غريب يعرف نوع المولود فى البطن والرحم وإذا علم أنه أنثى يقوم الرجل بإجهاض المرأة، إذن نفس الخصال أتت ثانية وذلك لأن جرعات الإيمان والتقوية التى أمر بها النبى العدنان لا أحد يستخدمها الآن ويتعاطاها، وإنما يستخدمون (فيتوب أو سوبرافيت) وهذه تقوى الجسم فقط، أما الذى يقوى القلب فهو كلام الله وكلام سيدنا رسول الله ﷺ **﴿إلا من أتى الله بقلب سليم﴾**(٢)، فالذى يحضر للجامع.. يحضر لمن؟ لله، إذن يأتى بقلب سليم، والذى نوى الحج، قبل الذهاب وتجهيز الزاد يجهز القلب، لأنه إذا ذهب بدون تجهيز القلب ينفعل على هذا ويسبّ هذا وهذا لا ينفع، **﴿فمن فرض فيهن الحج﴾**(٢) يشترى كم رغيف ويغيّر كم ريال، لا هذا ولا ذاك، وإنما **﴿فلا رفث ولا فسوق ولا جدال فى الحج﴾**(٣)، إذن بم نتزود يا رب؟ **﴿وتزودوا فإن خير الزاد التقوى﴾**(٣).

---

(٢) سورة الشعراء: الآية ١٩.

(٣) سورة البقرة: الآية ١٩٧.

فبضاعة الإسلام والإيمان يا إخوانى الحب بين المؤمنين والودّ بين المتقين والفرح لخير المسلمين والجذع والندم لكارثة نزلت بأحد من المؤمنين والتُّقى والهدى والعفاف والخشية والطمأنينة والسكينة، إنما الحقد من أى مصنع جاء من مصنع الشيطان الرجيم، والحسد أيضاً خاص به، فقد قال الله له اسجد، قال: لا أنا أحسن منه، **﴿أنا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين﴾**[٤] وهذا مرض الكبر الذى طرد من أجله إبليس وقد انتشر الآن فعندما يجد الإنسان الحظ معه خلاص.. يمشى ويقول: «يا أرض اتهدى ما عليك أدّى».. ويقولون عند أى رأى نحن متعلمون والأب جاهل، والأم جاهلة، وهكذا نفس الأمر فأصبح الكبر مرض العصر. فيقول المرء مثلاً: أخى المؤمن الذى يسكن جارى مرض، أنا أزوره! – لا إنه عنده حق لى أو لا إنه جاهل، أو أخى المؤمن يبنى هل أقول له عنّك؟ أو أحمل معه حمله الثقيل؟.. لا يلطخ هدومى أو يشوه هيئتى... وهكذا أصابتنا عدوى إبليس اللعين والعياذ بالله.

وهذا المرض يقول فيه الخبير القرآني: مكتوب على باب الجنة –خذوا بالكم– هل كان يقرأ النبى؟ وكيف قرأ الذى على باب الجنة؟: «**مكتوب على باب الجنة لا يدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال ذرة من كبر**»[٥] ومظاهر الكبر أنه يستعظم أن يفعل ما أمره به الله مع خلق الله لغرور نفسه وهو ما انتشر بين الشباب الآن، ولا حول ولا قوة إلا بالله. أما الشيخ فقد أخذ الجرعات الإيمانية وهو صغير «**من تواضع لله رفعه**»[٦]، فأنا أتواضع لأن الله أمرنى.. وعندما كانت تأتى إحدى النسوة تطلب رسول الله ﷺ يقول

(٤) سورة ص: الآية ٧٦.

(٥) رواه مسلم عن ابن مسعود رضى الله عنهما.

(٦) رواه أحمد وابن ماجه عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنهما.

لهـا: يا أم فـلان اجلسى على أى ناحيـة من الطـريق وأنا أجلس معـك!
لا يقول لها لماذا تطلبينى فى الشارع؟ أو ليس لى بيت؟ ولا يقـول لها هل
أخـذت إذن بذلك مسبقاً؟ ولا يقول لهـا خـذى إذن من السـكرتير أولاً،
بل كانت تأتي البنت الصـغيرة أو الولد الصـغير يأخذانه من يده إلى بيتهما
ولا يعترض لأنه يعلم أنهم يأخذونه لأمر مهـم وعندما نزل من أنف سيدنا
أسامة شيء ما مثل ما يحدث للأطفال عند الرشح قال للسيدة عائشة اغسلى
له، فاستنكفت، فقام هو وغسل له وتلطف معه ﷺ.

وعنـدما حضر طعام وكان من بين أصحابه رجـل أبرص فقام الصـحابة
وقالوا: أنأكل مع الأبرص؟ فقـام بعضـهم فقال له: «تعـالى يا أخى ولتأكل
من نفس الإناء معى».. «**لا عـدوى ولا طيرة فى الإسلام**»[٧]، ما قدّر الله
كان. فالمهم أنك ترضى هذه النفوس، وهؤلاء الأناس، لأن رضاهم من رضا
الله عز وجـل، وعندما يأتى الإبن والبنت ويتكبر عليك وتغضب من ذلك
فإن هذا الغضب يحرك السموات والأرض بل ويؤثر فيها، فالسموات تنزل
عليه الغضب واللعنـات والأرض لا تعطيـه وتعصـاه، وإذا أعطته تنزع منـه
البركة، ثم يصاب بالأمراض البدنية (ضغط- سكر- قلب) والأطباء لا يغنون
عنـه شـيئاً، لأنهم لا يعالجون إلا الظاهر، أما الأساس الباطن فـلا يعلمـه
إلا حضرة الباطن عز وجل.

فالأمراض عندما انتشرت وسط المسلمين خلّفت هذه الأشياء، وأصـبح
النـاس كأنهـم فى يوم القيـامة وكلهـم يقـول: نفسى نفسى لا أسـألك
غيرها، الأول كان البيت الواحـد فيـه أربع أسر يأكلون مع بعض ويشربون
مع بعض وهم فى خير وسعادة وهناءة والحمد لله.

أما الآن هذا فى شقة وهذا فى ڤيلا وهذا فى عمارة وهذا لا يزور هـذا
ولا يسأل على هـذا وتقعد معه فتجد كل كلامه على أخيه وكل كلامه

(٧) رواه الشيخان عن أنس رضى الله عنه.

سم من فمه حقد على أخيه، والثانى يشتكيه والثالث يقاضيه والرابع يبحث على بلوى ليوقعه فيها، وهل هذا الكلام كان يحدث أيام زمان يا إخواننا؟ لا، لأن النفوس كانت سليمة والقلوب مستقيمة، وكان الله عز وجل معهم لأنه وعد بذلك فقال: **﴿ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض﴾**(٨).

آمنوا.. واتقوا.. فالتقوى التى نتكلم فيها الآن ليست العمل التعبدى فقط وإنما السلامة، سلامة الصدر، لما جاء رجل والرسول جالس بين أصحابه فقال: يدخل عليكم الآن رجل من أهل الجنة ودخل رجل وجلس برهة، وقام فقال: قام عنكم الآن رجل من أهل الجنة، فعرفوا أن هذا الرجل من أهل الجنة، وإن كان ماشى فى الدنيا -فسيدنا عبد الله بن عمرو مشى وراءه- وكان يصوم النهار ويقوم الليل (سيدنا عبد الله بن عمرو) ولكنه أراد أن يعلم ماذا يقوم به هذا الرجل من العبادات؟ لأنه كان يعمل المقررات التمام، فأحب أن يعلم الزيادات التى يزيد بها عنه والتى استحق بها هذه البشرى، فظل خلفه حتى وصل إلى بيته، فدق عليه الباب، وطلب منه أن يضيفه فى بيته فرحب به، وقال له على الرحب والسعة، وبعد صلاة العشاء آوى الرجل إلى مضجعه ونام وظل هو قائماً، فظن أنه متعباً تلك الليلة، ولكنه فوجىء به فى الصباح يقدم له الفطور ويفطر معه، أى أنه ليس بصائم، فالتمس له العذر، ولكنه لما رآه فى الليلة الثانية والثالثة على حالته، لا يزيد عن الفرائض شيئاً إزداد عجبه وكاشف الرجل بخبيئة نفسه وحقيقة الأمر الذى من أجله حضر إليه، وهو رغبته فى كشف السر الخفى الذى من أجله وصفه النبى ﷺ بأنه رجل من أهل الجنة، قال له الرجل: لا أزيد عما رأيت شيئاً، ولكنه لما رأى حيرته ودهشته تفكر قليلاً ثم قال: غير أنى أبيت وليس فى قلبى غل

---

(٨) سورة الأعراف: الآية ٩٦.

ولا غش ولا حقد لأحد من المسلمين[٩]، أى أنه لا يبيت إلا وقد اطمأن على سلامة صدره، بعد نزع جميع السخائم من قلبه، فيبيت هانىء البال مرتاح الخاطر، أما ما يحدث الآن نتيجة لضعف الإيمان، فأغلبنا يبيت وقد عجّ صدره بالإحن والأضغان من كثرة المشاكل التى انتشرت بين بنى الإنسان فهو نائم يفكر، ويدبر ماذا يصنع لفلان؟ أو بماذا يحل مشكلة كذا؟ وهذا هو الذى عمل لنا التوتر وتعب القلب والأعصاب والأمراض أنا متغيظ من فلان ماذا أعمل له؟ وكيف أكيد له؟ -وأبيت عمّال أفكر- وهذا هو الذى يأتى بالهم والغم والمرض ولذا قال له: أبيت وليس فى قلبى غل ولا غش لأحد من المسلمين وهذا من كمال الإيمان - لأن المؤمن إذا كمل إيمانه يعلم أنه لا يحدث فى الأكوان شىء إلا بإرادة الواحد الديان. من الذى أعطى هذا الولد؟.. الله، ومن الذى أعطى هذه البنت؟.. الله.

علامة رضا الله عن العبد

إن الذى يبين علامة الرضا هو الدين ولذا يقول رسول الله ﷺ: «**من يرد الله به خيراً يفقهه فى الدين**»[١٠] يعطيه كم عمارة؟ أو كم دولار؟ أو كم ريال؟ نحن الآن نقول هذا ربنا فتح عليه، لماذا؟ لقد سافر إلى السعودية وجاء منها بكم ألف ريال وكم عمارة!.

وهل هذا فتح؟ هذا اسمه ابتلاء فالذى أعطاه الله المال ابتلاه ﴿**ليبلونى أأشكر أم أكفر**﴾[١١] فإذا أنفقه فى الطاعة فقد شكره، وأما إذا أنفقه فى الناحية الأخرى فيكون كفر بالنعمة.

(٩) رواه أحمد والبزار عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما.
(١٠) رواه البيهقى عن أنس والبزار عن ابن مسعود رضى الله عنهما.
(١١) سورة النمل: الآية ٤٠.

وعطاء الأولاد كذلك ﴿**إنما أموالكم وأولادكم فتنة**﴾[١٢] فالرجل الذى قال أصبحت أحب الفتنة قالوا له كيف؟ فقال (سيدنا على) : أصبحت نفسى طامعة فى المال، ونفسى مزهوة بالعيال وهما فتنة إذا اشتغل المرء بهما عن الله، ونعمة إذا ساعدونى على طاعة الله، لأن هذا هو المهم.

وكذا إذا رُقّيت فى منصب فهو اختبار... وكل شىء من خيرات الدنيا ليس فتحاً، فلا نقول ربنا فتح عليه بل نقول ربنا ابتلاه أو اختبره.. أما الفتح فكيف ومتى يفتح عليه الله؟.

إذا كان قائماً بالقرآن آناء الليل وأطراف النهار فهذا هو الفتح لأن فيه رضا الله عز وجل وهذا ربنا فتح عليه فلا يتكلم فى مجالس الغيبة والنميمة أبداً، وفلان هذا ربنا فتح عليه، إذ أن له نور فى قلبه فيعرف الطيب من الخبيث حتى يبعد عن الخبث ويذهب للطيّب، وفلان فتح عليه فى العيال، إذ كانوا صالحين فهم قرة عين له.

وهذا فُتح عليه فى الزوجة إذا كانت تقية، أما التى عندها أطيان أو وظيفة أو غير ذلك فهى اختباره، فالإيمان يعرّف الإنسان أن عطاء الدنيا كله امتحان وأن الذى يحبه الله يقول عنه النبى ﷺ: «**إن الله يعطى الدنيا لمن يحب ومن لا يحب ولا يعطى الدين إلا لمن أحب**»[١٣].

والذى لا يحبه يعطيه منها أكثر ولا يوفقه للشكر على ذلك بل كلما اشتد غضب الله على عبد وسّع عليه فى الدنيا لكى ينسى الله ﴿**إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى**﴾[١٤].

ما الذى جعل فرعون يعمل إله؟ مكث أربعمائة سنة يحكم مصر لم يشكو مرض.

---

(١٢) سورة التغابن: الآية ١٥.

(١٣) أخرجه أحمد والحاكم والبيهقى عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه.

(١٤) سورة العلق: الآيتان ٦، ٧.

حكمة الله فى ابتلاء المؤمنين

فالأمراض ليست كما يتصور الناس أنها غضب - لا - إنها ليست غضب لأنها لو كانت كذلك لأنزلها على الكافرين، إنما إذا نزلت على المؤمنين فلأنه يحبهم ويقول لهم أنا حبيبكم وأنا طبيبكم «أبتليهم بالمصائب لأطهرهم من المعايب» وإليكم المثال:

الرجل الذى يضرب ابنه: هل يضربه لأنه لا يحبه أم لأنه يحبه ويريد أن ينبهه فالأمر كذلك ربنا يحب المؤمنين ويريد تطهيرهم فيضيق الأرزاق آناً، ويكثرها آناً وكذلك الأمراض والهموم وغيرها حتى يطهرهم بها لأنهم يغفلون أو ينسون، أن يطهروا أنفسهم.

﴿ إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾(١٥) وما الذى فى أنفسهم؟ الحقد والحسد والبغضاء والكراهية وهذه الأمراض لازم يغيروها لكى يغير الله ما حولهم، فالله عز وجل أوجد هذه الأمراض الجسمانية وليست غضباً ولا رجساً وإنما ليذكرنا حتى نرجع إليه ونتوب إليه ونستغفره، ونرجع إلى ما يسمى بالصحة النفسية الإيمانية أو الصحة الروحانية.

فالصحة الإيمانية هى التى أشار إليها النبى ﷺ فى قوله: «**يا عبد الله ابن عمرو إذا استطعت أن تبيت وليس فى قلبك غل ولا غش لأحد من المسلمين فافعل وذلك من سنتى ومن فعل سنتى كان معى فى الجنة**»(١٦).

فمن يفعل ذلك فمن أين يأتيه المرض؟.

ولست أرى السعادة جمع مال
ولكن التّقى هو السعيد

---

(١٥) سورة الرعد: الآية ١١.

(١٦) رواه مسلم عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما.

فهو سعيد لأنه راض عن الله وعارف أنه اختار له أحسن جلابية تلائمه للعيش في هـذه الحيـاة مثل اختيـاره لوجهى وعينى وطولى ولم يخيّرنى، والأب والأم والبلد والعمر والدّين.

فاختـار لى الجلابية التى ألبسـها والتى تلائمنى، واختـار لى الزوجة التى تلائمنى، والعيال الذين يكونون فى ميزان حسناتى وأستطيع أن أهذبهم وأربيهم، والبيت الذى يلائمنى والذى كتب لى فيه أنفاس معـدودة.

وقد جعلنـا فى الرزق متفاوتين اختباراً من الله لعباده المؤمنين فلماذا أغضب من اختيـار الله لى؟ ولماذا أغضب لأن فلان أحسن منى فى الدنيـا؟ ليس هـذا هو المقيـاس وإنما المقيـاس هو قول الله عز وجـل: **﴿إن أكرمكم عنـد الله أتقاكم﴾**(١٧) فهذا ميزان التكريم وهو يشمل الورع والزهد والخشية والحب فى الله عز وجـل وهـــذه بضاعة المؤمنين يا إخوانى.

مرض الشـح

فكانت الخيـرات قليلة لكن الحب موجود، فأقل شىء كان يكفى، والخيرات الآن كثيرة لكن معها الشح وهذا مرض: **﴿ وأحـضـرت الأنفس الـشـــح ﴾**(١٨) فالأكل يفيض منـه ثم يرميـه للدجاج مـع أنه قد كلفه وعندما يأتى ضيف له ويطلب كوب شاى يقول: قولوا له فلان ليس هنا! ومـاذا تتكلف؟ إنه يأكل ما ترميـه للدجـاج، وتؤجر، لكنه مرض الشـح. وأيضـاً يشترى كيـلو لحم ويأكل حتى يرجّـع، مع أن الجسـم لا يأخـذ إلا القـدر الذى حـدده الله والبـاقى يتحول إلى فضـلات ويمكن تتعب فى إخراجها وتحتاج للذهاب إلى الطبيب لكى لا تتعب وعندما يطلبون منه شـيئاً للجامع أو لأخيـه الفقير يظهر الشـح.

(١٧) سـورة الحجرات: الآية ١٣.
(١٨) سـورة النساء: الآية ١٢٨.

أما مجتمع الإسلام الأول فقد كان يقال لهم من يُضيِّف ضيف رسول الله ﷺ؟ فيقول أحدهم أنا، وليس عنده إلا قوت أولاده، ويفضل عليهم ضيف رسول الله ﷺ وأولاده يضحك عليهم إلى أن يناموا ثم يأكل الضيف وتطفىء الزوجة المصباح لكى لا يلاحظ الضيف أن الأكل لا يكفى إلا لضيف واحد، ويمثل صوت الأكل، فمكتب العناية الإلهية يعطى لمثل هذا وسام ينفعه يوم الزحام ونقرؤه نحن فى كتاب الملك العلام ﴿ **ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة، ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون**﴾[19] ومن يعالج من مرض الشح يأخذ هذا الوسام فإن المريض بالشح لا يملأ عينه إلا التراب فالغنى مثلاً لا يحتاج إذن لماذا يتحايل وينصب؟ إنه الشح.

وهو الذى أتعب المسلمين، ونحن فى بلاد الإسلام والإيمان صاحب الرضا عندما يحتاج يقول أريد جنيه، وتعطيه خمسة جنيه، فيقول: لا أنا لست طماع ولا أريد أن أصاب بهذا المرض.

علاج أمراض المجتمع

هذه الأمراض هى التى أتعبت المجتمع وعلاجها فى الإقبال على كتاب الله، وعلى سنة رسول الله ﷺ، وعلى العلماء العاملين حتى يوضحوا للناس، ويبينوا لهم، ويعالجوا الناس من هذه الأمراض.

فالأرض تنتج الخيرات، والدودة التى تأتى للقطن والمزروعات فتلقفها هى دودة الطمع والحسد والحقد، وأيضاً أمراض المواشى من ميكروبات الحقد والحسد والشح من توزيع الأغنياء الخيرات على إخوانهم المؤمنين، فلو أن الصدور فيها سلامة من أين يأتى المرض؟.

(١٩) سورة الحشر: الآية ٩.

ومن أين تأتى الدودة والميكروبات والجراثيم؟ وهذا ما خلا منه المجتمع الأول مجتمع رسول الله ﷺ، فقد كان مجتمع الصدور المنشرحة، والنفوس السليمة، والقلوب الطاهرة فأكرمهم الله بمعونته وتوفيقه وبالأرزاق الظاهرة والباطنة.

نسأل الله أن يشرح صدورنا، ويطهر نفوسنا، ويشفى أمراض قلوبنا، ويرفع عنا كل غل وحقد وحسد لإخواننا المسلمين، ويملأ قلوبنا بالحب الخالص لحضرته ولعباد الله المؤمنين ويملأها بالورع والخشية والمراقبة وبما يحبه ويرضاه، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

٢



الجمال الحقيقى

أفيضت هذه الحكم العالية بمنزل الأخ مجدى شكرى بميّانة مركز مغاغة مساء الأحد ١٩٩٣/٧/٤.

الجمال الحقيقى

قال الشيخ عفا الله عنه:

رأيت الجمـــال أرانى الجمـيـــلا

فـوضّـح جـــلّ إليـــه السـبـيــلا

ما الجمال؟ وما الجميـل؟ الجمـال عنـــد أهـــل الكمال، يختلف عن الجمـال عند أهل الحظوظ وأهل الشهـوات والملذات، فالبعض عنده الجمـال فى المطعم الشهى، أو المشرب الروى، أو الفـراشِ والأثاث الوطىّ، والبعض فى العمارات والبعض فى الشكل والصورة والملمح، لكن عند أهل الكمال فى الأخلاق والصفات، نريد أن نعرف صفات الله، وكمالات الله وجمالات الله، أين نعرفها؟ كيف ندرك لطفه؟ وكيف نعرف كرمه؟ وكيف نحس بعفـوه؟ وكيف ندرك بره، وشفقته وعطفـه؟ هـذه الأشياء لم تظهر إلا فى الصورة القريبة منا التى تراها عيوننا وتحس بهـا أجسامنا وتتأملهـا عقولنـا، وتدرك جمالهـا أرواحنا التى هى صـورة سيدنا رســول الله ﷺ سر قول الله ﴿**وإنك لعـلى خلق عظيم**﴾[1].

فالذى يريد أن يعـرف صـفات وكمالات حضرة العظيم، يراه فى عفوه وكرمه وتواضعه ورأفته وبره ومودته وشجاعته وشدته على الكفار وجلاله وقهره على المنافقين.

لكن كيف لنا أن ندرك هذه الأشياء فى ذات الله؟ صحيح نحـن غارقين فى برّ الله وكرم الله، لكن نحـن لم نحس ولم ننتبـه له إلا برسول الله ﷺ، وهـذا عكس كلام الجهـال الذين يقولون ماذا يفعـل رسـول الله؟ إنه ﷺ

(١) سـورة القلم: الآية ٤.

هو الذى عليه المعوّل والأساس وهو المثال لعالم الجمال، وهو الكمال الذى أظهره الواحد المتعال وهو الشاشة التى يرى فيها المقربون أخلاق الله وكمالات وجمالات الله، **﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم﴾**(٢) يحبكم ويغفر لكم لأنكم تابعتموه فى هديه، ولكن الذى لا يمشى على نهجه ﷺ لا ينفع ولا يرفع ولو ملأ بطاح الأرض وصفاح السماء عبادة لله، لأنه لم يأت بها على الهيئة التى طلبها الله وارتضاها الله وهذه الهيئة ظهرت على رسول الله ﷺ، ويقول لنا الرسول لو أردتم رضا الله: «**صلوا كما رأيتمونى أصلى**»(٣) و «**خذوا عنى مناسككم**»(٤) يعنى إياكم أن تتخلفوا عنى فى أمر من أمور الدنيا أو من أمور الآخرة طرفة عين ولا أقل ولا أكثر **﴿ وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ﴾**(٥) عبارات القرآن تحيّر الألباب فماذا آتانا الرسول هذا قول الله **﴿ما آتاكم الرسول فخذوه﴾** يؤتينا العلم فى الصلاة والخشية فى الصلاة كيف ؟.

من مجالسة ومتابعة سيدنا رسول الله، والإنكسار أيضاً من رسول الله ومن غيره لا تنفع الصلاة فنحن نأخذ من القرآن أوامر الله، ونأخذ من رسول الله الكيفية التى تؤدى بها أوامر الله لننال رضا الله عز وجل وإذا أخذت الأوامر دون الكيفية فهذا على هواى:

﴿ أفرأيت من اتخذ إلهه هواه، وأضله الله على علم ﴾(٦) أضله على علم وليس على جهل لأنه لم يأخذ بالكيفية من خير البرية ﷺ.

---

(٢) سورة آل عمران: الآية ٣١.
(٣) رواه البخارى عن أنس رضى الله عنه.
(٤) متفق عليه عن جابر رضى الله عنه.
(٥) سورة الحشر: الآية ٧.
(٦) سورة الجاثية: الآية ٢٣.

فعندما أشترى مسجل لا أستعمله إلا عندما أسأل البائع عن كيفية استعماله، فكذلك الأمر فى دين الله، فالشريعة أوامر وجمالات وكمالات كيف أعرفها؟ من الصورة المحمدية وأين هذه الصورة يا إخوانى؟ الجواب أن الصورة تنتقل بالتواتر من عصره إلى أن تصلنا لأن بعض من كان فى عصره لم يروه، وقد سألته صحابية: لمن أذهب؟ أى إذا لم أعثر عليك فقال لها: اذهبى إلى أبى بكر، قالت: فإن لم أجده؟ فقال لها بعد ذلك: **«أصحابى كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم»**(٧).

والذى لم يهتدى لا يكون له فى الهداية نصيب، إذا سرت ليلاً ولا يوجد نجم أمامى سوف أضل، فكل من مشى بلا دليل انقطع به السبيل.

أما من بعدهم فيقول عنهم:

« لا تزال طائفة من أمتى قائمة بالحق لا يضرهم من خالفهم حتى يأتى أمر الله وهم على ذلك»(٨) لأنهم منعوا نفوسهم عن حظوظها وشهواتها. فأحياها الله الحياة الإيمانية الحقيقية فصارت مثلاً نورانية فى عصرها، تظهر نور ربها وجمالات وكمالات ربها عز وجل.

وأيضاً بأيهم اقتديتم اهتديتم، فالمثل هذه أتت متسلسلة من:

« صلوا كما رأيتمونى ».

ولذلك قال ﷺ:

« طوبى لمن رآنى، ولمن رأى من رآنى، ولمن رأى من رأى من رآنى».

هذه هى الحياة الإيمانية العملية، ونحن عندما نريد إنتاج رفيع المستوى نرسل من يتعلم دورة فى بلد ما حتى يأتوا ويحسّنوا صنع الإنتاج... وهى هى الحكاية.

---

(٧) رواه البيهقى والديلمى عن ابن عباس رضى الله عنهما.
(٨) رواه الشيخان وأحمد عن معاوية رضى الله عنه.

﴿ فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم﴾(٩).

ينفروا خفافاً وثقالاً بأرواحهم وقلوبهم من متع الدنيا وطيباتها ورغباتهم؛ حتى لا يحسوا بها وهى تدور عن أيمانهم وشمائلهم وبين أيديهم، إلى حظائر الملكوت وإلى فسيح أنوار الحى الذى لا يموت.

فإذا رأوا الأنوار، واغترفوا من الأسرار ورأوا الحقيقة جلية واضحة فى حقيقة النبى المختار ردّهم الله عز وجل إلى البشرية، ليأخذوا بيد غيرهم إلى الحضرة المحمدية:

﴿ لينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون ﴾(٩).

إذن فصورة رسول الله هى الجمال والكمال وهى التى تهدينا وتكشف لنا عن جمال الجميل عز وجل.

ومن غيره كيف كنا نعرف الله؟ أو ندرى الأبواب المفتوحة إلى جنة الله والأودية المتردية المؤدية إلى عذاب جهنم؟ من غير رسول الله من كان يعرف هؤلاء الأماجد أمثال (أبو بكر وعمر وعثمان وعلى) وشيمهم مثل عدل عمر النادر، وحياء عثمان الغريب، وفقه على البارع والزهد الذى هو فوق الوصف لأبى ذر، ومعرفة معاذ الغريبة. كيف كانوا يعرفونها من غير رسول الله ﷺ ؟.

ومن قبل كنا ظلاماً وجهلاً
فصرنا بطه رجالاً فحولاً.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

---

(٩) سورة التوبة: الآية ١٢٢.



أسرار
الأخوة فى الله

- ★ نصيحة لدوام الأخوة
- ★ المنهج الحكيم في الدعوة إلى الله
- ★ إعجاز القرآن العصرى
- ★ منهج بيان القرآن
- ★ جمال الدعوة والداعى

هـذه النصائح الغاليـة ألقيت بمنزل الأخ جابر عباس بمغاغة بعـد الإفطار صباح الإثنين ١٩٩٣/٧/٥م.

أسرار الأخوة في الله

قال الشيخ عفا الله عنه موضحاً أسرار الأخوة:

من يرد أن تكون توبتــه نصوحاً فإنه يطلب من المرشـد أن يكلفه بعمل من الأعمال العبادية به ينال توبة الله عز وجل فيطلب منه إعطاءه عمل يتوب الله عليــه به.

فقد قال الإمام الشافعى لتلميذ له جاء طالباً للتوبة:

إما أن تلقى بنفسك من فوق جبل وإما أن نلقيك ونطرحك من قلوب الأخــوان.

فلو قيل هذا الكلام فى عصرنا لكان الجواب أن الطرد من قلوب الأخوان أهون لأنه حاجة بسيطة لكن التلميذ النابه قال:

أختـار أن ألقى بنفسى من فوق جبل لأن رضا الله من رضا قلوب الأخوان. فلو تغيرت قلوب الأخوان علىّ أكون قد استوجبت غضب الله علىّ وسخطه.

وهذا مستنبط من الحديث الذى يبين رأى الصحابة فى جنازة مرّت أمام النبى ﷺ:

فقالوا: كان صالحاً.

فقال: **وجبت**، ومرت جنازة ثانية.

فقالوا: كان فاسقاً.

فقال: **وجبت**.

فقالوا: ما التى وجبت يا رسول الله؟

فقال لهم: «**أما الأول فشهدتم له بالصلاح فوجبت له الجنة.. وأما الثانى فشهدتم عليه بالفسق فوجبت له النار.. أنتم شهداء الله فى الأرض**»[1].

وهم جموع الصحابة – فالذى يشهد له الاخوان يشهد له الديان– والذى يخذله الاخوان يخذله الله.

والصحابة لا يشهدون بهوى أو ضلالة لقول النبى ﷺ:

« **لا تجتمع أمتى على ضلالة** ».

فقال لهم: أنتم شهداء الله فى الأرض وهذا ما جعل التلميذ يختار إلقاء نفسه من شاهق جبل على أن يكون الاخوان عنه راضين.

نصيحة لدوام الأخوة

وهذا سر الأخوة والأخوان، فنأخذ بأيد بعض عند الشدائد، وننبه بعض عند الغفلة، ونذكر بعض عند السهو، ونعين بعض عند القيام بالأعمال الإيمانية، ونصحح أحوال بعض عند القصود والنوايا، حفظكم الله من كل شر ورياء يحبط الأعمال ويجعلها لا تنال القبول من الله.

فإذا جلسنا مع بعض فلكى نحقق الغاية السابقة لا لكى نضيع وقت بعض فننبههم إلى الأمراض التى أصابتهم ونعطيهم الروشتة السليمة التى لو تعاطوها مشوا إلى كمال الشفاء ويتصل نورهم بنور الله عز وجل وهذا سواء بينى وبين أخى أو بينى وبين زوجتى أو بينى وبين أى أحد من خلق الله وتكون كما يلى:

(١) متفق عليه من حديث أنس رضى الله عنه.

الأول الثناء عليه لأنه يجهز لى أخى، فيخدّر الأعصاب ويفتح السماعات ويجعله مستعداً للسماع. ثم يظهر العيب له من غير ذكر صريح له ليحاول إصلاحه، والغلظة والفظاظة ليس من أسلوب الاخوان لأنهما يولدان الشقاق والخلاف. ولنضرب لذلك مثلاً:

« عندنا مدرس طلب من تلميذ له أن يدُور على الفصول يقول للتلاميذ أنا ضعيف وأنا بليد وذلك لكى يستقيم ويجتهد.. وهذا أسلوب يتسم بالفضح وهو أسلوب فاشل يثير الكراهية بين التلميذ وزملائه.

قال ﷺ: « **جرّبت السيف واللين... فوجدت اللين أقطع** ».

إن مَن يقول بأن من أذنب ذنباً ويتوب، ثم يأتيه ثانية ويتوب، ثم يأتيه ثالثة، انتهى أمامه طريق التوبة، ويقفل أمامه باب التوبة، قد أخطأ فى دين الله، لأن من أذنب فى اليوم مليون مرة واستغفر عقب كل ذنب لم يحرم التوبة وهذا سر بين العبد وبين الله.

فالأخوة جوهرة رقيقة تريد ممن يملكها أن يعاملها باحتراس شديد لأن أقل شىء يعكر صفوها، ولما تتعكر المياه وتريد أن ترجعها لصفوها تأخذ وقت.. والأخ يرجع لأخيه مرة بعد مرة بعد مرة ولا ييأس منه، ثم أقول له ما رأيك لو واحد عمل كذا فالحكم الشرعى ما هو؟.

فيقول: لا أعرف.

فأقول له: الحكم الشرعى هو كذا حتى يمتنع بعد ذلك أو أحضر أخاً ثالثاً بيننا وأوجه كلامى إلى الأخ الثالث وأقصد بذلك أخى الثانى حتى يفهم أن سلوكه هذا هو المقصود بكلامنا.

قال ﷺ: « **المتسابان شيطانان** »(٢).

---

(٢) رواه أحمد والبخارى فى الأدب عن عياض بن حيرام رضى الله عنه.

والشيطان هنا أمام الشيطان الآخر ومتقمصين ذلك فى صورة شخصين على مسرح السب، ومن الممكن أن يصل الأمر للضرب، والدين النصيحة. ولا يكبر على النصيحة أحد حتى ولو كان أمير المؤمنين.. فعندما غضب سيدنا عمر من بعض أصحابه لغضبهم ممن قال له: اتق الله.

قال لهم: لا خير فيهم إن لم يقولوها، ولا خير فينا إن لم نقبلها، فنصبح جبّارين طغاة والإسلام غير ذلك:

﴿ **وأمرهم شورى بينهم** ﴾[٣].

وهكذا.. يا إخوانى.. تواصوا فيما بينكم بالحق والصبر، أى تواصوا على إقامة حقوق الله، وتنفيذ شريعة الله، والعمل بوصايا سيدنا رسول الله ﷺ.

وهذا العمل العظيم والجهاد الكبير، يحتاج منا أن نتسلح له بسلاح الصبر.

ولذا.. قال ﷺ: « **الصبر نصف الإيمان** »[٤].

حفظنا الله وإياكم من دسائس النفس ومكائد الشيطان، ووفقنا وإياكم للسير على هدى النبى العدنان وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

---

(٣) سورة الشورى: الآية ٣٨.

(٤) رواه أبو نعيم والخطيب من حديث ابن مسعود رضى الله عنه.

المنهج الحكيم فى الدعوة إلى الله★

قال عفا الله عنه: نحن يا إخوانى مطالبين بمعرفة تفسير القرآن على حسب العصر الحاضر فى بعض المواطن لأن أهل العصر الذى نعيش فيه، لا ينفع معهم تفسير ابن كثير ولا الطبرى ولا القرطبى فى بعض المواطن لأن ذلك كان لزمانهم، بل هم فى حاجة لتفسير عصرى فى هذه المواطن فعلى سبيل المثال فى عصر ابن كثير لم تكن ظهرت تفسيرات الظواهر الطبيعية، فلم يكتب عنها شيئاً، لكنها ظهرت فى هذا العصر، وهناك تفسيرات موجودة اسمها تفسيرات الآيات الكونية فى القرآن، وهى كتب موجودة وكثيرة وتفسر الآيات الكونية على حسب العصر.

إذن عندما أريد تفسير هذه الآيات على تفسير ابن كثير هل أكون أخطأت أم أصبت؟ أكون أخطأت طبعاً، بل تفسيرها لأهل عصرنا على حساب عصرنا، فمثلاً: ﴿ **ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين، ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين، ثم خلقنا النطفة علقة، فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاماً فكسونا العظام لحماً ثم أنشأناه خلقاً آخر فتبارك الله أحسن الخالقين**﴾[٥].

قال فيها ابن كثير سطرين اثنين وهما تفسير لغوى: وهذا قد لا يؤثر فى أذهان السامعين لكن عندما أنظر إلى عالم الأجنة الكندى واسمه كينث مور، الذى عمل كتاباً من سبعة مجلدات وهو أكبر مرجع فى العالم فى علم الأجنة، وهو عبارة عن تفسير لتلك الآية الشريفة، وأوضح كيف

★ منزل الحاج: إبراهيم أبو الريش بعد الغداء بمغاغة.

(٥) سورة المؤمنون: الآيتان ١٢، ١٤.

أن الإنسان لو بحث شرقاً وغرباً عن كلمة بدل العلقة أو المضغة لا يجد، لماذا؟ لأن العلقة بها كذا وكذا، فعندما أشرح موجزاً لهذا الكلام بهذا الأسلوب للسامعين ماذا يكون تأثيره على إيمانهم وعلى أذهانهم؟ سوف يحسون بإعجاز القرآن فى هذا العصر الذى نحن فيه.

إعجاز القرآن العصرى

عندما نزل القرآن فى أيام العرب الأولى، كانوا مشهورين بالفصاحة، فكانت كل الكتب التى تتكلم عن إعجاز القرآن تركز على البلاغة والفصاحة في القرآن، بألفاظ العرب وهم أهل البلاغة والفصاحة، ومع ذلك لا يستطيعون أن يأتوا بسورة من مثله.

فى هذا الزمان أين هم أهل الفصاحة؟ هل هم موجودون؟ مَن الذى يستطيع أن يتحدث باللغة الفصحى، حتى من الجماعة المشهورين كالمذيعين والكتاب، والأدباء؟ قليل.

إذن نوع الإعجاز هذا كاد ينتهى زمانه، وإنما نحن فى عصر الإعجاز العلمى، فالقرآن معجزة لأهل كل زمان بحسب ما يناسب الزمان، فهم كان ظاهراً فى عصرهم الفصاحة والبلاغة فأعجزهم فيها، أما فى عصرنا نحن فالذى يظهر فيه المنهج العلمى والتطور العلمى الرهيب الذى نحن فيه، وهو أيضاً يعجزهم فى هذا الأمر.

قبل ذلك كان الذى يشغل بال الناس، المنهج الاستقرائى العلمى الجديد الذى قد فكر بعضهم أن روجر بيكون هو الذى اكتشفه وقدّسوه من أجل ذلك ونسوا أن إعجاز القرآن أيضاً سبق هذا الفيلسوف لأنه أخذ كلامه من القرآن فهو غشاش لأنه نقل من تفسير أئمة الأندلس للقرآن ونسبه إلى نفسه، لكن إعجاز القرآن فى المنهج العلمى، والمنهج الذى وضعه بيكون، تجد بينهما فارق كبير، فمنهج بيكون يمكن يكون تلفيق فكل

النظـريات العلميــــة التى يقولون بهــا الآن أو معظمهــا قــد يكون افتراء فهى ليست نظريات علميــة ثابتة، وإنما هى افتراضات تؤيدها بعض الأدلة فعلى ســـبيل المثـال: من يقول إن الأرض عمرها خمس عشرة مليون سنة لو سألتـهم من أين أتيتم بهــذا الكلام؟ فيـقـول أحدهم أنا أقيس على الكربون، وسـيقول الآخر أنا أقيس على الحفريات وكل هــذه افتراضــات وقد يكون فى الغـد تكذيب لهـذه النظرياتِ، لكن منهـج القـرآن العلمى ليس افتراضى، وإنما اثباتى، فهذا ما نريد أن يبيّن للناس.

هل عالج ابن كثير هذا الكلام؟ لا، لأنه لم يعرفه، هل عالج القرطبى هذا الكلام؟ لا، لأنه لم يقرأه.

إذن المطلوب أن أقدم للناس هـذه العلوم، لذلك فالمفروض على إخواننا أن يلاحقوا العصر ويقدموا القرآن بالتفصيلة التى تلائم العصر، فالثوب واحـد والقماش واحــد، لـكن نحن ونحن صـغار كنا نعمــل قميص وبنطلون، ثم لما كبرنا ظهر ما يسـمى بالبدلة الصـيفى ولم تكن معروفة، بنصف كم ثم بكم طويل، ثم تلاحقت التعـديلات بعــد ذلك، فالقماش واحــد وإنما التفصيل على حسب العصر.

فالقرآن واحـد لا يتغير ولا يتبدل وإنما أنت الترزى الماهر الذى يقدمه بما يلائم العصر.

لازم تتعلم القص من راجل عصرى علشان يعلمك التفصيلات الحديثة ويطلعـك على الكتالوجات الحديثـة للمعانى القرآنيـة والأسرار النورانيـة كى تقدمها للنــاس.

﴿ فإذا قرأناه فاتبع قرآنه ثم إنا علينا بيانه﴾[٦].

---

(٦) سـورة القيامة: الآيتان ١٨، ١٩.

منهج بيان القرآن

البيان على قدر الزمان وعلى قدر المكان، وعلى قدر استيعاب العقول وعلى قدر استرواح النفوس، وعلى قدر تحمل القلوب لما ينزل من الغيوب فى هذا الكلام المكتوب الذى نزّله رب العالمين عز وجل حتى الآية الواحدة الكونية، هل أشرحها للجماعة الفلاحين مثل ما أشرحها للجماعة التى فى مصر الجديدة؟ وهى نفس الآية ونفس المعنى، لكن فى الأولى أبسّط المعنى وفى الثانية أعمّق المعنى، كالمنهج الذى أقدمه للإبتدائى وأرجع نفس الباب أقدمه للإعدادى لكن بتوسع، ثم الثانوى أوسع ثم الجامعة باستفاضة وهو نفس المنهج أو الباب مثل تشريح العين أو الجهاز الهضمى موجود فى المرحلة الإبتدائية ثم الإعدادية وهذا فى الشرح غير هذا، ثم فى القسم العلمى فى البيولوچيا ثم فى قسم البيولوچى هل هذا مثل هذا؟ مع أن نفس الجهاز الهضمى هو هو الجهاز الهضمى، وهذا ما تحتاجه البصيرة النورانية للإنسان الذى يعطى البيان، أن ألاحظ المستوى الذى أمامى وأتنزل للمستويات التى أمامى فالرجل العالم العادى أو ما نسميه خزانة العلم قد حفظ كلمتين ويريد أن يدير الشريط ويريح باله الذى يسمع عالم أم جاهل لا دخل له، فالذى يدور هنا هو الذى يدور هنا يعنى الخطبة، تقال هنا أو فى مصر الجديدة أو فى الاسكندرية أو تقال فى أمريكا هى هى، وأيضاً نفس الأمر بالنسبة للصلاة، موضوع واحد.

لكن لما أتكلم عن الصلاة مع الأمريكانى هل يكون حديثى معه مثل حديثى مع أهل مصر الجديدة أو مع أهلى أو مع آل العزائم؟ كلا، فكلها عن الصلاة لكن بالنسبة للأول أبيّن له الإعجاز العلمى فى الصلاة، وكيف أن العلم نفسه يطالب الإنسان أن يقوم بها حتى ولو لم يكن مسلماً لمصلحة الجسم وميكانيكا الجسم، وقوة تحمل الجسم، وتدريب أعضاء الجسم، لكى تحافظ على هويتها، ونشاطها مثل السيارة التى يتركها صاحبها مدة كبيرة

فتأكلها البرومة، إذن كل يوم يسخنها ولو قليلاً وكذا عربة الجسم إذا لم تسخن كل يوم خمس مرات تأكلها البرومة أى الغفلة، وأبينها من الناحية العلمية.

أما الذى من مصر الجديدة فهو لا يصلى، لكن مؤمن فأقول له: إن الذى لا يصلى يحدث له فى جهنم كذا وفى القبر كذا وفى الآخرة كذا، لكى يخاف وينزجر.

ثم الذى من المنيا يصلى ولكنه غير محافظ على المواعيد -جمّال- أى يجمل فيصلى الخمسة فروض أو أربعة آخر النهار، ولو ترك فرضاً فليس مشكلة فأكلمه عن: **﴿ويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون﴾**[(٧)]، ثم الذى من آل العزائم وهو يصلى فأقول له: إن الأمر ليس أمر الصلاة إنما أنت إلى أين وصلت للخشوع فى الصلاة؟ فالعبرة بالخشوع وليست بالحركات فى الصلاة.

إذن ما هو التدريب العملى لكى يحدث لك الخشوع فى الصلاة؟ ثم بعد الخشوع تكليف، ثم تعريف، ثم تشريف، ثم تصريف، ثم عبودية، فأبين له ذلك فتناول الموضوع يحتاج إلى الحبكة المصلحية من المخرج الحكيم فهناك أشياء للكبار فقط لا يصح للصغار أن يطّلعوا عليها فعقولهم لا تتحملها، أما الكبار فعقولهم تتحملها، فإذا علمها الصغار فى الجامع تحدث فتنة ثم لو قلتها على منبر يحدث فتن وليس فتنة واحدة، فلكل مقام مقال.

(٧) سورة الماعون: الآيتان ٤، ٥.

هذه يا إخوانى هى الدعوة العزمية، وهذا المنهج هل يدرّس فى كلية الدعوة؟ ربما لا، فأساتذة كلية الدعوة يحتاجون أن يعلّموا هذا المنهج، لأن الذى عندهم كلام تقليدى، لكن من أين يأتونه؟ من كلية الدعوة المحمدية، فهى التى تدرس أحدث المناهج التى خرجتها التكنولوجيا الإلهية فى عالم الدعوة الرحمانية لأن لها تكنولوجيا أيضاً لكن من أين؟ هم يريدون أن ينقلوا التكنولوجيا من اليابان والصين ولكن هذه لا تأتى إلا من القدس الأعلى أو من العرش أو من الكرسى، من هذه الجامعات من جامعة العرش أو من جامعة الكرسى أو جامعة اللوح أو جامعة القلم أو الجامعة الذاتية، ويتلقّن هذه الأشياء كيف؟ إنها منح يتلقاها ثم يبلّغها.

﴿ فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم ﴾[٨]، لم يقل ليتعلموا وإنما قال ليتفقهوا، **﴿واتقوا الله ويعلمكم الله﴾**[٩]. وهذه كلية لأهل الخصوصية لازم تسبقها شهادة من: **﴿ آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علماً ﴾**[١٠] يدخلها بالمرحلة التى قبلها وهى: **﴿ الرحمن علم القرآن خلق الإنسان، علمه البيان﴾**[١١].

وخلق الإنسان ليس هذا الخلق، لكن خلق الإنسان النورانى، الخلق الروحانى الذى به يستطيع أن يتلقى من عالم الإلهام ويبين للأنام ما يريده منهم الملك العلام.

---

(٨) سورة التوبة: الآية ١٢٢.
(٩) سورة البقرة: الآية ٢٨٢.
(١٠) سورة الكهف: الآية ٦٥.
(١١) سورة الرحمن: الآيات ١ : ٤.

خلق ثانى الذى يخلقه هنا: المرشد ﴿ **يخلقكم فى بطون أمهاتكم خلقاً من بعد خلق فى ظلمات ثلاث** ﴾[١٢].

والظلمات الثلاث لها معنى ثانى، وكله ماشى، لكن نحن نتكلم على حسب المجال فهذا المعنى له مجاله وهذا له مجاله، ظلمة العدم البحت، وظلمة بطن الأم، وظلمة الحياة الدنيا، فهذه ظلمات يمر بها الإنسان، إذا خرج من هذه الظلمات يرى وجه الله فى جميع الحيطات، لازم يخرج من ظلمة الدنيا أولاً: لكى يعيش فى حالة الصفاء الذى كان فيه فى بطن الأم ولا يركن للصفاء لأن الوقفة حجاب فيرجع ثانية للعدم ليرى نفسه لا حول ولا قوة له إلا بالله العلى العظيم، فإذا رجع إلى العدم وصل بحول الله وبقوة الله إلى حضرة القدم، فينظر بعيونه إليه، ويسمع بسمع منه خطابه الموجه إليه، من الذى يكوِّن الإنسان ويجهزه لكى يصل إلى هذه المقامات؟ إنه المرشد لكن هذا للإنسان الذى سلَّم أما الذى لم يسلم فلا رقى له ولا مزيد.

فسلم لنا واعتقد تفز
من شراب الراح حين وروده

هذا لمن تم تخليقه الروحانى، أو تخليقه النورانى فكلنا فى الخلق الجسمانى سواء.

لكن المؤمن له تخليق ثانى روحانى والمحسن له تخليق ثالث نورانى، فالروحانى يحس فيه بالغيب ويشعر به ولكنه لا يرى، وأما التخليق النورانى فصاحبه يحس ويرى، والموقن له تخليق رابع صمدانى يحس فيه ويرى ويتصرف كما يريد فى الظاهر والباطن، وهكذا خلق بعد خلق فالإنسان المؤمن مادام فى دائرة العبد الربانى وفى دائرة المرشد الروحانى فهو فى ترقى دائم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

(١٢) سورة الزمر: الآية ٦.

٤

منـازل التفـريد

هذه الحكم الغالية أفيضت بمنزل الحاج إبراهيم أبو الريش
بمغاغة بعد الغداء يوم الإثنين ١٩٩٣/٧/٥م



منازل التفريد

قال الإمام أبو العزائم رضى الله عنه:

لـذيـذ مـــعـــنـــى خـطـــــاب ربـى
لا تـشـــــركـوا بـى ووحّـــــــدونى

قال عفا الله عنه شارحاً لهذا البيت:

المدرسة المحمدية كلها اسمها مدرسة التوحيد، بدايتها التوحيد، وأوسـطها التجـريد، ونهايتهـا التفـريد، ثم ما لا نسـتطيع أن نبينـه من حضرات المزيد سواء لدن، أو عند، أو مع الحميد المجيد، قال الإمام أبو العزائم رضى الله عنه وأرضــاه:

« من لـم يتمرن على التفريد فى بدايته لـم يصـل إلى كمال التوحيـد فى نهايتــه ».

ويوضح السبب فى ذلك فيقول:

أفــردن بـالـقــصــد مــولاك الـعـــلـى
تـشـــهـدن غـيـبــــاً مـصـــوناً أوّلى

بداية التفريد – وهذا الكلام جائز يكون عالى، لكن أنتم أيضاً قدركم عال عند الله عز وجل–.

بداية التفريد فى السير والسلوك إلى الله عز وجل: تفريد المرشد بالقصد، فـالناس الذين يذهبـون للصالحين منهـم من يذهب للكرامـات ومنهـم من يذهب للاختبـــار أى يمتحن الشـيخ، ومنهـم من يذهب لكى يســهّل الله

عز وجل أمره مثل المريض الذى يريد الشفاء أو له مصلحة تُقْضى أو حاجة يقضيها ويسهلها الله ويحصل هذا لأنهم لهم ما يشاؤون عند ربهم.

ومنهم من يقول إن الناس الصالحين أناس طيبين. والذين حولهم سُذّج ومغفلين.

ففرصة أن أندسّ وسطهم وأضحك عليهم وآخذ من ورائهم ما شئت من الدنيا.

وهذا موجود فى صفوف الصالحين فى كل وقت وحين حتى أيام رسول الله ﷺ.

ومنهم من يريد أن يتزوج امرأة أعجبته، ووالدها يحب الشيخ قوى ولا يوافق على أحد إلا إذا كان درويش فيعمل نفسه درويش إلى أن يتزوجها ثم بعد الزواج ينقلب على عقبيه.

ومنهم من يريد أن يقف هؤلاء الصالحين حواليه ويعطوه أصواتهم لكى ينجح فى الإنتخابات.

أهداف كثيرة، لكن مَن الذى يفوز بالمراد؟ إنه الذى أخلص النوايا والقصود فى صدره ولم يجعل المقصد إلا غاية واحدة، هى أن ينال رضاءه، وأن يصل إلى مقام يطلع عليه فيه فيحبه، لأنه إذا أحبه أحبه الله عز وجل، ولما سأل الرجل الإمام أبا العزائم وقال له أريد أن أصل إلى الله، فقال له: ابحث عن رجل من العارفين وتقرّب إليه، بما استطعت، فالجهال فكروا أن التقرب إليه بأن يهدوه زاداً وزوّادة، لكن التقرب، أن تزيل ما بينك وبينه من غين، ومن رين، ومن بين إلى أن تصبح صورة منه، فى أخلاقه وصفاته، وجمالاته وكمالاته، فتستحق عندها الوراثة.

فابنك لماذا يرثك؟ لأنه شبيه بك، ولو اعترض أحد يقولون حللوا الدم، فيجدونه دماً واحداً وهو نفس الأمر فالنسب الذى بينك وبين المرشد،

نسب واحد، نسب نورانى، نور واحد من حضرة الواحد عز وجل، فإذا أفردته بالقصد، تفضل عليك بكل شىء، تفضل عليه به سيدنا ومولانا رسول الله ﷺ، لأنهم كما قال فى شأنهم وفى شأن حبيبهم الله عز وجل: **﴿وما هو على الغيب بضنين﴾**[1]. أى ليس بخيل، وهناك قراءة أخرى: **﴿وما هو على الغيب بظنين﴾** أى ليس بمتّهم، حتى ولو قال على شىء لم يحدث يحدث من أجل خاطره: **﴿ولهم ما يدّعون﴾**[2]. كل ما يدّعوه لهم فطلباتهم مجابة مثل الملك الذى جمع أهل قصره وقال لهم كل واحد يطلب ويتمنى الذى يريده وأنا أعطيه ثم سألهم: أنت ماذا تريد؟ فقال: أريد أن أكون كذا، قرار بذلك، عايز أكون وزير كذا، قرار وهكذا، بقيت واحدة قالت: أنا لا أريد إلا أنت، فقال لها: كل مافى المملكة ملكك لأنها أرادته هو. فالذى يريد من بيتك شىء تعطيه ويمشى، لكن من تريدك أنت فلها كل شىء، فى البيت، وهنا نفس الأمر وهذه بداية التفريد.

فإذا وصل إلى هذه الغاية، يبدأ من جديد يفرد الحبيب الأول ﷺ فى توجهاته وفى تطوراته وفى قصوده وغاياته، فلا يخطر فى باله فى نَفَس ولا أقل إلا جمال الحبيب وكمال الحبيب وخصال الحبيب، صلوات الله وسلامه عليه، حتى أنها تأخذ لبّه وتستلب عقله، وأحياناً يراه المحيطون به غائباً عن نفسه ومأخوذاً وشارداً لبه فيتعجبون من حاله ولا يستطيعون تفسيره، لأن الذى أخذه هو سيدنا ومولانا رسول الله ﷺ إذن هذا تفريد ثانى. يأخذ فيه وراثة محمدية من مقام الصديقية العظمى.

« ما صُبّ فى صدرى شىء إلا صببته فى صدر أبى بكر» فكل زمان له أبو بكر.

(١) سورة التكوير: الآية ٢٤.
(٢) سورة يس: الآية ٥٧.

لـكل عـصـر واحـــد يزهـــو بـه
وأنـا لـذاك الـعـصـر زيّاك الـواحـــد

وهـذا كـلام سـيـدى محى الدين بن عربى رضى الله عنـه وأرضـاه. فكل شيء تنزل إلى سدرة منتهى الكمالات يفيضه على مصدر الجمالات من عوالم الأرضيات والسماويات الذى أقامه الله عز وجل، وقوّاه على حمل تلك التجليات، ويعطيه كل شيء على طول، ويبدأ بعد ذلك التفريد الجديد لحضرة الحميـد المجيـد، فيفر من التجليات، ويهـرب من العـوالم النيرات، ولا يلتفت إلى أى كائن من الكائنات متوجهـاً إلى الكمالات الذاتيـة وإلى المقامات والمراتب القدسية وإلى الأنوار الربانية وهو يقول:

غـيـرى يمـيل إلى الجنان ويـرغب
وأنـا الـذى مـنـهـا أفـرّ وأهـرب

الكل طـمـعـا فى الجنـان تعـبـدوا
وأنـا الـقـتـيـل بحـبـه لا تـعـجـبـوا

الكل خـوفـاً من جـحـيـمك سـيـدى
صلّوا وصـامـوا عن رضـاك تحـجّـبـوا

نـار الجـحـيـم مع الرضـا هى جنّتى
أمـا الـنـعـيـم بـغـيـره لا أرغـب

فالملائكة تتعجب إذْ يفتحوا له أبواب الجحيم ليخوّفوه، فلا يلتفت، ويفتحوا له أبواب الجنان وألوان النعيم ليغرّوه ويختبروه، فلا تطرف عينه ويتمثل قائلاً:

أنـا لا أخـاف وحـقّـه مـن نـاره
كـلا ولا أبغى الجنان لـطيـبـهـا

فـالقـرب منه جنّتى ومـحـاسنى
والبـعـد عنـه ناره ولـهـيـبـهـا

وهذا هو الفرد المراد الذى بلغه الله عز وجل منازل القرب والوداد وسلمه علم الهداية والإرشاد وفتح له كنوز المنعم الجواد وقال له كما قال فى كتابه العـزيز: ﴿ **هـذا عطاؤنا فامنن أو امسـك بغير حسـاب** ﴾[٣].

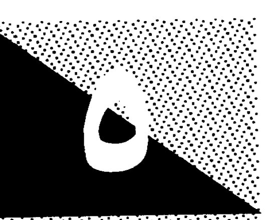
فيقول بلسـان الحال للسـادة الأبدال مكرراً حـديث رسـول الله ﷺ: «**الله المعطى وأنا القاسم**»[٤].

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

(٣) سـورة ص: الآية ٣٩.

(٤) رواه الشيخان وأحمد عن معاوية رضى الله عنه.





صلاحية القرآن لكل زمان ومكان

★ علم الاستنباط
★ تعليم الرحمن لأهل الإيمان
★ القرآن شفاء لأمراض المجتمع
★ علاج الإسلام لمشكلة العصبية
★ المجتمع الفاضل
★ روابط الأخوة الإيمانية

كان هـذا الدرس بمسجد قاسـم المصرى بمدينـة مغاغة مســاء يوم الإثنين الموافق ١٩٩٣/٧/٥م بعـد صـلاة المغـرب

صلاحية القرآن لكل زمان ومكان

الحمد لله الذى شرح صدورنا لكتاب الله، وهيّأ عقولنا للفهم الصحيح السليم المستقيم عن الله، وملأ قلوبنا حباً ووجداً وشوقاً لسماع كلمات الله تتلى فى كل وقت من الأوقات، ونسأله عز وجل أن نكون جميعاً من الذين إذا استمعوا إلى آيات الله زادتهم هدىً على هدى، وقالوا لبعضهم: ﴿ **أيكم زادته هذه إيماناً** ﴾[1].

والصلاة والسلام على نور القرآن، وبيان القرآن، ومُبيّن أسرار القرآن الذى آتاه الله من معانى القرآن، مثلما جعل فى القرآن حتى قال ﷺ: «**أوتيت القرآن ومثله معه**»[2].

اللهم صل وسلم عليه، وانفعنا بما أودعته لديه من معانى القرآن، وأسرار القرآن، كما نفعتنا جميعاً بما فى ظاهر القرآن، يا حنّان يا منّان يا رحمن.. آمين.. آمين يا رب العالمين.

سمعنا الآن فقرة من دستور ملك الملوك، وهذا الدستور لا يتخلف ولا يتغير، ولا يتبدل مع طول الأيام والسنين، وإنما يزيد حلاوة وطلاوة وجمالاً دائماً، لأنه كلام رب العالمين، والمعانى التى فيه، والآداب التى فيه مثل ما طولب بها محمد رسول الله والذين معه، فنحن مطالبين بها، والذين من بعدنا مطالبين بها، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

---

(١) سورة التوبة: الآية ١٢٤.

(٢) رواه أبو داود والترمذى عن المقدام بن معد يكرب رضى الله عنه.

والعجب الذى يسترعى الإنتباه، أننا لو رأينا العالم من أول رسول الله ﷺ إلى وقتنا هـذا، نجد تغييرات جذرية فى الحيـاة، وفى المبانى، وفى الزراعة، وفى الصناعة، وفى اللبـاس، وفى الأكل، وفى الشرب، وفى نظم الحكم، وفى الجيوش.

لكن من عجيب صنع الله، أنه كل ما يحدث شيء يستدعى أن يُغيّروا له القوانين؛ يجدون قوانين الله تصلح لكل عصر، ولكل زمان، ولكل مجتمع، ولكل جماعة، لأنها قوانين الله عز وجل، فليست محتاجـة لتفصـيلة جديدة، ولا محتاجة لشرح جـديد، ولا محتاجة لتقنين جديد، لأنها كلام الله عز وجل الذى يصلح لكل جديد مهما جدّ، لأنه يعرف هذا الجديد وجدّته، قبل أن يخلق هذا الكلام، وهذه يا إخوانى حاجة غريبة فى القرآن يلاحظها أهل الفكر فى هـذا الزمان.

فالناس المعدودين، المحدودين فى الزمن الأول يصلح لهم تشريع القرآن، والناس الذين فى زماننا والذين هم عندهم التليفزيونات والفيديوهات، وسفن الفضاء أيضاً يصلح لهم مثلما صلح لمن قبلهم دستور القرآن.

ومن يشك فى ذلك فهو خارج عن دين القرآن، فقد اختلفت العصـور، واختلف النـاس، لكن كلام رب النـاس لا يقـاس بمقياس ولا تتحـكم فيـه العقـول، وإنما هو الذى يتحـكم فى كل شيء، لأنه كما قال الله: **﴿لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها﴾**[3].

حتى الذّرة موجـودة فيـه، وحتى سفن الفضـاء موجـودة فيـه، أما الذرة وانقسام الذرة، وتفسـير الذرة ففى: **﴿فمن يعمل مثقال ذرة خـيراً يره﴾**[4].

(٣) سـورة الكهف: الآية ٤٩.
(٤) سـورة الزلزلة: الآية ٧.

مثقـال ذرة يعنى بعض ذرة، والذرة ظهـرت في القـرن الذى نحن فيه، فى بدايته، وعنـدما ظهرت لم يكونوا متصـورين أنهـا تنقسم لأنهـا أصغر شيء، ولكن فى هـذه الأيام، قالوا سبحان الله! إن كلام الله صحيح، فالذرة تنقسم، وتنشطر ولهـا أقسام، وأجزاء، وهـذا موضـوع آخـر.

وأما سفن الفضاء ففى: ﴿ **لتركبن طبقـاً عن طبق**﴾(٥).

طبق عن طبق هنـاك سفينة فضاء محطة اسمها «مير» يستريحون فيها، ثم يكملون ثانية، لكي يصلوا إلى أشياء هى محدودة فى علم الله وفى كون الله، وإن كانوا يظنون أنهم وصلوا إلى الذى لم يصل إليه أحد، وبعد ما رأوا هذه الأشياء ماذا حدث لهم؟.

﴿ **فمـا لهم لا يؤمنون** ﴾(٦)؟ لماذا لم يؤمنوا بعد ما رأوا هذه الأشياء كلهـا؟ ولماذا لا يخضعون لمعـانى القـرآن، وأسرار القـرآن، عنـدما تتلى عليـهم؟ وهـذا واضـح، ماذا بعـد ذلك؟.. مـا من شيء ظهـر، إلا وهو موجود فيه، حتى الأسانسير: ﴿ **ومعارج عليها يظهرون**﴾(٧)، معـارج أى أسانسير يصعد وينزل فيه.

(علم الاستنباط)

فكلِ صـغيرة أو كبيرة سـوف تظهر إلى يوم القيامة -موجودة فيه- لـكن من الذى يعرفهـا؟ ومن الذى يكشـفـها؟: ﴿ **لعلمـه الذين يستنبطونه منهم** ﴾(٨).

---

(٥) سـورة الانشقاق: الآية ١٩.
(٦) سـورة الإنشقاق: الآية ٢٠.
(٧) سـورة الزخرف: الآية ٣٣.
(٨) سـورة النساء: الآية ٨٣.

أى الجماعة الذين أعطاهم الله علم الاستنباط، وفى أى جامعة يدرس الاستنباط؟ وهل الاستنباط خاص بالفقه؟.

إنما الاستنباط هذا استنباط خاص بأصحاب رسول الله – وكانوا قائمين به، وهم لم يدرسوا أصول الفقه.

سيدنا على هل درس أصـول فقـه؟.. أبداً.. وهو الذى قال: «لا يوجد إلا فهم يفهمه العبد فى كتاب الله عز وجل» كيف يصل إلى هذا الفهم؟.

المهم أن أفهم من الآية – ماذا تطلب على قدرى؟.

لأننا نختلف فيـها، فعندما نتناول الآية، فالرجل المختص بعلم الأحياء يأخذها على قدر علمه، والمختص بالبلاغة يأخذها على قدر بلاغته، والمختص بالنحو يأخذها على قدر نحوه، والمختص بالچيولوچيا على قدر الچيولوچيا، فمثلاً:

﴿ وجعلنا من الماء كل شىء حى ﴾[٩].

لو فسرها الجماعة العلماء كل واحد بالعلم الخـاص به، فهى تحتاج إلى مجلدات، فالعالم الخاص بالهندسة يقول لنا كيف نبنى سدود وقناطر لكى نستفيد بالماء؟.

والعالم الخاص بالأحياء يبين أهمية الماء واحتياجاته فى وظائف الكائنات الحيـة، والخاص بالكيمياء يبين تركيبـة الماء، أى يتركب من كذا وكذا، ولو غيرنا التركيبة يحدث كذا، وهذا علم واسع لا يعلم مداه إلا الله عز وجل –وهو مـاء– لكن كيف يكون نطفة؟ وكيف يكون مـاءً مسجوراً يوم النشور؟: **﴿ والبحر المسجور ﴾**[١٠]، مسجور يعنى يغلى – كيف يغلى يوم القيامة؟.

---

(٩) سورة الأنبياء: الآية ٣٠.

(١٠) سورة الطور: الآية ٦.

يبين هذه الخاصية علم الكيمياء، والمختص بالشريعة -الذى هو مثلى- يبين الماء الذى ينفع أتوضأ به، والذى لا ينفع أن أتوضأ به.. والماء الذى يصلح للاغتسال، والذى لا يصلح للاغتسال، ومتى ينجس؟ ومتى يطهر؟. الماء النجس والماء الطاهر؛ يبين هذه الأنواع، فكل واحد يبين من جهة، وماذا نريد نحن؟.

نحن نريد أن نعلم أن الذى أنزل هذا الكلام ماذا يريد منه؟.

وليس ما أنا أريد، وهذا ما يريد، مثلما تأتى مذكرة أو قانون أو قرار، ونحتار فى تنفيذه، وكل واحد له وجهة نظر، ماذا نصنع؟.

نرسل مذكرة للجهة التى أرسلت ماذا تريدون بالضبط من هذا القرار؟.

هذا يا إخوانى ما يسمى بعلم الاستنباط.. فأهل الاستنباط هم الذين يرجعون إلى حضرة الأول، فيعلمهم مايريده من كتابه الأول عز وجل، فيسألونه فى المواجهة ماذا تريد من هذه الآية؟ فيقول أنا أريد كذا وكذا.. من أين هذا الكلام؟: ﴿ **الرحمن علم القرآن**﴾[11]. متى؟ قبل ما نأتى أو بعد ما أتينا؟.

إنه قبل ما نأتى.. لأنه بعد ما علم القرآن. ﴿**خلق الإنسان علّمه البيان**﴾[11].

(تعليم الرحمن لأهل الإيمان)

إذن تعليم الله لنا؛ كان قبل الخلق، ونحن كلنا تعلمنا هذا التعليم، يعنى الحمد لله نحن كلنا تعلمنا معانى القرآن، وأسرار القرآن، وأنوار القرآن، من مواجهتنا للحنان المنان، قبل خلق آدم.. بمجرد ما تلى علينا كلامه، ظهرت علينا أسراره، ومشت فى قلوبنا أنواره، لكن لما الواحد ينزل إلى الدنيا

(١١) سورة الرحمن: الآية ١-٤.

يشتغل بها شيئاً ما، وتأخذه المشاغل والمشاكل، يقوم يحصل ما يسمى باللبس: ﴿**بل هم فى لبس من خلق جديد**﴾[١٢] هل يوجد خلق جديد؟.. نعم قبلها.. ﴿**أفعيينا بالخلق الأول، بل هم فى لبس من خلق جديد**﴾[١٢].

فالخلق الأول هو خلق الروح، ولم يكن شيء يشغلها أو يغيّرها أو يبدلها وعندما أدخلها في هذه الركوبة وهي تريد بضاعتها لأنها من أين تأكل؟ من الأرض. من أين تشرب؟ من الأرض. من أين تلبس؟ من الأرض. أين تنام؟ على الأرض، فانشغلت بالأرض.. فعطلت شيئاً ما أسلاك الاتصالات الإلهية، وجعلتها تصدأ شيئاً قليلاً، فالحرارة قلت.. فنسى الإنسان ما علّمه الرحمن من حضرة العلم الأول، ولذلك لما أتى آدم عصى لماذا؟: ﴿**فنسى ولم نجد له عزما**﴾[١٣]. وهذا نفس الأمر معنا أيضاً.

متى يعصى الإنسان؟.

عندما ينسى المعانى التى سمعها، والأسرار التى حصّلها، والأنوار التى تحقق بها. والعزيمة فى هذه اللحظات تتخاذل شيئاً فشيئاً لأن الذى يقوّى العزيمة ما هو؟ علوم الإيمان، وأسرار الإيقان، ونور حضرة الرحمن الموجود فى قلوب المؤمنين. هذا الذى يقوّى عزيمتنا يا إخوانى، عند طاعة الله عز وجل.. ولذلك لما أتى النبى قال له الله عز وجل أنت لا تعلّمهم: ﴿**فذكّر إنما أنت مذكّر**﴾[١٤] أى أنت تفكرهم بالذى سمعوه وتعلموه هناك، لأنهم سمعوا فى الأول هذه المعانى وهى موجودة فى الصدور حتى عندما يسمع الواحد من هذا أو من هذا لا يرتاح ولما يسمع الكلمة التى سمعها فى الأول أو المعنى الذى أسمعه الأول يقول: ارتحت لهذا الكلام. لماذا ارتاح؟.

---

(١٢) سورة ق: الآية ١٥.

(١٣) سورة طه: الآية ١١٥.

(١٤) سورة الغاشية: الآية ٢١.

لأن ما سمعه الآن؛ هو الذى سمعه أولاً، فارتاح صدره لما علّمه الأول عز وجل قبل الزمان وقبل المكان وقبل خلق الأكوان..

نحن الآن، كل الموضوع أننا نفكر ونذكر بما علمه لنا جميعاً حضرة الرحمن.

لكن كلنا والحمد لله تعلمنا من لدن الله، كتاب الله، وأسرار الله، وأنوار الله. ولكننا محتاجين للذى يفكرنا لكى نسير على ضوئها فى هذه الحياة، حتى أن الإنسان لو وجد فى زمان أو مكان ليس فيه زينة، ولا زخارف، ولا حظوظ، ولا أهواء، ولا شىء يشغله عن الله، سنجده على الفطرة التى فطر الله الناس عليها.

وما الذى يغيّر الفطرة؟ الحديث يقول: «**كل مولود يولد على الفطرة**»[١٥].

وما الفطرة التى فطر الله الناس عليها؟:

ذلك الدين القيم: « **فأبواه يهوّدانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه**»[١٥].

فهم الذين يغيّرون.. لكن لو تركوه، فهو آخذ الدين القيم من الأول.

فهذه فطرة الناس كلها.. الإسلام.. لكن الذى يغيّره ويبدّله، هى الأحوال التى نحن فيها، والمتغيرات التى نحن فيها، لكن كلام الله عز وجل لا يتغير ولا يتبدل ولا يتحول، لأنه أودع فى مهج القلوب وليس فى ظاهر القلوب.. إنه موجود فى مهجة القلوب.

---

(١٥) رواه مسلم عن أنس رضى الله عنه.

(القرآن شفاء لأمراض المجتمع)

فعندما نرى القانون الذى سمعناه اليوم لكى لا نطيل عليكم.. أحضر القانون، وأحضر النتيجة المترتبة على القانون.. وما القانون؟..

كان أهل الجاهلية. كل عائلة تمسك ببعضها.. أنا ابن فلان، وجدى فلان، وخالى فلان، نظام الجاهلية، والعائلات بينها وبين بعضها خلافات ومنازعات ومشاكل وثأر، وهذه العصبية الجاهلية هى التى كان بسببها معظم المشاكل التى وجدت فى المجتمعات التى قبل الإسلام - ما الذى جعل الرجل يدفن ابنته، حية؟ لأنه كان يريد رجلاً يحارب معه وخائف من البنت أن تأتى له بالعار، وهذه العصبية الجاهلية عندما أتى الإسلام، والإسلام شفاء من أمراض المجتمعات وأمراض الإنسان، وأمراض البيوت، وأمراض الدول، وأمراض الإنسانية كلها. مثلما ترون الآن، يضربون بعضهم البعض، ويضطهدون بعضهم، ويغتصبون بعضهم البعض.. ولن يرجعوا عن هذا الأمر، إلا إذا رضوا بحكم القرآن، وأعادوا أحكام القرآن، وسوف يرجعون إليها إن شاء الله، برضاهم أو مضطرين، يقول لهم:

﴿ لا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلاً ﴾[١٦].

فلم يسمعوا الكلام، فأصيبوا (بالإيدز)... فأصبحوا الآن يبعدون عن الزنا ويطبقون آيات القرآن، ولكنهم مأزورين، غير مأجورين.

أما أنتم فتطبقونها وأنتم مأجورين.. هم خائفون من الزنا لكى لا يصابوا بالمرض، لكن أنت تطبق هذا الأمر، لأنه شرع الله، ودين الله عز وجل.

﴿ وأحل الله البيع وحرّم الربا ﴾[١٧]، قالوا سوف نمشى فى الربا، وهذا سبب المشاكل بين دول العالم كلها، وهو سبب التضخم، والمديونية الكبيرة والإفلاس، وهو سبب كل المشاكل... وما الحل؟.

---

(١٦) سورة الإسراء: الآية ٣٢.

(١٧) سورة البقرة: الآية ٢٧٥.

قالوا الحل أن تكون بنوك بدون ربا.. حصل فى سويسرا، بنوك بدون ربا، ثم فى أمريكا بدأوا يفكرون فيها الآن، لأنهم لازم يرجعوا للقرآن، ولكن مأزورين غير مأجورين.

﴿ **وقرن فى بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى**﴾[١٨].

أنتن تجلسن فى البيت، وهو عليه الباقى، لأنه هو الذى أمرناه، وكلّفناه بذلك فعليه السعى.

﴿ **ولا يخرجنكما من الجنة فتشقى**﴾[١٩]. قالوا: لا... نريد أن نخرج، ونتزخرف ونعمل.. فزادت النفقات، وزادت المصاريف، وأصبح الجيل الجديد بلا تربية.

زادت الأمراض، لأنهم لا يرضعون الأولاد.. مشاكل من غير حساب، كيف نحلها؟.. الآن فقط يريدون أن تجلس المرأة فى المنزل.. وهذا كلام من الأول إنه كلام الله عز وجل، فالقرآن هو الشفاء الوحيد لكل مشكلات البشرية.

(علاج الإسلام لمشكلة العصبية)

فلما جاء رسول الله ليحل هذه المشكلات.. كيف قام بحلها؟.

بالقرآن، فقد وجد أن أساس معظم المشكلات هى العصبية، ربنا قال خذ هذه الروشتة: ﴿ **المؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض**﴾[٢٠]، يعنى هذه عائلة واحدة، ليست عائلة فلان أو غيره، لها أب واحد ولها أمهات، والباقى إخوة.. الأب مَن؟

---

(١٨) سورة الأحزاب: الآية ٣٣.
(١٩) سورة طه: الآية ١١٧.
(٢٠) سورة التوبة: الآية ٧١.

﴿ النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم﴾[٢١].

لما يكون أزواجه أمهات المؤمنين، فماذا يكون هو؟.. أب.. حتى الواحد لو أمه تزوجت غير أبيه، فالإسلام يقول إنه أبوه: **﴿وربائبكم اللاتى في حجوركم من نسائكم اللاتى دخلتم بهن﴾**[٢٢].. يعنى فى مقام الأب، والقراءة فوق السبعية:

« النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم، وهو أب لهم، وأزواجه أمهاتهم» فهذا الأب، وهؤلاء الأمهات -وليس أم واحدة- وهم: **﴿إنما المؤمنون أخوة﴾**[٢٣].

هذا هو النسب الذى بيننا، والله عز وجل يقول يوم القيامة: **«وضعت نسباً، ووضعتم نسباً »**[٢٤].

والعصبية ليست فينا، قال رسول الله ﷺ: « **ليس منا من دعا إلى عصبية**» فى أى أمر من الأمور، سواء كانت عصبية فى الدين أو فى السياسة أو فى الكورة أو فى الصوفية – شيخنا وشيخكم وطريقنا وطريقكم- أو عصبية فى العلوم، هذا أخذ من الشيخ فلان والآخرين – لا – وهل واحد فقط هو إمام المسلمين، وشيخ المسلمين؟..

لا، كلهم مشايخ الإسلام، وكلهم على العين والراس، وكلهم جدّدوا واجتهدوا فى دين الله، وكلهم أخلصوا العمل ابتغاء وجه الله، والذى اجتهدوا فيه الأشياء التى هى غير واضحة كل الوضوح فى الأصل الأول، وهو كتاب الله أو فى الأصل الثانى، وهو سنة رسول الله ﷺ.

واختلفوا لماذا؟:

---

(٢١) سورة الأحزاب: الآية ٦.

(٢٢) سورة النساء: الآية ٢٣.

(٢٣) سورة الحجرات: الآية ١٠.

(٢٤) أخرجه الطبرانى فى الأوسط والحاكم فى المستدرك من حديث أبى هريرة رضى الله عنه.

لكى يسعوا الناس لأن الناس طبيعتهم مختلفة، وأمزجتهم مختلفة، وبيئاتهم مختلفة، فكل واحد يأخذ ما يلائمه، وكل بيئة تأخذ ما يلائمها، وكل طبيعة تأخذ ما يلائمها، وكله من أين؟.. من كتاب الله عز وجل.

لكن لا يوجد فى الإسلام عصبيات يا إخوانى فى هذه الأمور: **﴿والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض﴾**[٢٦]، أولياء بعض؛ يوالون بعض فى أعمال البر، وعمل الخير، وعمل المعروف، لأنه لا توجد بينهم عداوة أبداً.

ربنا عالم أن المؤمنين لا يوجد بينهم وبين بعض فى صدورهم؛ لا أحقاد ولا أحساد، ولا بغضاء، ولا كراهية، ولا عداوة أبداً، لأن هذه صفات الجماعة المنافقين، والجماعة الكفار والعياذ بالله.

(المجتمع الفاضل)

لكن الجماعة المؤمنين مثلما قال الله فيهم: **﴿ ونزعنا ما فى صدورهم من غل إخواناً على سرر متقابلين﴾**[٢٧]. وهذه الموعظة أنزلها الله، وقال انتبهوا: **﴿ قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما فى الصدور﴾**[٢٨].
وكل المشاكل سببها مرض فى الصدور.. إن سبب الخلافات والمشاكل والمنازعات — حاجات فى الصدور، فالمؤمنون صدورهم سليمة لله عز وجل، فيوالون بعض، ويجيرون بعض ويكملون بعض، ويوادون بعض، ويرحمون بعض، لأن هذا أمر الله، وشرع الله، ونهج الله فى كتاب الله عز وجل وفى سنة رسول الله ﷺ حتى أنه عمل من الجماعة الذين جاءوا من كل الجزيرة العربية، عائلة واحدة، لأن المهاجرين لم يأتوا من مكة فقط،

(٢٦) سورة التوبة: الآية ٧١.
(٢٧) سورة الحجر: الآية ٤٧.
(٢٨) سورة يونس: الآية ٥٧.

وإنما من كل مكان فى الجزيرة العربية، كانوا يأتون مهاجرين، لكنه عمل منهم عائلة واحدة وقال هذا هو النموذج الذى تمشون عليه فى كل زمان ومكان، وفى كل بلد والعائلات التى فيها تلغى فى الحقيقة والمعنى، فهى موجودة بشهادة الميلاد، ولكن فى الحقيقة والمعنى كلنا أخوة ومسلمين وموحدين ومؤمنين، وكل واحد فى المسلمين أكبر منى يكون فى مرتبة الوالد.. وكل واحد من المؤمنين أصغر منى فى مرتبة الإبن.. وكل واحد من المسلمين مساوٍ لى فى مرتبة الأخ..

فالأكبر منى أقول إنه أحسن منى، لأنه سبقنى بطاعة الله عز وجل، والذى هو أصغر منى أقول إنه أحسن منى لأننى سبقته بمعصية الله عز وجل.. والذى مثلى المساوى لى إن كان عالماً، أقول إنه أفضل منى، لأنه عالم وأنا جاهل.. وإن كان جاهلاً، أقول إنه أفضل منى لأنه من الجائز أن يُقبَل عذره لجهله، أما أنا فلا عذر لى.

هذه نظرة الإنسان المؤمن، الماشى على هدى الله وشرع الله..

يرى أن الكل أفضل منه، قال رسول الله ﷺ: «**يا أبا بكر لا تحقرن من المسلمين أحداً، فإن صغير المسلمين عند الله عظيم**»، فالصغير الذى لا ننتبه له.. له مكانة عظيمة، حتى الذى لم يصلِّ بعد!.. نعم.. أين هذا الكلام؟.

قال ﷺ: «**إن الله ليهم بأهل الأرض عذاباً، فينظر إلى صبيان المسلمين فى المكاتب، فيرفع البلاء عنهم**»[٢٩]. فمن أجل من يتعلمون القرآن.. لا داعى للعذاب، فبمكانتهم يرفع الله البلاء.. وهم أطفال صغار.. حتى كان الجماعة الناصحين أهل زمان، لما كانوا يريدون قضاء حاجة، كانوا يذهبون للأولاد الذين فى الكتاب يحفظون القرآن، ويحضرون لهم شيئاً من الحلوى، ويقولون لهم إقرأوا الفاتحة لعمكم فلان؛ لكى تقضى حاجته،

(٢٩) رواه الطبرانى عن معاذ بن أنس رضى الله عنه.

ويسهّل الله عز وجل له لأنها قلوب تقية، نقية، لم تدنس بالمعصية ولا بالإثم، ولا بالذنب، ففوراً كلامها من القلوب إلى حضرة علام الغيوب، وأيضاً الكبار حتى ولو كانوا غير متعلمين، فنحن مرحومون بهم.

وحتى البهائم التي تربت معنا جماعة المسلمين، رحمة للعالم كله.. غير بهائم الكفار: « **لولا أطفال رُضّع، وشيوخ رُكّع، وبهائم رُتّع، لصب عليكم العذاب صباً** »(٣٠). إذن ما الذي يدفع البلاء؟.

ليس الذين يتعلمون مثلي فلم يقل العلماء، ولم يقل الذين يصلون كثيراً، إنما الشيوخ الكبار، لماذا؟.

لأنهم لهم مكانة عند الله عز وجل، حتى أنه يقول ﷺ:

« **إذا شاب المرء في الإسلام، استحى الله أن يعذبه من أجل شيبته** »(٣١).

كأنه يقول إنه له مدة خدمة كبيرة عندنا.. كيف أعذبه؟ فالذي له مدة خدمة كبيرة في الإسلام، إذا كان الله يستحي أن يعذبه.. أؤنبه أو أوبخه.. أو أقول له أنت جاهل، وأنت كذا وكذا.. هل هذا أدب الإسلام؟ وهل هذا أدب الإيمان؟ افرض أني رأيته على أمر غير سوي، فكيف أنصحه؟..

بالطريقة السوية، والآداب الإسلامية المرضية، مثل ما فعل الحسن والحسين عندما وجدا الرجل الكبير لا يعرف كيف يتوضأ، هل قالوا له أنت جاهل؟ أو لا تعرف كيف تتوضأ؟.. أو أن صلاتك لا تنفع.. لا — قالوا له يا عم تعالى انظر مَن منّا يتوضأ أحسن؟ لأننا مختلفون مع بعض، فلما رآهم قال لهما: إنما أنا المخطيء في الوضوء، وهذا نفس الأمر يا أخي، المفروض أن يكون معنا كذلك.

---

(٣٠) رواه الطيالسي والطبراني وابن منده وابن عدي عن أبي هريرة رضي الله عنه.
(٣١) أخرجه السيوطي في الجامع الكبير عن ابن النجار.

نحن ذرية بعضها من بعض، فنحن ذرية الحسين، ونحن ذرية الحسن، وذرية على، وذرية عثمان، لأن هؤلاء جمعهم الإسلام، وجعلهم أخوة، وهؤلاء كلهم إخواننا: ﴿**محمد رسول الله، والذين معه**﴾[٣٢].

مَن هؤلاء؟.

نحن والذين من قبلنا، والذين من بعدنا، وكلنا مع بعض: ﴿**إنما المؤمنون إخوة**﴾[٣٣]. فالكل إخوة، حتى أنه اشتاق لنا نحن، قال: «وا شوقاه لإخوانى الذين لما يأتوا بعد»، أى أرى إخوانى الذين يأتون بعد ذلك، سيدنا عمر قال له: ألسنا إخوانك؟ قال: «**أنتم أصحابى، أما إخوانى، فأناس من أمتى يأتون آخر الزمان، آمنوا بى ولم يرونى**»[٣٤]. آمنوا بى ولم يرونى، وأنا نفسى أراهم.. فهم أخوة واحدة يا إخوانى.. دائرة واحدة على طول.. ولذلك لما ترى واحد يمشى مستقيم قليلاً، يرى أخوه الحسين جاء ينصحه فى المنام بأمر من الأمور.

وإنما هو أخ كبير وليس أخٌ مثلى، والأخ الأكبر فى مقام الوالد، أو أخوه عمر بن الخطاب جاء ينصحه، أو أخوه عثمان بن عفان، جاء يوضح له أمر من الأمور، لأن الأخوة ارتبطت.

فالأخ الذى مثلى على قدرى، على قدر بلده، والأخ الذى يزيد فى المجهود يعرف أهل المركز كلهم.

والذى يزيد فى الاجتهاد يعرف أهل المحافظة، والذى يزيد يعرف أهل الجمهورية والذى يزيد يعرف أهل البلاد الإسلامية، والذى يزيد يعرف السابقين، وهذه معرفة القلوب وموجودة عند أهل الإيمان يا إخوانى والحمد لله.

---

(٣٢) سورة الفتح: الآية ٢٩.

(٣٣) سورة الحجرات: الآية ١٠.

(٣٤) رواه مالك فى الموطأ عن أنس رضى الله عنه.

(روابط الأخوة الإيمانية)

هذه الأخوة التى بيننا وبين بعض، الإسلام وضع لها روابط، ووضع لها ضوابط وأمرنا أن نطبقها، وجعلها حق وقال: «**حق المسلم على المسلم**»(٣٥) فالحق إن لم يفعله يشتكيه يوم القيامة ويطالب بحقه منه.

(تحية الإسلام علاج لداء الحقد)

ما حق المسلم على المسلم؟.. أن يسلم عليه إذا لقيه.. فإذا لم يسلم عليه.. تصبح قضية.. وينظر فيها يوم القيامة.. كيف تمر على المسلم ولا تلقى عليه السلام؟.

وأن يسلم عليه إذا لقيه.. كيف يسلم؟ وهذا ما تحفظون بنوده لأنه أمر مهم فالسلام علاج.. لماذا يا رسول الله؟.. قال إنه برشامة نزع الحقد من القلوب: «**يا أبا هريرة افش السلام على مَن عرفت، ومَن لم تعرف، ينشرح صدرك للإسلام**»(٣٦). فهو البرشامة التى تشرح صدر الإنسان للإسلام، لكن إن نظرت إلى هذا وكشَّرت، وحولت وجهى للناحية الثانية، عكَّرت صفو إيمانى، وعكَّرتِ نور إيقانى الموجود فى القلب.

لكن الق السلام على مَن عرفت ومن لم تعرف، ولا تتقيد بالآداب كثيراً، فقد تمر على صبيان صغار، وتقول إن الصغير يسلم على الكبير، لكن الرسول ﷺ كان يلقى السلام على الصبيان، فكان لا يمر على الصبيان إلا ويلقى عليهم السلام.. لماذا؟ ليعلمهم – لأنهم لا يعلمون، وأنت لازم تفترض أن الكل لا يعرف. ولا تضيّق الأمور كثيراً بل تطبق القوانين مثلما أتت – فإنها أتت وبها مرونة.. لماذا؟ لأن الله يعلم هذه الظروف..

---

(٣٥) رواه الترمذى وابن ماجه وأبو داود عن أنس رضى الله عنه.

(٣٦) رواه أحمد وابن حبّان والحاكم عن أبى هريرة رضى الله عنه.

افرض أنا ماشى وواحد راكب، والمفروض أن الراكب يسلم على الماشي، لكنه لم ينتبه، فلاشىء لما أسلم أنا عليه، **فأقول السلام عليكم ورحمة الله**، فينتبه للخطأ الذى ارتكبه ولا يعود له أبداً.

وسأل أحد الجالسين: ولو كان أخ أو ابن عم حاقد عليّ، **أألقى عليه السلام؟ قال الشيخ عفا الله عنه:**

نعم ربنا قال لهذا ولأمثاله: **﴿قل موتوا بغيظكم﴾**[37]، فكلما أُلقى عليه السلام يموت غيظاً أكثر، وما فى ذلك؟.

إن الذين معه يردّون السلام، أنت تقول السلام عليك أو تقول السلام عليكم؟ تقول عليكم.. لأن الجماعة الذين معه يردون السلام، أليس معه موظفين موجودون يردّون السلام، وبعد ما يردّ هؤلاء، ماذا تريد بعد ذلك؟.

فهو يرد أو لا يرد، ليس مهم، فهو إذا ردّ عن نفسه يأخذ الأجر، وإذا لم يردّ، فعليه وزر، لكن أنت تلقى السلام من أجل إخوانك الذين معه، لأنهم إخواننا أيضاً – إخواننا الملائكة ـ يدعون لنا هناك، ويستغفرون لنا هناك: **﴿الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به، ويستغفرون للذين آمنوا﴾** ويقدمون عريضة طويلة لله **﴿ربنا وسعت كل شىء رحمة وعلماً فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم، ربنا وادخلهم جنات عدن التى وعدتهم﴾**. هم فقط.. لا **﴿ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم﴾**[38].

يدعون لك ولأبيك ولأجدادك، ولإخوانك، ولأولادك، وذريتك..

من هؤلاء؟:

الملائكة.. لأنهم إخواننا فى الإيمان.. كيف؟:

(٣٧) سورة آل عمران: الآية ١١٩.
(٣٨) سورة غافر: الآية ٧.

﴿ وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً ﴾[39].

أى أنت للكل، فالملَك المؤمن أخى، والجن المؤمن أخى.. ولا يؤذوننى.

والذى يؤذى هو الجن اليهودى والكافر الجاحد، وهم أمم مثلنا، منهم المسلمون ومنهم الكافرون، منهم اليهود، ومنهم النصارى، وإن كنا لا نراهم، لكنهم أمم أمثالنـا..

فالجن المؤمن أخوك، عندما تقرأ القرآن يأتى ويسمعك، ولكن لا يظهر لك نفسـه، لكى لا ترعب من منظره، والملك يأتى ويسـمـعك ويجلس بجوارك، لكن لا يظهر لك نفسه لكى لا ترعب منه، ولو أنت قلبك ثبت قليلاً، ترى أخوك هـذا، وترى أخوك هـذا، وتعامله، وتكلمه، ولا يحـدث أى شىء.

﴿ إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة﴾[40].

فينزلون ليجالسوهم، ويحادثوهم، أما الشياطين الكافرين فينزلون على الذين مثلهم.

﴿ هل أنبئكم على من تنزل الشياطين؟ تنزل على كل أفاك أثيم﴾[41].

أخوك لازم تسلم عليه إذا لقيته، وتعلم أولادك عندما يدخلون البيت لازم يلقون السلام، وإذا خرجوا لازم يلقون السلام، وهذا مثل هذا – ماشى يقول السلام عليكم، وداخل يقول السلام عليكم.

هل الصبيان فقط؟.

لا.. الصـبيان والبنات والسـيدات وكذا زوجتى داخـل المنزل، وأنا داخل المنزل، لازم أقول لهـا السـلام عليكم، وهى إذا دخلت علىّ تقـول السـلام عليكم، أختى، ابنتى، عمتى، خالتى، اللائى هنّ المحرمات التى ذكرها الله عز وجـل.

---

(39) سـورة سبأ: الآية 28.

(40) سـورة فصلت: الآية 30.

(41) سـورة الشعراء: الآيتان 221، 222.

ألقى عليهن السلام.

أسلم عليه إذا لقيته، فإذا لم أسلم عليه فسترفع فيّ مذكرة إلى المحكمة الإلهية، وينظر فيها أمام رب البرية عز وجل، إلا إذا هو سامحنى.

(العطاس والتثاؤب)

وأشمته إذا عطس، لما سيدنا آدم دخلت فيه الروح، فعطس فقالت الملائكة بعد ما قال: الحمد لله.. قالوا: يرحمك الله يا آدم، فجاء النبى وقال: **«العطاس من الرحمن، والتثاؤب من الشيطان»**[٤٢].

فالذى يتثاءب يغلق فمه، وإذا كان فى الصلاة، يحاول أن يضغط على أسنانه حتى لا تفتح، فيمسك نفسه لأنه من الشيطان.

وأخوك إذا عطس يقول: الحمد لله، فإذا لم يفطن، تقول له: قل الحمد لله، فتقول له: يرحمك الله، ثم يقول لك: هدانا وهداكم الله، أو يقول: غفر الله لنا ولكم وللمسلمين أجمعين.

وأعلّم أولادى وبناتى وزوجتى لكى يُشمّتوا بعض، أى يرحمون بعضو

أخى المؤمن عطس بجوارى، وقال الحمد لله، ولم أقل له يرحمك الله، أصبح حق من حقوق الإسلام تركته، وأنا معرض للمسائلة فيه، إلا إذا أقالنى وسامحنى.

(عيادة المريض)

فزيارته واجبة، وإن لم أذهب إليه، يأتى ربنا نفسه ويقول تعالى: **«عبدى مرضت فلم تعدنى، يقول: سبحانك تنزّهت! كيف تمرض، وأنت رب العالمين؟ فيقول: مرض عبدى فلان، ولو زرته لوجدتنى عنده»**[٤٣].

(٤٢) أخرجه البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه.

(٤٣) أخرجه مسلم من حديث أبى هريرة رضى الله عنه.

أذهب لمن أزوره؟.

قال رسول الله ﷺ: « **امش ميلاً وعُدْ مريضاً** »[٤٤] عندك ميل مربع، يعنى ٢ كيلو متر إلا ربع من اليمين والشمال، والشرق والغرب، فأىّ واحد يمرض فيهم، المفروض أنك تزوره، لكن كيف أزوره؟.

هذا موضوع آخر، وأدب ثانى، ليس لدينا وقت لشرحه بالتفصيل.

نزوره متى؟.

قال بعد ثلاثة أيام، لأن أقل من ثلاثة أيام يكون المريض لم يثبت مرضه، فإذا زاد عن ثلاثة أيام فهذا هو المريض، المفروض أن يزار. كيف تزوره؟.

أذهب لزيارته للحظات: « **زُرْ غبـاً، تَزْدَدْ حُبـاً** »[٤٥]، لا أجلس ساعة أو نصف ساعة، بل خمس دقائق أو عشر دقائق، وأضع يدى مثلما علمنى رسول الله على رأسه، وأجلس أطيّب خاطره، وأرفع روحه المعنوية، لأن ثمانين فى المائة من الأمراض يكون من الحالة النفسية.

وإذا كان فى المرض الأخير، أنفّس له فى الأجل، وأذكر له الأعمال الصالحة التى عملها فى الدنيا لكى يفرح بلقاء الله عز وجل.

هل آخذ كيلو فاكهة؟.

قال لا، هذا أمر ثانى، الكيلو تأخذه للفقير الذى يشتهى شيئاً ولم يجده، فالرسول كان يقول له ماذا تشتهى؟.

يقول: أشتهى تمراً، فيحضره له، أما إذا كان غنياً، فيقول لأولاده: اشتروا له.

لكن يأخذ لمن؟.

---

(٤٤) رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب الإخوان عن مكحول مرسلاً.
(٤٥) رواه البزار وأبو نعيم والعسكرى فى الأمثال والبيهقى فى الشعب من حديث أبى هريرة رضى الله عنه.

للفقير، الآن الحكاية تغيرت، الغنى يذهب له النـاس كلهم، حاملين وهو لا يحتاج، والفقير لا أحد يذهب إليه.

نظام الإسلام أمرنى أن أعطى للفقير، وأعطى له ولا أنتظر الرد.

وليس أعطيـه كيلو فاكهة، وأكتبه عنـدى، وعندما أمرض ولم يحضره لى أقول لمـاذا لم يحضر الـكيلو الذى أخـذته له أو الخمسـة جنيهـات التى أعطيتهـا له؟.

لأنى أعطيه لله، لكى أقوم بالحق الذى أوجبه الله عز وجل.

وسوف نجمل الحقوق حتى لا نطيل:

يعوده إذا مرض، وعندما يزوره يحاسبه عليها بنفسه الله عز وجل، يعطيه، ويعينـه إذا احتاج، فإذا لم يعطـه يقول الله: «**عبـدى جعت فلم تطعمنى، يقـول سبـحانك تنزهت! كـيف تجـوع وأنت رب العالمين؟ يقـول جـاع عبدى فلان، ولو أعطيته لوجدت ذلك عنـدى**»[٤٦] أى أنا الذى أكافئك على هذا الأمر، وأيضاً المكان الذى أنتم فيـه، أى واحد يبيت جوعان، تصبحون كلكم مسؤولون إلا إذا واحد قام بالمهمة عنكم، لأنها فرض كفاية، فليس عليكم شىء.

أما إذا لم يقم أحد أبداً تصبحون كلكم مؤاخذين ومحاسبين لقـوله ﷺ: «**لا يؤمن أحدكم وقد بات شبعان، وجاره جائع ولم يشعر به**»[٤٧].

يعنى لازم نتفقد أحوال إخواننا المؤمنين، نرى هذا المحتاج، وهذا البائس، لأننا كلنا أسرة واحدة، أسرة المؤمنين والمسلمين.

وعنـــد الموت، لازم نشـيّع الجنـازة، ولا أذهب من أجـل فلان، حتى لا يغضب منى، لكن أنا أذهب لله، ولأن أخى له حق فى رقبتى، فلو لم

(٤٦) أخرجه مسلم من حديث أبى هريرة رضى الله عنه.
(٤٧) رواه الحاكم عن أنس رضى الله عنه.

أحضر جنـــازته، يجىء يوم القيامة يقــول يا رب، فلان هـــذا كان رفيقى فى الدنيا، ويصلى معى فى المسجد، ولم يشيع جنازتى، وليس له عذر نسامحه من أجله.

وعندما تحضر، فإن الله سوف يعطيك الأجر.

فالذى يصلى يأخذ قيراط، والقيراط فى الجنة كجبل أحد، والذى يحمل فى الجنازة له قيراط، والذى يمشى فى الجنازة له قيراط، يعنى الذى يصلى ويمشى ويحمل يأخذ ثلاثة قراريط، وأيضاً الذى يصلى يقول النبى ﷺ لله:

« مَن صلى على ميّت كتب له مثل أجره ».

أى يخرج له شيك بعمل صالح، مثل عمل الميت تماماً بتمام.

الحب فى الله

★ معنى الحب فى الله
★ نتائج الحب فى الله
★ نماذج الحب الصادق

هذا الدرس كان بمنزل الحاج ربيع الصعيدى بمدينة مغاغة بالسهرة بعد صلاة العشاء يوم الإثنين الموافق ١٩٩٣/٧/٥م.

الحب فى الله

الحمد لله الذى رزقنا الحب الخالص لوجهه الكريم، والصلاة والسلام على نبى المحبة، الذى ألّف الله به بين الأحبة، فجعلهم خير أهل القربة... وبعـد.

فإن الحب فى الله يا إخوانى أجـلّ بغيـة يطلبهـا المقربون، لأن المحبـة هِى التى تنمى أشواقهم إلى الله، وبها يستلذون بعبادة الله، وطاعة الله، وبها تهون عليهم المصائب التى تنزل بهم فى هذه الحياة.

فلولا الحب ما استطاعوا المجاهـدات، ولا المـكابدات، ولا العبـادات، ولا القيام بالأعمال الفاضلات لله عز وجل، ولذلك أعلى وسام تفضل به الملك العلام على أنصار النبى عليه الصلاة والسلام هل هو وسام الصـلاة، أم الزكاة أم الحج أم اللحى أم الجلباب الطويلة أم السواك؟ لا هذا ولا ذاك..

ولـكـن: ﴿ **يحبون مَن هاجر إليهم ولا يجـدون فى صـدورِهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسـهم ولو كان بهم خـصاصـة، ومَن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون** ﴾[1].

فـأول شىء مَدَحـهم به، أن هؤلاء الجمـاعـة عندهم حب غـريب لله وعجيب، حتى أنهم جعلوا الأجنبى كـأقرب القـريب، فـالأجنبى عنهم يشاركهم فى المال والولد والبيت، وكل شىء يملكونه.. بماذا؟.

بالحب، وأيضاً الصـلاة لا تنفع إلا بالحب، فالذى يصـلى وهو كـاره هـل تنفع صـلاته؟.

---

(١) سـورة الحشر: الآية ٩.

الذى يصوم وهو مضطر ومكره هل ينفع صيامه. لا.

والذى يحج رغماً عنه هل ينفع حجه؟ لا.

إذن أى أمر من العبـادات لا ينفـع بالإكراه، إن لم يكن أولاً بالحب، فلا ينال القبول من الله عز وجل، فكما أن قليل من الملح يصلح الطعام.

فقليل من الحب لله يصلح العبادات للملك العـلام، ومن غيرها لا ينال الإنسان شيئاً. بل إن الترقى فى العبادات يتوقف على درجة الحب التى وصل إليها العابد لله عز وجل، فكلما زاد حباً، كلما زاد قرباً لله سبحانه وتعالى، وكلما زاد حبـه، كلما زاد خشوعه وزادت هيبتـه وجـلاله لذات المحبـوب عز وجـل.

والحب الذى يعطيه لنا الإسـلام، والإيمان، حبٌ لله خاص لا يجده الناس إلا عند رسول الله، فهو الذى يجعل الناس فى بهجة بدين الله، وبنور الله، وبالإيمان بالله عز وجل لأن الناس غير المسلمين أو الناس المسلمين الذين لم يصلوا إلى مرتبة اليقين، حبّهم معلول فهو حب لعلة، فالذى يحب المال لذات المـال، والذى يحب واحد لمصلحة يقضـيها من هـذا الواحد، وإذا انتهت المصلحة لا يعرفه، فهـذا يحب نفسـه، ولا يحبـك إلا لمصلحة، فإذا انتهت لا يعرفك، إذن هو يحب المصلحة، ويحب نفسـه، وهـذا هو الحاصـل اليوم. فأمريكا وانجلترا وفرنسـا وألمانيـا وروسيا واليابان لا يحـبون إلا المصلحة، وهو مبدأ المنفعة أو بلغتهم برجماتزم "Pragmatic" ، فإذا كان له منفعة يتدخلون، وإذا لم توجـد منفعة لا يتدخل، لأنه لا دين، ولا مبـدأ، فله منفعـة فى هـــذه المنطقـة لذا يتدخـل في الـكويت وليس له منفعـة فى البوسـنة؛ فلماذا يذهب؟ إنه لا يتحـرك، لأن المنفعـة هى التى تحركه، أما الإنسانية والحرية، هذه الكلمات يقولوها للإعلانات للآخرين، لكن الذى يحكمهم ويتحكم فيهم مبدأ المنفعة.

وهؤلاء أعداء الله، ولكن المصيبة الكبرى أن هذا المبدأ وصل لإخواننا المؤمنين، وأصبح الواحد لا يحب أخاه المؤمن إلا لهذه المنفعة.. ولماذا لا يحبه لله، ويبغضه لله؟.. وفى هذا يقول سيدنا رسول الله ﷺ:

« إن من أوثق عرى الإيمان الحب فى الله والبغض فى الله»(٢)

(معنى الحب فى الله)

فالحب فى الله يعني لا يحب الإنسان المرء إلا لله، ويحبه لله، لأنه يراه سائراً على ما يرضى الله، وملتزم بشرع الله، ومقتدى بسيدنا رسول الله، ولذلك عندما سألوا سيدنا أبا ذر رضى الله عنه: «هل تبغض أخاك إذا وقع فى الذنب؟ قال: أبغض عمله، فإذا تركه فهو أخى» ، فأنا أبغض العمل فقط.

لكن أبغضه هو، هذه تكون المصيبة التى يقع فيها كثير من المسلمين الذين ينصّبون أنفسهم أئمة فى الدين.. ويبغض الفرد، ولم يقابله ولم يجالسه، ولم يكلمه، لكن يرى أنه له تأثير فى بعض الناس.. وماذا فى ذلك؟.

مَن الذى يستطيع أن يجمع العالم كله حوله؟.

لا يوجد لأن كل جماعة لهم مشربهم، ومطلبهم ولهم مأربهم، فلو وجد سيدنا رسول الله ﷺ بنفسه فى هذا الزمان، هل يستطيع أن يجالس الحجاج الذين يذهبون للحج، بأن يجلس مع كل واحد منهم خمس دقائق يتكلم معه.. هل يستطيع ذلك؟.

إذن سنة الله عز وجل أن جعل فى كل مكان علماؤه، وفى كل مكان أولياؤه، وفى كل مكان وجهاؤه يلتف بهم الطالبون، ويحيط بهم الراغبون،

---

(٢) أخرجه أبو يعلى والطيالسى عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه.

يسألونهم ويستفسرونهم، ويشكون إليهم همومهم، ويستشيرونهم فى أمورهم، وهذه سنة الله فى الكون وفيهم يقول الله: **﴿وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه﴾**[3] - بلسانهم على طول- فالجماعة الفرس فيهم علماء وأولياء فى الفرس، والجماعة الهنود عندهم أولياء وعلماء هنود، والجماعة الأمريكان عندهم علماء أمريكان..

لماذا؟.

لتجديد عهد الله، وتجديد دين الله، وتوصيل رسالته إلى كل من يحيط بهم، سنة الله ولن تجد لسنة الله تبديلاً.

فالمرء الذى أراه مطيعاً لله، وليس فى بلدى أو قريتى، وليس جارى، وليس معى فى الطريقة أو فى الجماعة فأنا مطالب بأن أحبه.

فالرجل الذى رأى رجلاً على هذه الشاكلة وذهب إلى رسول الله ﷺ وقال له: «**إنى أحب فلان.. قال له لابد أن تخبره أنك تحبه، هل أخبرته أنك تحبه؟ قال: لا، قال: اخبره أنك تحبه.. فذهب إليه وقال له إنى أحبك فى الله، فقال له: أحبّك الذى أحببتنى من أجله**»[4]، أى أنت أحببتنى لله، فالله يحبك من أجله..

فالإسلام أمرنى أن أحب كل واحد مطيع لله، وليس هذا فقط.. بل تعرفه وتبين له وتظهر له أنك تحبه لله عز وجل، ليعم هذا المثال وهذا الحال.

---

(٣) سورة إبراهيم: الآية ٤.

(٤) رواه أحمد ومسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه.

(نتائج الحب فى الله)

ولو عُمّم هذا الحال لانتهت المشاكل من جميع الأنام.

وعندما أحبه فى الله، ماذا لى عند الله؟.

لى كثير مثل قول العلى القدير: وجبت محبتى.. يوجب محبته.. وهل يوجب عليه أحد..

« **وجبت محبتى للمتحابين فىّ، والمتزاورين فىّ، والمتجالسين فىّ**»[٥].

فالجماعة الذين يحبون بعضهم من أجلى، لابد أن أحبهم، والذين يزورون بعض وليس من أجل مصلحة، وإنما من أجلى، لازم أحبهم، والذين يبذلون لبعض الطعام والإكرام، والإنعام، والكلام من أجلى، لازم أحبهم.

وبعد أن يحبنى الله ماذا أطلب من الدنيا والآخرة.. يبقى أنا وصلت لمقام الهناء الكلى لأنى وصلت لمقام: ﴿**يحبهم ويحبونه**﴾[٦].

وهؤلاء أرقى طبقة فى القرآن الكريم، بل أرقى فئة على مستوى القرآن من أوله إلى آخره، هذه الطبقة: ﴿**فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه، أذلة على المؤمنين، أعزة على الكافرين، يجاهدون فى سبيل الله، ولا يخافون لومة لائم، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم**﴾[٧].

هذا مقام الفضل، وليس مقام الأجر والثواب، ومقام الفضل مقامٌ خاص، وماذا لهم بعد ذلك؟.

---

(٥) رواه مالك فى الموطأ عن معاذ بن جبل رضى الله عنه.
(٦) سورة المائدة: الآية ٥٤.
(٧) سورة المائدة: الآية ٥٤.

بعد أن ينالوا محبة الله يأخذهم ويجلسهم علي أرائك فضله، ويدير عليهم حلاوة محبته، ويذيقهم طعم المحبة **«ثلاث من كن فيه، وجد حلاوة الإيمان» والذى يحس حلاوة الإيمان.. من مثله فى هذا الزمان أو الذى قبله أو الذى بعده؟ «أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود للكفر، كما يكره أن يقذف به فى النار»**[8].

إذن الذى يحب أخاه لله، يذوق ويتذوق طعم الإيمان، وحلاوة الإيمان.

وطعم الإيمان لو الواحد منا ذاقه، لا تؤثر فيه الدنيا بأهوالها، حتي ولو عذّبوه، ولو جلدوه، ولو سجنوه.. فقد كان الرجل من أصحاب رسول الله يوضع فى العذاب الشديد، ويقول له الكافر تحب أنك فى بيتك الآن، ومحمد فى مكانك يعذب؟.

فيقول: لا.. وهو تحت العذاب، وتحت وطأة العذاب، ويقول والله لا أحب أنى أكون فى بيتى وأهلى، ومحمد هناك، شىء يؤلم طرفة منه.

فيقول أبو سفيان: والله ما وجدنا أحداً يحب أحداً كحب أصحاب محمد لمحمد ﷺ، الواحد يحب الملك من أجل المال.. فإذا منعه لا يعرفه، أو يحبه من أجل الوظيفة وساعة ما يخلعه لا يعرفه، بل يسب فيه، ويلعن فيه، وهذا هو الحاصل.

لكن هؤلاء من أجل حبهم له يتعذبون.. وأيضاً لا يرجعون، ومن أجل حبهم لله يقطعون عنهم المعونات، وأيضاً لا يتأثرون.

---

(٨) متفق عليه من حديث أبى هريرة.

(نماذج الحب الصادق)

سيدنا مصعب بن عُمير رضى الله عنه وأرضاه، يرتدى جلباباً مهلهلاً، وشكله أصفر وناحل، فقال رسول الله ﷺ: «**والله ما رأيت فى مكة من ذى لِمّة** (قصّة) **فى حلة** (بدلة حمراء) **من الحرير أبهى، ولا أزهى من هذا الغلام**»(٩). فقد كانت أمه غنية جداً، وكان جميلاً ووسيماً، وكان يعمل قصة، ويرتدى بدلة حمراء، ويرتديها وهو شاب، ويمشى يتدلل، «**وقد صيره حب الله ورسوله إلى ما ترون**»(٩)، لأنه عندما أراد أن يمشى مع رسول الله قالت له أمه:

شىء من اثنين: إما أن تختارنى فأنفق عليك، وإما أن أقطع عنك النفقة.

قال لها: لا أريد مالك، وهذا شىء غريب يتعجب منه أهل الكفر إلى وقتنا هذا فقد يعرض على المسلم ما لذّ وطاب، فيقول لا أريد.. أنت فقير، يقول: لا بأس.. أنت عريان.. يقول: لا يهم.

ما هذا الأمر؟.

هم غير مصدقين، لأن فى قاموسهم، لا يوجد أحد يقول لأحد: السلام عليكم إلا لما يكون من ورائها شىء، فإذا أخذ مصلحته ومشى، لا يقول له:

السلام عليكم أنا ماشى.

لأن قاموسهم هو المنفعة.

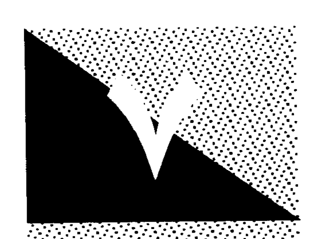
فالحب لله غير موجود إلا بين أحباب الله ورسوله، الذين هم نحن وأنتم جماعة المؤمنين.. وهذا من فضل الله علينا، ومن كرم الله عز وجل لنا.

---

(٩) رواه أبو نعيم فى الحلية عن عمر رضى الله عنه بإسناد حسن.

نسأل الله عز وجل أن يديم لنا هذا الحب، وأن يملأ قلوبنا بهذا الحب، وأن يرزقنا حبه الخالص لوجهه الكريم بلا شوب يشوبه، وأن يرزقنـا حب حبيبـه ومصطفاه، وأن يرزقنا الحب الخالص لكتاب الله، وأن يرزقنـا حب كل أحبـاب الله، وأن يرزقنـا حب كل عمل يقربنا إلى الله، وأن يبغّض إلينا المعاصى ما ظهر منها وما بطن بجاه النبى ﷺ.

والحمد لله رب العالمين.



أهل الاستقامة وبشـــائرهم

★ الاستقامة
★ الحفظ الإلهى
★ العلم سلاح المؤمن
★ الورع أساس الاستقامة
★ أنس المؤمنين بالملائكة
★ حماية الملائكة للمؤمنين
★ شفاعة المؤمنين

كان هـذا الدرس بمسجد الشيخ أبو بكر بمطاى محافظة المنيا يوم الثلاثاء الموافق ١٩٩٣/٧/٦م بعد صلاة المغرب

أهل الاستقامة وبشائرهم

الحمد لله الذى تفضل علينا فوفقنا فى الحضور إلى بيت الله، ثم زاد فضله علينا فوفقنا لأداء الصلاة، ثم زاد برّه وخيره علينا فوفقنا لسماع كلام الله عز وجل: **﴿ومَن أصدق من الله قيلاً ﴾**[1]، **﴿ومَن أصدق من الله حديثاً ﴾**[2]، والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد ابن عبد الله، الذى طهّر الله قلبه حتى يكون محلاً لتنزل كلام الله فتنزل الكلام على نورانية وشفافية، ولم تخالطه الأهواء النفسانية والوساوس الشيطانية فكان كما قال فى شأنه رب البرية: **﴿وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى﴾**[3].

اللهم صل وسلم وبارك على مَن كان نطقه وعمله بالقرآن وهديه فى سيره وسلوكه وكل أحواله بالقرآن سيدنا محمد وآله أهل القرآن وكل من اتبع هداهم إلى يوم لقاء الرحمن.. آمين.

الحقيقة يا إخوانى لما سمعت معكم الآيات التى سمعناها، لفت نظرى أن هناك آية أخرى شبيهة لها فالآية التى سمعناها: **﴿إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون أولئك أصحاب الجنة خالدين فيها جزاء بما كانوا يعملون﴾**[4] فى الأحقاف، والآية الثانية فى سورة فصلت وتبدأ بنفس البداية ولكنها ليست تنتهى بنفس النهاية، **﴿إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون، نحن أولياؤكم فى الحياة**

---

(١) سورة النساء: الآية ١٢٢.
(٢) سورة النساء: الآية ٨٧.
(٣) سورة النجم: الآيتان ٣، ٤.
(٤) سورة الأحقاف: الآيتان ١٣، ١٤.

الدنيا وفى الآخرة ولكم فيهـا ما تشتهى أنفسكم ولكم فيها ما تدعون. نزلاً من غفور رحيم﴾[٥].

فالذى لا يتنبه يقول إن القرآن يُكرِّر، لكن القرآن لا يكرر لأنه يبين معانى جديدة، وصفات جديدة، وبشريات جديدة، ومنازل كريمة.

جديدة للمنزلة الأولى والمنزلة الثانية، فالأولى: قالوا ربنا الله ثم استقاموا، وفى الثانية قالوا ربنا الله ثم استقاموا، والفارق بين الإثنين: أن الآية الأولى أتت بالجزاء العاجل فى الدنيا والآية الثانية أتت بالجزاء الآجـل فى الدار الآخرة، وهـذا ما لفت نظـرى وأريد أن أستوضحه مع إخـوانى.

الإستقامة

فالإستقامة معناها السير على الصراط المستقيم، فالكلام فى الإثنين واحـد، ربنا الله، لكن الذى يصدق الكلام هو شيء واحد هو الفـعل والفعـل هو الإستقامة فهى كلمة عجيبة وغريبـة، ففى آية ثانية **﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصـالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلاً﴾**[٦].

ما الفرق بين الإستقامة والعمل الصالح؟ الذين آمنوا وعملوا الصالحات حفظهم الله فلم تواتيهم فرصة للذنب، ولم يقع لهم اختبارات، ولم تقابلهم مشاكل فى هذه الحياة الدنيا، فكانوا كالملائكة فهل الملك يتعرض لبنت جميلة لكى تفتنه؟ كلا، لأنه ليس عنده هـذه الشهوة، هل فيه واحد منهم يمر على الفاترينة فتعجبه سلعة ما، أو طعام ما؟ لا، لأنه ليس عنده شهوة الأكل ولا الشرب ولا النكاح، هـل واحـد محتاج يقولون له الصلاة خير من النوم؟ لا، لأنه لا ينام. فهم كما قال الله سبحانه وتعالى: **﴿لا يعصـون**

---

(٥) سـورة فصلت: الآيات ٣٠: ٣٢.
(٦) سـورة الكهف: الآية ١٠٧.

الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون﴾[7]، لا يعصــون الله ما أمرهــم، فليس فى الآية نهى لأنه لم ينهـاهم فكل ما يأمرهم به ينفـذوه، أما أصحاب الاستقامة فقال لهم لا تفعل هذا وافعل ذاك ففيه نهى وفيه أمر فالملائكة ليس عندهم نهى، ولذا قال للعالم الذى هم فيه عالم الأمر، فليس عندهم نهى عن عمــل، أو تحذير عن فعــل، فلا يأكلون ولا يشربون، ولا ينامون ولا يتزوجون، وهذه الأفعال هى سبب البلاء للإنسان، يريد أن يأكل وليس معــه ما يحضر به الطعــام، فيغش مرة، ويسرق تارة، لكى يأخــذ ما يريد، لكن الذى لا يأكل لماذا يخدع ويغش؟ يريد أن يشرب وعينه تدور وقد زاغت حول مشروب حرّمه الله فيزل ويقــع، لكن الملَك لا يشرب فلم يقع فى هذه المعصية؟.

وكذلك أمره بالطاعة ونفسه تريد الكسل والراحة والنوم، فيقول للنفس: انتظرى، الفجــر بيــأذن، والنــوم لا يحلو إلا فى هــذه الفترة فتقــول: المهم أن أصلى حاضر، والشيطان يضرب على عينه، وأذنه فيستيقظ بعد الشمس ويقول: يا ويلتى لا أعــود لمثلهــا، ويرجــع لهــا، لكن الملَك لا ينــام، يريد أن يقضى شهوته ويتزوج من حلال وليس معه ما به يتزوج، فيفكر فى الحرام أو متزوج وعينه لم تملأ وليس عنده قناعة أيضاً فيفكر فى الحرام. والملَك ليس عنده شهوة فالملائكة ليس عندهم نهى لكن عندهم أوامر.

الحفظ الإلهى

ومثلهــم جماعــة من المــؤمنين نزع الله من قلوبهــم الميــــل إلى الشر، أو حفظهم من النفس التى توســـوس والشـيطان الذى يزيّن لهم وقال فيهم: **﴿ إن عبــادى ليس لك عليهم سلطان ﴾**[8]، يعنى لن تستطيع أن توسـوس

---

(٧) سـورة التحريم: الآية ٦.
(٨) سـورة الحجر: الآية ٤٣.

لهم أو تزين شيئاً فى صدورهم وحتى لو قرب منهم فإن صفّارات الإنذار التى ركّبها فيهم رب العزة تضرب: **﴿إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون﴾**(٩)، بمجرد أن يمسهم قبل أن يزيّن لهم فإن طيف الخيال يأتى ليبحث عن مكان ليدخل أو يرى موقع ليزين ويوسوس على طول إشارات الحق فى صدورهم تلمع وتنبه وتقول له: انتبه، فتضرب صفارة الإنذار فى عالم القلب لتنبه الحقائق الراقية والدانية فى الإنسان فيتنبه إلى مكائد الشيطان حتى أن بعضهم كان لما ييأس الشيطان منه يحاول أن يزيّن له عن طريق غيره فلا يستطيع، فهذا إنسان مستقيم جداً وهو الشيخ الجنيد، وكان من كمّل الصالحين وقائم بالطاعة الحقة لله عز وجل، فكان كل ليلة يصلى ثلاثمائة ركعة لله.

وكان لا ينام إلا إذا صلاها - يحاول الشيطان أن يجره من هذه الناحية فلا يستطيع، فحاول أن يُغرّه بالعبادة لكى يكْسل، فحاول معه، وكلما يقرب منه يجده مستيقظاً، فذهب لشخص وضحك عليه وبين له أنه فى الجنة هو والجنيد، فصبح فى الصباح وذهب هذا الشخص للشيخ وقال له أبشر يا سيدنا الشيخ، إننى رأيت فى هذه الليلة أني وأنت في الجنة، فقال له: لم يجد الشيطان أحداً يضحك عليه إلا أنا وأنت وهل أنا أكثر من الذى قال: «لا آمن مكر الله، ولو كانت إحدى قدميّ فى الجنة»؟ فلنفرض أن إحدى قدميّ بالخارج والأخرى بالداخل، ألا تدرى أن الشيطان أخرج واحداً من الجنة من أجل ذنب!.. ذنب واحد، فقال له اخرج لكى تتعلم.. فما بالنا، وفى كل يوم نرتكب آلاف الذنوب؟ كيف ندخلها.. إن لم يتداركنا الله برحمته؟ وإن لم يعفو عنا ويجعلنا من أهل عفوه ومغفرته وستره عز وجل وكرمه، فكيف يأتى الشيطان لمثل هذا الشيخ الكبير؟.

---

(٩) سورة الأعراف: الآية ٢٠١.

وكان الشيخ الجنيد يختار للمريدين مسجداً عند المقابر لكى يعلمهم فيه، فيبعدهم عن الناس، ويتعبدون فيه لله عز وجل.. ورأى فى المنام الشيطان، أصفر، وليس عليه لحم وكئيب وتعبان، فسأله: ما الذى أحنى ظهرك وغيّر لونك؟ فقال له: الجماعة الموجودين فى المسجد الذى عند المقابر، لأنى لم أستطع أن أدبر لهم حيلة أبداً.. كلما أدخل لهم من مكان، أجده مسدود، فكل طريق أمامى معهم مسدود، وما الذى يسد الطريق على الشيطان؟.. العلم فلا يسد الطريق على الشيطان غير العلم.

(العلم سلاح المؤمن)

ولذلك الدين قال: لا تفعل شيئاً أبداً إلا وبدايته العلم،فلكى تعبد الله لازم ترى العبادة التى تعملها ونظامها فى كتاب الله مجملاً وتفصيلاً فى سنة رسول الله وتنفيذها كيف كان بين أصحاب رسول الله، لكن لا تجتهد أنت، لأنها عبادة، فالشيطان إذا لم يدخل للمؤمن المطيع بالمعصية، من أى باب يدخل إليه؟ يستدرجه من طريق العبادة مثل ما جاء للشيخ عبد القادر الجيلانى رضى الله عنه وأرضاه فى الخلوة ونظر فإذا نور من السماء إلى الأرض أمامه، نور ظاهر وليس فى منام وقال: عبدى عبد القادر، قال لبيك سيدى، فقال: إنى أبحت لك المحرمات، فقال له: إخسأ يا لعين، فوجد النور أصبح دخاناً.

فقال له: بم عرفتنى، فقال له: إن الله لم يحرّم شيئاً على لسان النبى ويبيحه لولى.. وهل أحد يحلل أو يحرّم بعد رسول الله الذى وضع كشف الحلال وديوان الحرام، وقال: «**الحلال بيّن والحرام بيّن**»[١٠].

---

(١٠) متفق عليه من حديث النعمان بن بشير رضى الله عنه.

لا أحـد يستطيع أن يزيد أو ينقص إلى قيـام السـاعة، لا أنا ولا غيرى ولا الذى قبلى ولا الذى بعدى يستطيع أن يغيّر في ديوان الحلال والحرام، والكشف الذى أمرنا به، قد وضحه توضـيحاً لا لبس فيه، حتى أن الحيوانات التى حولنا عرفته بالفطرة والسليقة من غير واعظ يعلمها ولا شريطاً سمعته، ولا كتاباً قرأته.. كيف؟.

فالقطة التى عندنا، عندما نأكل لحم ونرمى لهـا قطعة لحم تأكلهـا وهى مطمئنة وساكنة وهادئة، لكن لو خطفت قطعة اللحم تجدها تجرى.. لـماذا؟.

ما الذى عرّفها أن هذا حرام، وهذا حلال؟.

فى الحـالة الأولى عرفت أنه حـلال فاطمأنت، أما فى الحالة الثانيـة، لما عرفت أنه حرام جرت وفرّت، فليس يدّعى أحد أنه لا يعرف الحلال والحرام، وحتى لو لم يعرف فقد قال الله عز وجل له: **﴿فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون﴾**(١١).

إذن ليس لك عذر، فما دمت قد انتسبت لدين الإسلام، لازم تعرف الحلال والحرام. لأنه عندما يركب أحد سيارة، ومعه رخصة ويخالف إشارات المرور، هل يقول إنه لا يعرف قواعد المرور؟ وهل يقبل هذا العذر؟.

لا.. بل يقـولون له إذاً لا تركب السـيارة، فأنت بمجـرد ما قلت: لا إله إلا الله لازم تستقيم، يعنى تعرف الحـلال وتعرف الحرام، فالرجل يقول له: ما الذى أحنى ظهرك، وغيّر لونك، وأتعبك؟.

فقال له: الجماعة الذين فى المسجد، الذى عند الجبانة (فى الرؤيا). فأصبح وذهب للمسجد فوجد واحداً يصلى، وواحداً يقرأ فى المصحف، وواحداً يتفكر فى مخلوقات الله، دخـل من باب المسـجد، وقال متّبعـاً

(١١) سـورة النحل: الآية ٤٣.

السنة: بسم الله اللهم افتح لى أبواب رحمتك، السلام عليكم ورحمة الله، وإن لم يكن أحد جالساً، يقول: السلام علىّ وعلى عباد الله الصالحين، يلقى السلام لأن المسجد مكان الأمان، فبعد أن ألقى التحية ودخل المسجد قال له أحد الحاضرين: وقد رفع رأسه، لا يغرّنك كلام الخبيث الذى قاله لك فى المنام، فهو يريد أن يقول لنا على لسانك: اطمئنوا.

فكلمة اطمئن هى التى يدخل منها الشيطان، أمّا المؤمن طالما به نَفس فى هذه الحياة، لا يأمن لوسواس الشيطان، ولا لنزغات النفس حتى يخرج من الدنيا على خير وفى خير إلى الله عز وجل، وأفضل تثبيت عند الموت فى الدنيا، قول لا إله إلا الله، وطبعاً إن الله لا يمكر بطالبه: **﴿إنا لا نضيع أجر مَن أحسن عملاً﴾**[12]. أما سوء الخاتمة فيأتى من أعمال حذّرنا الله منها، مثل: **﴿ووصينا الإنسان بوالديه إحساناً﴾**[13]. وهذا عمل يوجب سوء الخاتمة، وله مثال عملى أيام رسول الله.

فقال الشيطان لسيدنا عبد القادر: نجوت منى يا عبد القادر بعلمك وفقهك، وقد أخرجت قبلك سبعين رجلاً بهذه الطريقة.

كان الواحد منهم يقول: ربنا أعطانى تصريح بترك الصلاة، وأى تصريح هذا؟.. إنه من الشيطان، فمن ترك الصلاة وقال وصلت، فقل له وصلت إلى سقر، والعياذ بالله.. فكان أولى بترك الصلاة؛ الرسول والصحابة، لأنهم كانوا مشغولين فى الحروب، ومع ذلك كان يقول لهم: الصلاة الصلاة حتى آخر لحظة: «**الصلاة الصلاة وما ملكت أيمانكم**»[14]، وحتى المسافر لا يستطيع أن يستخرج تصريح بترك الصلاة، فلا يوجد شىء يبيح للمسلم أن يترك الصلاة، وكذا من يريد الزواج ويحدده فى رمضان وقبل العيد بيومين، يقولون له افطر فلك عذر، فمن الذى أعطى هذا التصريح؟

(١٢) سورة الكهف: الآية ٣٠.
(١٣) سورة الأحقاف: الآية ١٥.
(١٤) متفق عليه من حديث عائشة رضى الله عنها.

وما الذى يمنع أن يؤخرها لبعد العيد أو ليلة العيد؟ فيأتى ويقول: هذه الأيام لك عذر، وليس ضرورى أن تحافظ على الصلاة، إن رسول الله قال:

أول ما يدخل العروسان الحجرة، يصليان مع بعضهما ركعتين لله عز وجل، لكى تبدأ الحياة الزوجية بالصلاة وبالبركة.

إذاً الذى يسد سكة الشيطان هو العلم، وقد ورد فى الأثر: «**اطلبوا العلم من المهد إلى اللحد**»(١٥).

حتى أن رجلاً من الصالحين وكان عالماً من العلماء، وجاءه فى سكرات الموت أحد تلاميذه فقال له: ما رأيك فى المسألة الفلانية؟.. فقال له: حتى فى هذه اللحظة؟.. قال له: نعم، إننى أحب أن ألقى الله وأنا أتدارس العلم، فليس هناك عبادة أرقى، ولا أفضل من هذه اللحظة التى يقول فيها رسول الله ﷺ: «**ساعة من عالم** (يعنى لحظة) **متكىء على أريكته ينظر فى علمه** (يعنى جالساً على الكرسى ومرتاح يطالع درسه) **خير من عبادة العابد سبعين عاماً**»(١٦)، لأن العبادة سوف تكون على علم، فالذى يبنى البيت على القواعد الهندسية التى يرسمها المهندس، لا يفكر فى إزالة شىء، لا سقف ولا عمود ولا غيره، لأنه بنى على أساس سليم، ومضبوط، لكن الذى يجتهد ممكن يبنى من هنا ويهدم من هنا.. فلازم المؤمن يبنى عبادته على العلم أولاً ﴿**إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا**﴾.

(الورع أساس الاستقامة)

استقام يعنى ابتعد عن هذه والتزم بهذه، بعُد عن الحرام، وحفظ نفسه من الذنوب والمعاصى والآثام، واستقام على الطاعة والهداية للملك العلام،

---

(١٥) يرويه البعض على أنه حديث شريف ولكنى لم أعثر على سنده.
(١٦) ورد فى مسند الفردوس عن ابن عمر رضى الله عنهما.

لذلك لن تجد كلمة تحل محلها لأنها «جَمعت فأوعت»، استقام يعنى عرف الحلال والحرام وانتهى عن الحرام بالكلية، وقام بالأوامر لرب البرية عز وجل.. وإن ترك الإنسان الحرام فقط يكون لا شبيه له لأنه من هو العابد يا إخوانى؟.

نحن نظن أنه مَن يقوم الليل ويصوم النهار، أو مَن يقرأ كتاب الله آناء الليل وأطراف النهار أو الذى يحج كل عام، هذا هو العابد فى نظرنا.. لكن رسول الله قال فى شأنه: **«إتق المحارم تكن أعبد الناس»**(١٧).. أى ابعد عن المعاصى تصبح أعبد الناس، فقبل العبادة، ابعد عن المحارم والمعاصى، فمن يفعل العبادة أى يصلى ويصوم، وفى نفس الوقت لا يبعد نفسه عن المعاصى التى نهى عنها الله فإنه يضيّع العمل.

أعطى مثلاً: قالوا يا رسول الله: فلانة تقوم الليل وتصوم النهار، لكنها تؤذى جيرانها، قال: **«لا خير فيها هى فى النار»**(١٨).

فالعبادة لم تستطع أن تحفظها، فالذى يحفظ العبادة هو البعد عن المعاصى، فيا إخوانى المؤمنين، مشكلة المؤمنين فى هذا الزمان: **﴿خلطوا عملاً صالحاً، وآخر سيئاً﴾**(١٩). يخلط هذا وهذا، ويقول هذا يغفر هذا، ومن يضمن هذا؟.

فالترويح يكون بأن أجلس مع زوجتى قليلاً مؤتنساً بها أو أجلس مع الأولاد، وألاعبهم أو أسمع شيئاً من الإنشاد الدينى الذى يزهّدنى فى الدنيا، والذى يحسّسنى بمدى تفاهة الدنيا وحقارتها، وأقبل على الله عز وجل، وهذا اسمه ترويح، لكن لا يكون معه موسيقى، ولا طبل ولا مزمار، لأن هذا خاص بالشيطان، وإنما إنشاد مثلما كان الأنصار يغنّون

---

(١٧) رواه الترمذى عن أبى هريرة رضى الله عنه.
(١٨) أخرجه أحمد والحاكم من حديث أبى هريرة رضى الله عنه.
(١٩) سورة التوبة: الآية ١٠٢.

للرســول.. فعندما غنّوا له ﷺ بقولهم: «طلع البــدر علينــا».. هل كـان معهم فرقة موسيقية هناك؟.

لا.. إنهم كانوا فقط يغنّون الأهازيج الروحانية، ولما سمعهم النبى وسُرّ منهم قال لهم: «إن قلبى يحبّكن» لأنهم استقبلوه بهذه الأناشيد الإيمانية، والأهازيج الروحانية، التى تروح النفوس.

وإذا أردت أن أروح عن نفسى أزور أحــداً من إخـوانى المؤمنين أو من جيرانى أو من أقاربى، لكن امسـك عليـك لسانك فلا غيبة، ولا نميمة، ولا شـتم ولا لعن. أو أزور مريض.. هــذه الأعمـال التى يجب أن يروح عن نفسـه بهـا المؤمن، أما من يروح عن نفـسه بالتليفـزيون أو بالصـحف أو المجـلات، فإذا كانت نافعـة، فأنا لاشـك أستفيد بهـا فى حياتى، أما إذا لم يوجد نفع، فإنى أضيّع عمرى، وأندم على هـذه الساعات يوم لقاء الله عز وجل، فهذه الساعات عندى أمانة أحافظ عليها، وكل لحظة تمر بى يسألنى الله عنها، هل صرفتها فى طاعة أو فى معصية؟.

الأســاس الأول الذى عليـه المعـول الذى أدخـل به على طـريق الله: أن أحفظ جوارحى ووقتى من الغفلة والمعاصى عن الله عز وجل، وبعد ذلك أى عبادة تكون نافعة ورافعة.

مثـال ذلك: إذا كنت تاجـراً ولا أكسب فى اليوم إلا جنيهـاً واحـداً، ولا أضيع شيئاً، إذاً أنا أكسب، لكن أنا تاجر أكسب فى اليوم خمسة جنيهات، لكن أجلس على مقهى أطلب شاى وقهوة وغيره، فأخسر ستة جنيهات، فأنا لم أكسب لأنى أضيع أكثر من الذى أكسبه أيضاً.

أصلى ليلة كاملة من العشاء إلى الفجر، وأصبح أمشى مع واحد يضحك علىّ، الشيطان ويقول لى ما رأيك فى فلان؟.

أقول له: فلان كذا وكذا، وهذه جريمة تسجل علىّ، ويأتى يوم القيامة فتنظرها المحكمة الإلهيـة، ويقولون لى لأنك مؤمن، اجلس معـه وتراضـيا،

فأقول يا فلان تعال حتى نعمل محضر صلح.. يقول لى: كم تعطينى من الحسنات؟.

أقول له: خذ هذه الليلة، يقول: لا تكفى.

إذاً ذنب واحد يضيع ليالى وليس ليلة، ويضيع أيام: «**رب قائم ليس له من قيامه إلا السهر والتعب**»[20]، لماذا؟.. لأنه يصبح فى الصباح فيضيّع الذى فعله.

«**ورب صائم ليس له من صيامه إلا الجوع والعطش**»[20].

فيضيع الذى فعله. فأنا لو أحكمت هذا الأساس، وبعدت عن المعاصى، وصليت المغرب، وانتظرت العشاء، وصليتها، ثم قمت الفجر وصليت الفجر، يكفى ذلك لقوله ﷺ: «**مَن صلّى العشاء فى جماعة، والصبح فى جماعة، فكأنما قام الليل كله**»[21].

ولو صمت أنا رمضان، وستة من شوال، وثلاثة أيام من كل شهر، أقول كفاية علىّ، فأنا أصوم طول السنة، قال رسول الله ﷺ:

« **صوم شهر الصبر، وثلاثة أيام من كل شهر، كصيام الدهر كله**»[22].

بشرط أن يصوم عن المعاصى.

إذا ما المرء صام عن الخطايا
فكل شهوره شهر الصيام

مع أنه يأكل ويشرب لكن عند الله صائم لأنه صائم عن المعاصى، ويكون نائم ومكتوب عند الله قائم، لأن الأساس الأول (ترك المعاصى

(٢٠) رواه أحمد والطبرانى عن ابن عمر رضى الله عنهما.
(٢١) رواه أحمد فى مسنده عن ابن عمر رضى الله عنهما.
(٢٢) رواه البخارى ومسلم

والمحرمات)، بعد ذلك، أى طاعة ولو قليلة تكفى، ولذلك.. أيام أصحاب رسول الله، ظهر جماعة من الشباب المتحمسين للعبادة، وكان اسمهم الخوارج، لأنهم كانوا خارجين عن أصحاب رسول الله، فكانوا يقضون الليل كله صلاة، والدهر صيام وتلاوة القرآن ليل نهار، فذهب جماعة منهم ليروا سيدنا أبا الدرداء، فوجدوه يحافظ على الفرائض الخمس فى أوقاتها، وشهر رمضان ولا يزيد عن ذلك، فقالوا له: يا شيخ كيف تكون من أصحاب رسول الله، ولا تقوم الليل ولا تصوم النهار؟.

فقال: سبحان الله: أنتم كأنكم لا عقل لكم «عجبت للحمقى! كيف يعيبون على الأكياس نومهم وفطرهم.. ولذرّة من تقوى من عمل القلوب أفضل من أمثال الجبال عبادة من المغترين».

فالعبادة تؤدى إلى خشوع النفس وإلى تهذيب النفس، وإلى صقل النفس وإلى معرفة النفس، حتى يعرف الإنسان من هو؟.

مثل عبادة الملائكة من أول ما أقامهم الله وهم فى عبادة، ما بين قائم يذكر أو يهلل أو يستغفر أو يتلو القرآن أو يصلى على حضرة النبى قائمين فى العبادة.

فالساجدون منهم فى سجدة واحدة من أول ما خلقهم إلى أن يتوفاهم، إلى أن يقيمهم يوم الموقف العظيم من السجود فيقولون: سبحانك ما عبدناك حق عبادتك، فما بالنا بعبادتنا التى تغرّنا؟.

(أنس المؤمنين بالملائكة)

﴿ إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا ﴾.

استقام باختصار شديد يا إخوانى، أحرس نفسك عن المعاصى واحرس وقتك من الغفلة عن الله عز وجل، واحفظ أعضائك من اللهو واللعب،

وبعد ذلك، أى طاعة ولو قليلة ترفعك درجات عالية وعظيمة عند الله عز وجل.. فيصبح لك فى الدنيا أجر كبير، وفى الآخرة جزاء وفير.

فى الدنيا: ﴿ **تتنزل عليهم الملائكة** ﴾، تنزل عليهم لأنهم مثلهم، لا تنزل على العبّاد، وتنزل على الزهاد، لأن الزهاد مثلهم، ليس عندهم معاصى، لكن العبّاد ممكن تجره المعاصى بالغيبة والنميمة، أو يغترّ بالعبادة فيرى نفسه أحسن من فلان أو من الناس، لأنه يعبد ويفعل كذا وكذا، لكن الزاهد البعيد عن المعاصى، أصبح صورة من الملائكة؛ لا يأكل إلا الحلال، ولا يقرب إلا النكاح الحلال، والزوجة الحلال، ولا ينام إلا فى الوقت الذى أباحه ذى الجلال والإكرام، لكن قبل الصلاة من النوم فى حالة القيام لا يحتاج لمنبّه يوقظه، ولا أحد يطرق عليه، ولا يشرب إلا الماء الزلال الذى أباحه الله عز وجل.. فأقل طاعة من هذا تجعله يتشبه بملائكة الله عز وجل، إذا قال سبحان الله فمثله كمثل ملائكة التسبيح أو قال الحمد لله فمثله كمثل ملائكة الحمد أو قال أستغفر الله؛ فمثله كمثل ملائكة الاستغفار، إذا ركع لله فهو كمثل ملائكة الركوع، وإذا سجد فهو كمثل ملائكة السجود، وإذا قام بالأعمال كلها فمثله كمثل الملائكة.

فالملائكة تستأذن من الله أن تنزل وتزور هذا الرجل لكى تبشره وتهنئه بالفضل الكبير الذى جهزه الله عز وجل: ﴿**تتنزل عليهم الملائكة ألاّ تخافوا ولا تحزنوا**﴾، ولم يقل تنزل مرة واحدة، وإنما تتنزل باستمرار كل يوم، وكل وقت جماعة تنزل تتعرف عليهم وتصافحهم، وهناك نماذج حدثت أيام رسول الله ﷺ فقد كانوا يحاربون معهم فى بدر، وأُحد، والأحزاب.. وكانوا يرون وجوههم ويلازمونهم، ويتكلمون معهم، ويجهزونهم ويحضونهم على الجهاد والقتال: ﴿**فثبتوا الذين آمنوا سألقى فى قلوب الذين كفروا الرعب**﴾[٢٣].

---

(٢٣) سورة الأنفال: الآية ١٢.

فأول عمل لهم تثبيت المؤمنين، ثم فاضربوا فوق الأعناق، والملائكة ربنا جهزهم فى الحال لأنهم لم يأخذوا دورة عسكرية قال لهم: **﴿فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان﴾**(٢٣).

لم يدخلوا معسكراً ولا غيره، فإما أن يضربوا فوق الأعناق، وإما أن يضربوا على يده ليجردوه من سيفه، عرّفهم الضرب لأنهم لم يروا الضرب، ولم يفعلوه، لكن جهّزهم الله فى الحال.

وأيضاً فى السّلم فالذى يجلس يقرأ القرآن، يجلسون معه، يؤانسونه، وينورون له، فهذا سيدنا أسيد بن خضير، كان يقرأ وابنه نائم بجواره والفرس بجواره مربوطة، فأحس بحركة فى الفرس غير عادية فخاف على ابنه من الفرس فنظر فوجد تجفة كبيرة تحت سقف الحجرة، ومنوّرة ونازل منها ثريات ولمبات منورة، ولم يكن هناك كهرباء فخاف وانتهى وصدّق، وذهب لرسول الله ﷺ وأخبره فقال له: «**تلك الملائكة كانت تستمع لتلاوتك لكتاب الله عز وجل، ولو مكثت فى قراءتك لظلت على حالها ورآها الناس فى الصباح**»(٢٤).

هذه وظيفتهم، يستمعون إلى المؤمنين، ولم يكلموا هذا الصحابى، لأنه لم يكن تأهل لذلك، فلم يريدوا أن يفزعوه أو يخوفوه، فيأتون له فى البداية نور ثم بعد ذلك يأتنس بالنور ثم يسمع منهم الكلام، وبعد أن يأتنس بالكلام، يظهرون له فى صورة قريبة من الأجسام، فيكلمونه، ويناقشونه، ويتعلمون من بعض، ويفيض كلاً منهم على بعض مما أفاض الله عز وجل – وهذا حصل عندما مرض سيدنا عمران ابن الحصين، ولم يفده علاج الأطباء، فقالوا علاجه الوحيد الكىّ بالنار، وهو كان حاضراً جلسة

(٢٣) سورة الأنفال: الآية ١٢.
(٢٤) رواه البخارى ومسلم عن أسيد بن حضير رضى الله عنه.

لرسول الله يوزع فيها الأوسمة وقال: «**يدخل من أمتي سبعون ألفاً الجنة بغير حساب، من كان يريد أن يكون منهم، فهم الذين لا يكتوون ولا يتطيّرون**»(٢٥).

ما المقصود بالتطير؟.

هناك من يصبح فى عصرنا فى الصباح، ويفتح الجريدة على حظه وبخته، وكذب المنجمون ولو صدقوا لأنه مثلاً برج الميزان فيه مليار واحد كلهم ينطبق عليهم العاطل والباطل، والفرحان والحزين، كيف ينطبق عليهم هذا البخت؟.

(هذا كلام يضحكون به على الناس، لكى يروجون البضاعة، وليس هذا هو البخت).

البخت الحقيقى هو أن ترى فى المنام مقامك فى يوم الزحام أو مقعدك فى جنة الملك العلام عز وجل.

وهذا التطيّر مثل، أنا مسافر اليوم، وقابلت فلان، فأقول: إذاً هو يوم شؤم ولا أسافر، هذا ليس فى الدين.

المهم أنهم غصبوا عليه حتى كووه، وبعد ما اكتوى، زاد المرض، ولم يشف، فقال له أخوه: أنا احترت معك، ما الذى عندك؟.

قال له: الذى زاد المرض أن الملائكة كانت تنزل تتحدث معى، فلما اكتويت لم يأتوا ويطرقوا الباب علىّ، ويسلموا علىّ، تركونى لأنى خالفت الأمر المباشر من رسول الله، فلم يزورونى.

---

(٢٥) رواه البخارى ومسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه.

(حماية الملائكة للمؤمنين)

والذى يمشى فى الاستقامة أكثر، يمشون وراءه، ويحرسونه.

ففى عصر النبى، فالرجل الذى كان يسافر، وكان تاجراً، ومعه مال، طلع عليه قاطع طريق، قال له اتركنى.

قال: لا.

قال: خذ مالى.

قال: سآخذه ولن أتركك.

فأخذه إلى خرابة، ونظر، فإذا ناس مقتولين، منهم من تبَقى منه عظمه ورأسه، وقال له: إنك سوف تصبح مثلهم.

فقال له: اتركنى.. إذاً اتصل بالتليفون (أى أصلى ركعتين لله)، وهو تليفون خاص بأهل الإيمان، وأهل القلوب، وأهل الإسلام والإحسان، لا تستخدمه أمريكا، ولا أوروبا ولا اليابان، وهو فى الصلاة سمع من يقول: دعه يا عدو الله، وكان فى الركوع.

فواصل الصلاة وهو فى السجود سمع مَن يقول: دعه يا عدو الله.

ثم فى التشهد، سمع من يقول: دعه يا عدو الله، ثم بعد أن أنهى الصلاة، وجد الرجل مقتولاً، ورأسه مفصولة عن جسده، ووجد بجواره واحد واقف على رأسه، فقال له: مَن أنت، ومَن الذى جاء بك الآن؟.

فقال له: أنا ملك من السماء الرابعة، وعندما استغثت بالله عز وجل، قال الله: مَن يغث عبدى فلان بأرض كذا؟.

فقلت: أنا يا رب، فهمّ هذا الرجل بقتلك، وأنت فى الصلاة، فقلت وأنا فى السماء الرابعة: دعه يا عدو الله، ثم همّ بقتلك مرة أخرى وأنا فى السماء الدنيا، فقلت فى موضعى فى السماء الدنيا: دعه يا عدو الله.

ثم همّ بقتلك عندما هبطت، فقلت: دعه يا عدو الله، وقتلته.

وهذا الكلام من أين؟.

من الآية: **﴿نحن أولياؤكم فى الحياة الدنيا وفى الآخرة﴾**.

أولياؤكم يعنى أنصاركم، وجنودكم، نحميكم، ونحرسكم، ونساعدكم، ونؤيدكم فى الحياة الدنيا وفى الآخرة.

فالمستقيم تأتيه البشرى العاجلة له من الله، فتنزل الملائكة مراراً وتكراراً، ومن لم يحصّل هذا المقام هنا فى الدنيا، فعلى الأقل تنزل عليه، وهو مسافر من هنـــا، عنـــدما يأتى مَلَك الموت ليقبض روحـــه، يقولون له: انتظـــر حتى لا تخيفـــه، نحن سنذهب له ونطمئنـــه، ونبشره، فعنـــدما يكف اللســـان عن الكلام فى هذه اللحظة.. يراهم.. ومثال ذلك سيدنا عمر بن عبد العزيز قال فى هـــذه اللحظة:

« إنى أرى حضرة لأناس خضر» ما هم بجن ولا إنس، وتبسم ثم فاضت روحه إلى الله عز وجل.

ثم يأتون فى اللحظة الأخيرة، يهنئونه، ويبشرونه، ويكشفون له فى الجنة مقامه، ويقولون له هذا قصرك، وهذه زوجتك، وهؤلاء حورك، وبساتينك، وهناءك، وهذا كتابك، أبشر بفضل الله وبرحمة الله، ولو حضر واحد منكم أحد الصالحين فى هذه الحالة،يجد وجهه عليه السرور والتبسم.

(شفاعة المؤمنين)

إذاً على الأقل ينزلون ليبشرونه عند موته بفضل الله، وبعفو الله، وبكرم الله له جـــزاء عمـــله الصـــالح فى حيـــاته الدنيـــا.. **﴿تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا﴾** لا تخاف من عذاب القبر، أو من جهنم أو من النار،

ولا تحمل همّ مَن تترك، لأن النبى ﷺ قال: «**إذا كان يوم القيامة، يرفع الله أهل الرجل الصالح إلى درجته فى الجنة، وإن كانوا دونه فى العمل إكراماً له**».

وهذا فضل واسع وكرم كبير، فالذى عنده قضية أو المحكمة تحكم عليه بحكم من أهلك، يصدر من مكتب الشفاعة المحمدية تصريح لك أن تشفع فيهم، فالشفاعة، التى أخذ توكيلها هو رسول الله ﷺ، ولكنه يوزعها بمعرفته فيقول:

«**الشهيد يشفع فى سبعين من أهله كلهم، قد استوجب النار**»(٢٧)، وأيضاً: «**العالم يشفع فى سبعين من أهله**»(٢٨)، وهذا العالم الصغير مثلنا، لكن هناك عالم أكبر يقول فيه النبى ﷺ: «**يشفع رجل من أمتى فى أكثر من ربيعة ومضر**»(٢٩).

وهؤلاء كان عددهم كبير لا نهاية له: «**وحافظ القرآن يشفع فى عشرة من أهله**»(٣٠)..

لذلك طلب منك أن تكثر من أصحابك المؤمنين فقال:

«**استكثروا من الإخوان، فإن لكل مؤمن شفاعة يوم القيامة**»(٣١).

لكى لا تحزن وتطمئن على الذين معك. فالذى يترك أولاداً صغاراً ماذا يفعل لهم؟ أيضع لهم رصيداً فى البنك أو يترك لهم فدادين؟.

لا.. إنما يتّقى الله ويقول القول السديد الموفق من الله وربنا يتولاهم، ويغنيهم بكرمه وجوده عن الناس أجمعين وهذا وعده، وإن الله لا يخلف الميعاد ﴿**تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون**﴾، فهذه مكانتك، وهاهم أهلك معك، فاطمئن

---

(٢٧)، (٢٨)، (٣٠) رواه ابن ماجه من حديث عثمان بن عفان رضى الله عنه.
(٢٩) أخرجه ابن السماك عن أبى أمامة رضى الله عنه.
(٣١) أخرجه ابن النجار فى تاريخه عن أنس رضى الله عنه.

ولا تخف هنا فى الدنيا ولا فى الآخرة، فإن العقود سجلت فى الشهر العقارى الإلهى، والعقد هاهو: ﴿**إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون أولئك أصحاب الجنة**﴾ يعنى نقلت الملكية لهم، وسجلت لهم وصدّقت على هذا الكلام فحولت الملكية: ﴿**أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون**..﴾.. عقد مسجل رسمى إلى ما لا نهاية إن شاء الله والثمن الذى أخذه: ﴿**جزاءً بما كانوا يعملون**﴾.

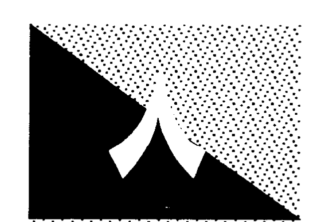
يا أهل الاستقامة أبشروا بفضل الله، وبرضوان الله، وبكرم الله، فإن أهل الاستقامة يبشرهم الله فى الدنيا، وعند الموت ، وعند البرزخ، وعند القيام للبعث والنشور، وفى الموقف العظيم بالنعيم المقيم.

اللهم ارزقنا الاستقامة، ووفقنا للسير على منهج الاستقامة.

ونسأله سبحانه أن يرزقنا الاستقامة ما حيينا، نحن وأزواجنا وأبنائنا وبناتنا وذرياتنا حتى يتوفانا مسلمين، ويلحقنا بالصالحين ويعجل لنا البشرى فى الدنيا على ألسنة الملائكة المقربين، ويجعلنا من الذين يبشرهم ربهم برحمة منه وفضل ورضوان، ويرينا مقاعدنا فى جنّات النعيم.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.





التوسل برسول الله صلى الله عليه وسلم

هـذا الحديث كان بمنزل الحاج محمد سيد بمطاى محافظة المنيـا يوم الثـلاثاء الموافق ١٩٩٣/٧/٦ .

التوسل برسول الله صلى الله عليه وسلم

غنّى الحاج جابر عباس:

يـــا رســـــــول الله إنـــى
أرتجى خـــير مقـــام

فقال الشيخ عفا الله عنه موضحاً معنى هذا البيت:

الذى يسمع هذا الكلام من الجماعة الذين لا ينتبهون، يقول إنهم ضلّوا.

لماذا يا أخى؟.

يقول: لماذا لا تقول يا رب بدلاً من يا رسول الله، لكن إذا كان الله هو الذى قال قولوا: يا رسول الله: **﴿يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا﴾**(١). أى قولوا نظرةً يا رسول الله.. قولوا مدداً يا رسول الله.. قولوا غوثاً يا رسول الله.

وهل نحن فقط؟.

قال: لا.. فهناك يوم يأتى فيه الأولون والآخرون أجمعين حتى أئمة النبيين والمرسلين وخاصة الصديقين والشهداء والصالحين، وحتى أساطين الكافرين والجاحدين وكلهم يقولون يا رسول الله خلّصنا من الذى نحن فيه.. ما الحكاية؟.

عندما ننظر إلى السير والسلوك للصالحين وكُمّل الأولياء والمتقين، وهم الدرر البهية التى كانت حول سيد الأولين والآخرين، يظهر لنا فيها كل شىء، لكن هؤلاء لا يرون شيئاً.. فلا يرون هذه الدرر.. وإليك هذا المثال:

(١) سورة البقرة: الآية ١٠٤.

حدث بين رسول الله، وبين اليهود أمر من الأمور، فذهب ليكلمهم، فقالوا: أهلاً أبا القاسم، واستقبلوه وأجلسوه على مصطبة، ثم داروا من الناحية الأخرى ليدبّروا خطة لقتله، وكانت الدار بجوارها طاحونة بها حجر كبير.. فقالوا خذوا حجر الطاحونة واصعدوا فوق المنزل، والقوه عليه حتى نرتاح منه مع أنهم يعرفون أنهم لا يستطيعون تنفيذ ذلك، ولأنه ﷺ بالنسبة لهم كما قال الله عنه:

﴿ **يعرفونه كما يعرفون أبناءهم**﴾[2]. وهل يتوه أحد عن أولاده؟.

وسوف أحدثكم بحكاية تعرّفكم إلى أى مدى كانوا يعرفونه ﷺ. طبعاً أنتم تعرفون أنهم كانوا يعلمون الساعة التى سوف يولد فيها، ومترقبين السنة، وعندما ظهر النجم، ذهبوا من الشام ليسكنوا بمكة.

وفى الساعة التى ولد فيها ظهر الكاهن وقال:

يا أهل مكة.. مَن ولد له الليلة غلام؟.. فهم يعرفونه.

الحكاية التى أحكيها لكم: عندما خرج للشام يتاجر مع غمه أبى طالب، فجاء عند بحيرا الراهب الذى عرفه، وبينما هو واقف يتحدث معه، وجدوا وفداً من اليهود قادمين ومعهم السيوف فقال لهم أين تذهبون؟.

قالوا: نحن نعلم أن محمداً يذهب للشام مع عمه هذا الشهر، فقسّمنا أنفسنا فرقاً، وكل جماعة طلعوا إلى طريق ومعهم السيوف لنقتله ونرتاح منه.

انتبهوا.. يعنى عارفين.. اليوم الذى يذهب فيه إلى الشام ليتاجر مع عمه وليس شكله، وأوصافه فقط، وإنما كل خطواته بالتفصيل.

فقال لهم بحيرا: يا معشر اليهود، أنتم تعرفون أنه نبى، ولن يسلطكم الله عليه، ولن تستطيعوا أن تصنعوا به أى شىء، لأنه فى حمى الله، وأنتم

(٢) سورة البقرة: الآية ١٤٦.

لن تقدروا عليه فانصرفوا وكان ذلك تصديقاً لقول الله عز وجل: ﴿**والله يعصمك من الناس**﴾[٣] أى فكيف يجرءون أن يأتوا إلى جنابك بسوء؟.

فذهبوا بالحجر أعلى البيت، وفى الحال التليفون قال له:

خذ بالك.. فيه كذا وكذا.. فهم لا يعرفون أنه معه جهاز ربانى يستقبل جميع الموجات والإرسالات من جميع الجهات، وخاصة من حضرة الذات، حتى وهو نائم يستقبل هذه الأشياء، فكانت هذه خيانة عظمى، وعقوبتها الإعدام.

فقام وقال لأصحابه، وكانا سيدنا أبو بكر وسيدنا عمر، فقال: أنا قائم لأذهب للخلاء لقضاء الحاجة، لأنه كان حكيماً صلوات الله وسلامه عليه، لكى تعلموا أن هذه الأحوال لا يأخذها إلا مَن كمل فى هذه المنازل، فلو أن أحداً مثلى فى هذا الموقف، وعرف، لقال: يا أولاد القردة والخنازير.. إنتم تعملون كذا وكذا، وأخبرنى الله، وذلك لكى يظهر، لكنه ﷺ لم يخبر أحداً، فالذى عنده شهوة أن يقول أنا رأيت كذا وكذا؛ لا يعطيه الله أى شيء.

فهذه أسرار الله، لكن الذى ماتت نفسه، ولا يقول شيئاً.. إذاً يأخذ الأسرار والأنوار لأنه لن يحدّث إلا إذا قالوا له ذلك، ولن يتكلم إلا إذا أذنوا له، ولا يخبر إلا إذا أمروه.

فسيدنا أبو بكر، وسيدنا عمر لما مشى رسول الله ﷺ — كتب السيرة تقول— لما غاب عنهم استبطئوه ومشوا، لكن الكتب لم تنتبه للحقيقة، فهو لما مشى أرسل إليهم إشارة وهم معهم الإرسال، لكن الكتب لم تعلم ذلك، فهى حكايات الروايات لأن هذه الأشياء كما يقال:

---

(٣) سورة المائدة: الآية ٦٧.

لا يعــرف الشــوق إلا مَن يكـابـده
ولا الصـبـابـة إلا من حَيـا فـيـهـا

فالذى لم يمارس هذه الأشياء لا يعرفها، فالذى يقرأ من الكتب يقول كما تقول الكتب.

تقول الصحاح: فمشوا وراءه، وأسقط فى يد اليهود، فقد عرفوا أن حيلتهم انكشفت، وأنهم لن ينجوا من عقاب المسلمين، فذهبوا إلى أبى لبابة، فتعلقوا به وأخرجوا النساء والصبيان، وقالوا له أنت حبيبنا، وأنت صديقنا، وأنت تعرف عنا كل شىء من الأول، فاجعله يعفوا عنا، فماذا ترى أنه فاعل؟.

فأشار بيده على رقبته ، يعنى سيذبحكم.. وطبعاً هذه خيانة عظمى لرسول الله ﷺ لأنه كشف أسرار الدولة العلية، وعرّفهم بما اتفق عليه رسول الله، فلما أحس مباشرة بخطئه، ذهب للمسجد وربط نفسه فى عمود هناك، وهذا العمود موجود فى الروضة والذى ذهب منكم للحج رآه، ومكتوب عليه: (عمود التوبة).

فقال رسول الله: أين أبو لبابة؟.

فقالوا له: لقد فعل كذا وكذا، وربط نفسه فى المسجد.

فقال ﷺ: لو أتانا فاستغفرنا الله عز وجل له لغفر الله له، فقالوا: نخبره بذلك، قال ﷺ: لا.. اتركوه حتى يأذن الله له.

فلو ذهب من الأول لرسول الله ليستغفر له الله، لكان موضوعه انتهى.

لكن لما ذهب بنفسه فليبقى مع نفسه، وهكذا الأمر.

فالذين يقولون تعالوا لرسول الله ﷺ، إنما ينفذون توجيهات الله فى كتاب الله. فقد قال الله له:

﴿واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات﴾[٤].

وهل له ذنب؟.

لا.. وإنما يعنى أنك تحمل همومهم، وتضع على رقبتك أثقالهم وأوزارهم، وتقول لأجلى اغفر لهذا، وسامح هذا، وتب على هذا.

أنت تستغفر لك ولهم، وهذا أمر صريح من الله عز وجل للمؤمنين بأن يا جماعة نبهوا على أنفسكم وعلى الذين تعرفونهم من أحبابكم أن الذى يفعل ذنب ومعصية كبيرة ويظلم نفسه -لا يتوه- ولا يأخذ عناوين مزورة، فلا يصل لشيء، وإنما يذهب لباب الله ويستغفر الله، فيفتح له الغفار باب التوبة، ويعفو عنه العفوّ عز وجل الذنب والحوبة.

﴿ ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤوك (جاءوك أنت) **فاستغفروا الله، واستغفر لهم الرسول﴾**[٥]، فلما يستغفرون الله على رأى كلام هؤلاء (المغفلين) ألا يكفى ذلك؟.

فى الحقيقة يكفى، لكن الغفّار قال لازم الطلب هو الذى يقدمه:

﴿ فاستغفروا الله، واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما ﴾[٥].

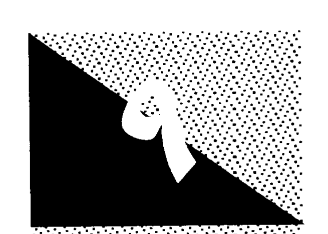
أى يجدون هناك عنده الله باسمه التواب، واسمه الرحيم عز وجل، والشفاعة حتى يا إخوانى معنا ، عندما يذنب ابنى ذنباً، ثم تأتى أمه وتقول لأجلى سامحه فأسامحه من أجلها، فنحن فى أمَسّ الحاجة إلى شفاعة سيدنا ومولانا رسول الله ﷺ لنا فى الدنيا إذا أذنبنا، وكذا فى كشف الكروب، وتفريج الضيق، وأيضاً نحن فى حاجة شديدة جداً إلى شفاعة سيدنا

(٤) سورة محمد: الآية ١٩.
(٥) سورة النساء: الآية ٦٤.

رســول الله ﷺ فى الدار الآخرة، ســواء عند الحساب أو عند الميزان أو عند الصراط أو فى غيرها من المواقف الحشرية.

فنسأل الله عز وجل أن يشفّعه فينا فى الدنيا والآخرة، إنه مجيب الدعاء.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.



آداب بيـوت الله الظاهرة والباطنة

- ★ أنواع بيوت الله
- ★ الطهارة الكاملة
- ★ الآداب الباطنة للصلاة
- ★ الآداب الشرعية لبيوت الله

هذا الدرس كان بالمسجد الكبير بقرية الأزهرى مركز العـدوة محافظة المنيا يوم الأربعاء الموافق ١٩٩٣/٧/٧ بعـد صـلاة الظهـر.

آداب بيوت الله الظاهرة والباطنة

الحمد لله الذى وفقنا لاتباع كلامه، وهدانا للعمل بأحكامه، ونسأله سبحانه وتعالى أن يجعلنا من أهل برّه وإكرامه، وفضله وإنعامه، نحن والحاضرين والسامعين أجمعين.

والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد بن عبد الله، الذى أرسله الله عز وجل رحمة لهذه الأمة، وأنقذها من الظلمات والشرور، إلى الهداية والنور، ومن الجهالة إلى العلم، ومن الذّلة إلى العزة، فصاروا به ﷺ كما وصفهم: «**حكماء، فقهاء، علماء، كادوا من فقههم أن يكونوا أنبياء**»[1].

اللهم صلى وسلم وبارك على هذا النبى، واحشرنا فى زمرته، ووفقنا لاحياء سنته.. واجعلنا فى الدنيا من أهل دعوته، وفى الآخرة من الممتّعين بشفاعته.. آمين يا رب العالمين.

الآيات التى استمعنا إليها وطلب منى أخى الكريم أن نتحدث فى جزء منها، سنحاول أن نتحدث فيها على قدرنا، فإن علم الله واسع، وكتاب الله لا نهاية لبيانه، ولا حد لتبيانه، ومهما قال القائلون أو فسّر المفسرون، فإنهم لم يبلغوا بعض معشار ما أودع الله فيه من العلوم.

(أنواع بيوت الله)

﴿ فى بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه، يسبح له فيها بالغدو والآصال * رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار﴾[2].

(١) رواه البخارى عن أنس رضى الله عنه.

(٢) سورة النور: الآيتان ٣٦، ٣٧.

ما تلك البيوت؟ وما الأدب الواجب علينا نحوها؟.

هذه البيوت يا إخواني ثلاثة:

١ - بيت محدود. ٢ - بيت معهود. ٣ - بيت ممدود.

البيت الأول «المحدود» الذى حددّناه وأنشأنا له جدراناً وسقفاً، وأعلنّا أن هذا البيت تقام فيه شعائر الله، ويحرص المسلمون على إتيانه للصلاة أو لتلاوة كتاب الله أو لذكر الله أو لحضور مجالس العلم أو حفظ القرآن الكريم وتبيانه، وهذا له أدبه.. لكن هذا البيت جزء من بيت كبير جهّزه لنا العليّ الكبير، وخص به البشير النذير صلوات الله وسلامه عليه..

وهو البيت «الممدود»، الذى يقول فيه:

«جعلت لىَ الأرض مسجداً، وتربتها طهوراً»[٣].

يعنى الأرض كلها مسجدا للمسلمين فقط، وهذه خصوصية للمسلمين والمؤمنين، لكن الذين قبلنا تَشْترط أديانهم أن تؤدى عباداتهم فى الصومعة أو البيعة أو المكان المخصص، فالطائفة الوحيدة التى أباح لها الله الصلاة فى المسجد وفى السوق وفى المزرعة، وفى المصنع، وفى الطريق، وفى البحر، وفى الهواء (الطائرة) وفى أى مكان هى الأمة المحمدية، إكراماً من الله عز وجل لهذه الأمة وإعلاءً لشأنها على ما عداها لأنها خصّت بفضائل لم يتفضل الله بها عز وجل على أحد سواها من الأمم السابقة والتى من ضمنها هذه الفضيلة.. ومن ضمنها الفضيله التى تحفظونها والتى هى فى قول الله عز وجل:

﴿ وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس﴾[٤].

(٣) رواه البخارى ومسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه.
(٤) سورة البقرة: الآية ١٤٣.

فهى الأمة الوحيدة التى تشهد على الناس، فلا أحد يشهد عليها ولكنها تشهد على غيرها، إكراماً من الله عز وجل لهذه الأمة، فالمسجد الممدود الذى لا نهاية له هو المسجد الثانى.

المسجد الثالث: الذى به يستطيع الإنسان أن يحفظ الآداب فى المسجد الخاص والعام هو «القلب» ؛ أى قلبى وقلبك والذى يقول فيه الله عز وجل:

« ما وسعتنى سمواتى ولا أرضى، ولكن وسعنى قلب عبدى المؤمن»[5].

يعنى قلب العبد المؤمن أوسع من السماء والأرض.

إذاً عندنا هذا المسجد وأوسع منه الأرض، وأوسع من السموات والأرض قلبى وقلبك، لكن ما كيفية الوسعة؟.. هذا شىء لا يعلمه إلا خالقه ومنشئه، وباريه عز وجل، لا العقول تعرف، ولا الأجهزة، ولا وسائل التكنولوچيا الحديثة تستطيع أن تعرف مداه، ولا غيبه، لأن هذا اختص الله به عز وجل بنفسه وهذا من علوم الله الغيبية.

(الطهارة الكاملة)

فإذا استطاع الإنسان أن يحفظ الآداب التى أوجدها الله عز وجل، وبيّنها سيدنا رسول الله، ينال التكريم الذى أوجبه الله عز وجل.. وما هذا التكريم؟:

« طوبى لعبد تطهَّر فى بيته، ثم زارنى فى بيتى، وعلى المزور أن يكرم زائره»[6].

---

(٥) رواه أحمد فى الزهد.

(٦) أخرجه البيهقى فى شعب الإيمان وأبو نعيم من حديث أبى سعيد رضى الله عنه.

فالذى ينفذ هـذا الأدب، يأخـذ التكريم الذى خصصه العـلى العظيم عز وجـل.

وأول أدب من هذه الآداب.. أن آتى إلى بيت الله وأنا طاهر متطهر:

﴿ **إن الله يحب التـوابين ويحب المتطهـرين**﴾[7] .. فتتبهنا هـذه الآية أن الطهارة ليس معناها غسل الأعضاء بالمياه فقط، وإلا قال: إن الله يحب المتطهرين مباشرة، لكن قبل ما يذهب للمياه يكون قد جهّز ذنوبه، واستحضر عيوبه، ويتوب إلى الله عز وجل منها.. فعندما يغسل بالمياه، يستحضر مع كل عضـو الذنب الذى فعله كل عضـو، ويستحضر أن الله غسل عنه أثر هذا الذنب، وعقوبته لما غسل هذا العضو بالماء..

إذاً الطهارة مطلوب فيها التوبة أولاً، ثم يتوضأ بعد ذلك ليجهّز نفسه، وإلا كيف يدخل على الله بذنوبه وأخطاءه؟.

هذه الذنوب توسخ الجلباب الذى أقابله به - هـل ينفع الآن أن أقابل رئيس المدينة بجلباب كله قاذورات وأوساخ؟.

فكيف الأمر، إذا كان هذا الجلباب به عذرات الناس؟.

هل ينفع أن أدخل بهذا الشكل؟.

إنه يطردنى فوراً، لأن معناها أننى لا أقدّره، ولا أعظمه.. فهو نفس الأمر يا إخوانى، الجلباب الذى أقابل به الله ما هو؟.

الرسول بيّن هذا لكى لا يكون لأحـد منا عـذر فقـال: «**إن الله لا ينظر إلى صوركم، ولا إلى أموالكم، وإنما ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم**»[8]، ينظر للقلوب، يعنى واحد يلبس جلباب أبيض ويكويها ويهتم بها، وسكب لتر عطر عليـها ورائحة، وكـولونيـا، لكن الجلبـاب الداخلى ملىء بالنجاسات، والقـاذورات، ولم يتب منهـا، ولم يعتـذر إلى الله منها.

---

(٧) سـورة البقرة: الآية ٢٢٣.

(٨) أخرجه مسلم وابن ماجه عن أبى هريرة رضى الله عنه.

هل هـذا يقبل على الله فى الصـلاة؟.. أبداً.. لأنه تطهّر ولكن لم يتب، تطهّر ظاهراً ولم يتطهّر باطناً.. الجلباب الداخلى يلبسها لى عندما يخلقنى، فعندما ينزل الطفل يحضرون له جلباباً، ويلبسونها له.. والله أيضاً يلبسه جلباباً، فأمه تلبسه جلباباً من الخارج، والله يلبسه جلباباً من الداخل، وعندما ينزل فيـأتى الحرس الجمهورى الإلهى (الملائكة) ويقولون: يا فلان -ونحن لا نراهم، لـكن هم يكلمـونه ويكلمهم- هنـاك: مكالمـة لك.. ممن؟.. من مَلك الملوك يقول له:

«يا ابن آدم خلقتـك طاهراً نظيفـاً، فاجتهـد أن تلقـانى كـما خلقتـك طاهراً نظيفـاً».

أى هذه جلبابك نظيفة فحافظ عليها على النظافة الخاصة بها، والبياض الخاص بها.. وبيضاء لماذا؟.

لأن الجلباب الأبيض يصلى فيـها، والنبى ﷺ قال: **«المـؤمـن مـرآة المؤمن»**[٩].

لأن المؤمن جلبابه أبيض، فعندما ينظر فى المرآة، ينظر إلى نفسه فوراً، ويعرف نفسه مباشرة، لأن أخوه جلبابه أبيض نظيف يحافظ على طهارتها، وكيف يتسخ هذا الجلباب؟.

قـال النبى ﷺ: **«كلما أذنب العبد ذنباً، كان نكتة سوداء على قلبـه»**[١٠].

بقعة سوداء (يعنى ظاهرة) فتظهر البقعة السوداء على الجلباب الأبيض لأن أكثر شىء يظهر فى الأبيض هو الأسود -نقطة سوداء على القلب- يعنى على الجلباب الذى ألبسه الله إياك -جلباب الصفاء والبهاء والضياء، والنور والكمال الإلهى.

(٩) رواه الطبرانى والبزار من حديث أنس رضى الله عنه.

(١٠) رواه الترمذى وابن ماجه وابن حبان والحاكم عن أبى هريرة رضى الله عنه.

فإذا لم تهتم بها ولم تغسلها، تأتى غيرها جوارها وغيرها جوارها..

«فإذا توالت الذنوب فذاك الرّان»[10].. يعنى الستار أو الغطاء الذى يغطى على القلب، ويجعله لا ينظر بنور الله، وإنما يمشى صاحبه على وفق ما أمره به حظه وهواه.

لكن المؤمن الذى جلبابه نظيف.. فهذا ما يقصده الحديث: **«اتقوا فراسة المؤمن فإنه يرى بنور الله»**[11]..

أَوْلى الملابس أن تلقى الحبيب به
يوم الزيارة فى الثوب الذى خلعا

أى أحسن الملابس البدلة العظيمة التى أعطاها لك، عندما تلبسها لكى تقابله بها، فهذا معناه أنك معترف له بنعمه وبكرمه، وبفيض عطائه، شاكراً لنعمه، وهذا الكلام معروف عندنا، فعندما يعطى واحد للثانى هدية، وإذا ذهب ليزوره يخفيها، وعندما يخرج يظهرها، نقول إن هذا الأمر غير سليم، هل يريد ألا يشعرنى أنى قدمت له فضل أو تحية؟.

لكن الثانى عندما يزوره يظهرها ويقول له شكراً على هديتك فهى هدية عظيمة لأنه معترف بالفضل.

إذاً هذه الجلباب التى أطالب أن أقابل بها الله عز وجل الذنوب والعيوب هى التى توسخها، فما الذى يطهرها؟.

التوبة، والاستغفار وأبالغ فيها إلى أن أغسل كل عيب فيها لقوله ﷺ: **«مَن لزم الاستغفار، جعل الله له من كل همّ فرجاً، ومن كل ضيق مخرجاً ورزقه من حيث لا يحتسب»**[12].

---

(10) رواه الترمذى وابن ماجه وابن حبان والحاكم عن أبى هريرة رضى الله عنه.
(11) أخرجه البخارى والترمذى من حديث أبى سعيد رضى الله عنه.
(12) أخرجه أبو داود والنسائى عن ابن عباس رضى الله عنهما.

فعندما أنظر إلى العيوب والذنوب، وآتى المياه لكى أغسل بها وأتوضأ، أتذكر وأنا أغسل يدى الذنوب التى ارتكبتها بيدى وأدعو الله أن يغسلها مع غسل يدى، وأتذكر وأنا أتمضمض الذنوب التى ارتكبتها بلسانى أو الأكلات المشبوهة التى تناولتها بلسانى أو الأفعال المحرمة التى فعلتها بالشفتين، وأنا أستنشق؛ أستحضر إذا كنت تحسّست على أحد أو تجسّست على أحد أو كنت أريد أن أشم أخبار سيئة على أحد وأدعو الله أن يغفرها لى مع الاستنشاق، وعندما أغسل وجهى أستحضر الذنوب التى ارتكبتها بوجهى كله.

وعند غسل ذراعى أستحضر الذنوب التى ارتكبتها بقوّتى وبحولى وفتوتى، وأدعو الله أن يغسلها مع غسل ذراعىِ بالماء، ولما أمسح رأسى أستحضر الذنوب التى فكرت فيها وأستحضر الحيل التى فكرت فيها كى أؤذى أخى المسلم أو ألبسه تهمة أو أغشّه، فكل تفكير فيما لا يرضى الله، أتوب إلى الله منه، وأنا أمسح على عقلى وعلى فكرى، وعلى مخى، وعلى رأسى، وأرجو الله أن يعفو عن هذا التفكير من رأسى ومن خاطرِى لما أمسح على رأسى، وكذلك قدمى وهذا ما قال فيه النبى ﷺ: «**من توضأ فأحسن الوضوء، فإذا غسل وجهه خرجت ذنوبه التى فعلها بأعضاء وجهه، حتى تخرج من أسفل ذقنه، فإذا مسح رأسه خرجت ذنوبه التى فكّر فيها بعقله حتى تخرج من منابت شعر رأسه، فإذا غسل رجليه خرجت ذنوبه التى مشى إليها بقدميه حتى تخرج من تحت أظفاره**»(١٣).

فالذنوب هى التى تخرج مع الماء من الجسم.

---

(١٣) رواه مسلم وأبو داود وابن ماجه من حديث أبى هريرة رضى الله عنه.

فعندما يأتى ويقف بين يدى الله نظيفاً طاهراً ليس فيه غل، ولا غش، وليس عنده حقد ولا سوء، ولا مكر، ولا دهاء، ولا كيد، ولا مرض من الأمراض التى نهى عنها الله وحذر منها سيدنا ومولانا رسول الله ﷺ، فعندما يقول: الله أكبر تفتح له كنوز فضل الله، فكنز الغفار به يغفر الذنوب والأوزار، وكنز العفوّ يعفو به عنه الخطايا، وكنز الفتاح به يفتح الله عليه من العلوم الوهبية، والأسرار القرآنية، ما به يحيّر السامعين مع أنه ربما يكون رجلاً أمياً لم يكتسب علماً فى معهد، ولكن علّمه الله عز وجل: **﴿واتقوا الله ويعلمكم الله ﴾**[14]، فالكنوز كلها تبدأ تفتح له بالعطايا، فيخرج من الصلاة وقد امتلأ قلبه من عطايا الله، وهذا هو المهم، وإن كان الناس الآن همهم كله فى ملء الجيب، لكن المستقيم همه كله فى ستر العيب، لأنه إذا سترت عيوب الإنسان، صار كملائكة الرحمن: **﴿لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون﴾**[15].

يعطينا عطايا ومنح ومنن لا نستطيع أن نبينها فى هذا المقام، وإنما أمرها موكل إلى قلوب أهل الإكرام وهى من باب (ذق تعرف)، يتذوقها الإنسان بقلبه ويحسّ بها بفؤاده، وينشرح لها صدره ولكنه يقول كما قال النبى الكليم: **﴿ويضيق صدرى﴾**[16] من كثرة ما فيه من هذه البضاعة الإلهية: **﴿ولا ينطلق لسانى﴾**[16] أى لا أستطيع أن أتحدث فيها، لأن هذه أشياء فوق الوصف، وفوق الطاقة، وفوق الإمكان لأنها من الله عز وجل لعباده المؤمنين، فيجهز القلب ويملأه بالحب، وبالود، وبالصفاء، وبالوفاء، وبالشفقة وبالعطف، وبالرحمة، وبالحنان، وبالعلم الإلهى، وباليقين، وبالنور، يملأه بأشياء لا نهاية لها من فضل الله ومن عطايا الله، لأنه أتى وقلبه طاهر لله عز وجل.

---

(١٤) سورة البقرة: الآية ٢٨٢.
(١٥) سورة التحريم: الآية ٦.
(١٦) سورة الشعراء: الآية ٢٣.

(الآداب الشرعية لبيوت الله)

هذه هى الآداب الأصلية ثم بعد ذلك الآداب الشرعية، وكلنا والحمد لله نحفظها لازم يدخل المسجد بالقدم اليمنى ويقول: بسم الله الرحمن الرحيم، اللهم افتح لى أبواب رحمتك، وإذا استطاع أن يضيف: وافتح لنا أبواب فضلك العظيم، وصلى الله على سيدنا محمد، ثم يلقى السلام على الجالسين، وإذا كانوا مشغولين إما بالصلاة أو بقراءة القرآن يقول: «السلام علىّ وعلى عباد الله الصالحين»، وعندما يدخل يبدأ أولاً بركعتين تحية المسجد، فإذا نسى وجلس، سقطت عنه تحية المسجد، لأن تحية المسجد قبل الجلوس، وإذا كان الإمام على المنبر، يصلى ركعتين تحية المسجد خفافاً، ثم يقبل على درس الخطيب، فوق المنبر ثم يجلس مستقبل القبلة فى جلوسه وينوى بعد جلوسه الإعتكاف، فقد قال ﷺ: **«اعتكاف عشر فى رمضان كحجتين، وعمرتين»**(17).

وأنا لا يفوتنى هذا الأجر العظيم من أجل أن أجلس، وأقول نويت الاعتكاف، لكن هناك أمر شروطه، وهى أن يكون فى المسجد وعلى وضوء، وآداب الاعتكاف ألا يشغل وقته إلا بطاعة الله عز وجل، إما بذكر أو تسبيح أو تهليل أو تحميد أو تكبير أو الصلاة على النبى أو الاستغفار أو تلاوة القرآن أو تلاوة درس علم، فلا يتكلم مع أحد من جلسائه إلا إذا كان سؤال عن مسألة شرعية أو سؤال عن حالة ضرورية دنيوية، ولا تطيل فى الكلام، لأن الكلام يبطل الاعتكاف، ويقبل على الله بعد الاعتكاف، ويلاحظ آداب المسجد بأن لا يرفع فيه الصوت، مهما صارت الأمور فإن من علامات الساعة رفع الأصوات فى المساجد، وألا يجلس فى الحلق التى فى المساجد وتشغل وقتها بالقيل والقال.

---

(17) رواه الطبرانى فى الكبير عن الحسن بن على رضى الله عنهما.

فقد قال رسول الله ﷺ: **«إذا كان آخر الزمان جلس أناس من أمتى فى المساجد يتحدثون فى أمور دنياهم، فإذا رأيتموهم فلا تجالسوهم»**[١٨].

أى هؤلاء الجماعة لا تجلسوا معهم، فمن يرد أن يتكلم عن زرعه أو بيعه أو عن جاموسته، يخرج خارج المسجد ويتكلم، ولكن هذا بيت الله: **﴿إنما يعمر مساجد الله مَن آمن بالله واليوم الآخر، وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين﴾**[١٩].

فها هى شروط هؤلاء الجماعة، فمن يرد أن ينادى على (ماعز) ضائعة أو بقرة تائهة فليؤجّر أحداً من الناس ينادى له ويعطيه خمسين قرشاً، لكن لا ينفع لذلك بيت الله، فلما أتى رجل مسجد رسول الله، وقال حاجتى ضائعة قال له ﷺ: **«لا ردّها الله عليك»** وقال: **«إذا رأيتم من ينشد ضالته فى بيت الله، فقولوا: لا ردّها الله عليك»**[٢٠].

إذاً ماذا نفعل؟:

يؤجر منادى ويعطيه خمسين قرشاً، ينادى له فى البلد وأيضاً الذى ينادى بأنه عنده كيماوى والثمن كذا أو عنده مبيد حشرى كذا، والثمن كذا، أو أن فلاناً سوف يذبح والثمن كذا.. هل بيت الله سوق؟.

نعم سوق.. ولكن للآخرة، وقد قال ﷺ للذى ينادى مثل هذا وذاك:

لا أربح الله تجارتك، وقد قال لنا أيضاً:

«إذا رأيتم الرجل يطلب لبيعه المساجد، فقولوا لا أربح الله تجارتك»[٢١].

---

(١٨) أخرجه البيهقى عن الحسن مرسلاً.
(١٩) سورة التوبة: الآية ١٨.
(٢٠) رواه مسلم من حديث أبى هريرة رضى الله عنه.
(٢١) أخرجه الترمذى والنسائى من حديث أبى هريرة رضى الله عنه.

لأن المساجد جعلت لذكر الله وللصلاة، ولإحياء شعائر الله عز وجل، ولا يصح أن نشغلها بتلك الأمور، فالشيء الضائع خارج المسجد والبيع خارج المسجد إلا استثناء واحد أفتى به العلماء لحاجة العصر، وهو الإعلان عن حالة الوفاة، وتكون بقدرها.. فلان توفى والدفن الساعة كذا.. وانتهى الأمر.. وهذا استثناء وحيد لأن الناس مشغولة وتريد من يسمعها، والناس كثرت، أما غير هذا فلا يجوز التنبيه إلا إذا كان على ندوة دينية أو تنبيه على مجلس علم أو تنبيه على تحفيظ قرآن، وهى مشاريع وأنشطة المسجد الذى نحن فيه، أو تنبيه أن نفعل مشروع كذا فى المسجد أو نبنى كذا فى المسجد يعنى لشيء مخصص لبيت الله عز وجل..

وهكذا لما أجلس فى بيت الله أجلس بالكيفية التى ذكرناها يا إخوانى، والهيئة التى تحدثنا عنها بالإضافة إلى ذلك يستحب -وهذا من المستحبات طالما دخلت بيت الله، فإذا وجدت سجاداً مثل هذا غير نظيف- لا أحضر الخادم وأقول له: تعالى يا أخى نظّف هذا.. لا.. إنما أنظفه أنا، وأدفعه مهر، وهل تنظيف الكليم مهر؟.. نعم.. قال ﷺ:

«قُمامة المساجد مهور الحور العين يوم القيامة»(٢٢).

فمن يرد أن يتزوج واحدة من الحور العين فها هى بيوت الله موجودة، ينظف كليم مثل هذا، أو يتجمع شباب الحى على تنظيف المسجد كل فترة فى الأسبوع، يوم مثلاً وننظفه كله من فوق لتحت، لأن هذا واجهة البلد، فمن يأتى ويرى المسجد نظيف ومهيأ يقول إن هؤلاء الناس مقبلين على الله، ومهتمين بأوامر الله، لأنهم محافظون على بيوت الله عز وجل، لكن لما يذهب للمسجد ويجده كله عنكبوت وكله تراب يعرف أن هؤلاء الناس ليسوا متفرغين لبيت الله، وإنما متفرغين لشهواتهم، وحظوظهم وأهوائهم، وملذاتهم، فيستدل بذلك على إيمان الناس، مثل بيتى وبيتك،

---

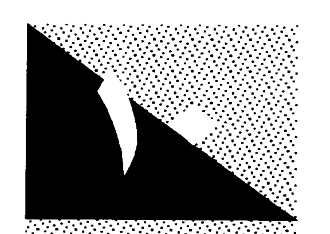
(٢٢) رواه الطبرى فى الأوسط والضياء فى المختارة عن أبى قرصافة.

فالذى يدخل حجرة الجلوس ويجدها مرتبة ونظيفة، يعرف أن أهل البيت زوّارهم كثيرون، ومهتمون بالحجرة على طول، لكن عندما أدخل حجرة الجلوس وأنتظر، ماذا تفعل لتصلحها؟..

فتزيل من عليها التراب، والعنكبوت، وهذه واجهة البيت، فإذا لم ننظف المنزل كله فعلى الأقل ننظفها.. وإلا ماذا يكون الحكم؟..

فالأمر كذلك هنا، فواجهة البلد يا إخوانى هو بيت الله عز وجل، هذه بعض الآداب يا إخوانى، والآداب بالنسبة لبيت الله كثيرة وكثيرة، فيها كتب تتكلم عن هذه الآداب لكن نحن ذكرنا الأمور الجامعة، نسأل الله عز وجل أن يكرمنا بالآداب معه فى بيته، وبالآداب معه فى حضورنا وفى حلّنا وفى ترحالنا، وفى بيوتنا، وفى أعمالنا، وفى كل شأن من شئوننا..

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.



الجهـل بالدين ومشاكل المسلمين

★ صور من مكر الغرب بالإسلام
★ آثار الرضاع في الولد

هـــذا الدرس تم عقب الغـداء بمنزل الحاج محـــروس عبـد الغنى محمـــد بالأزهرى مركز العـدوة محافظة المنيا يوم الأربعـاء الموافق ١٩٩٣/٧/٧ .



الجهل بالدين ومشاكل المسلمين

قال ﷺ: «**لو كان لابن آدم** - ولم يقل للمؤمن ولا للمسلم، لأن المؤمن لا يفعل هذه الأمور، لأنه متطهر- **وادياً من ذهب لتمنى الثانى، ولو كان له واديان لتمنى الثالث، ولا يملأ عين ابن آدم إلا التراب**»[1].

إذاً فمن يكون هذا؟.. هذا شكله إنسان.. لكن لا يوجد فى قلبه إيمان، ولذا لم يقل لو كان للمؤمن، لأن المؤمن ليست له هذه السكة، وإنما هو يريد حياة طاهرة وهى حياة الإيمان، لكن الإيمان أين هو.. عند هؤلاء؟.

ورب العزة قال فِى ذلك أيضاً: ﴿ **يا ابن آدم عندك ما يكفيك، وتطلب ما يطغيك** -لأن من يطلب هذه الأشياء، يطلب الطغيان- **لا من قليل تقنع ولا من كثير تشبع**﴾[2].

لأن مَن يطلب هذه الأشياء؛ فهو يطلب ما يطغيه ليقول: أنا لست محتاج لأحد من الناس، أنا عندى الذى يعيّشنى مئات السنين، وهذا ما قاله قارون، وهذا يا إخوانى الذى أتعب المسلمين الآن، قال ﷺ:

«**يأتى على الناس زمان لا يبالى الرجل رزقه أخذه من حلال أم من حرام**»[3].

وهذا هو الحاصل الآن، فالمهم عنده أنه يريد أن يملأ جيبه -هل من حلال أم من حرام؟- ليس شأنه ويقول أنا أدخل جهنم وليس لك شأن بى،

---

(١) أخرجه الشيخان والترمذى عن ابن عباس رضى الله عنهما.
(٢) رواه ابن عدى والبيهقى عن ابن عمر رضى الله عنهما.
(٣) رواه البخارى والنسائى عن أبى هريرة رضى الله عنهما.

ولا يعلم أنه يتحدى الله فالمؤمن على الأقل يسمع النصيحة، لكن هذا يقول: أنا أدخل جهنم وليس لك شأن بى أنت، وهـذه الأحوال عندما يراها المرء فى الأحوال الإنسانية، يندى لها جبينه، لأنه يرى إنسان مرض ولا يملك شيئاً فيذهب للطبيب، فيطلب منه ألف جنيه فيقول له أنا فقير؟.

يقـول: أنا ليس لى شـأن الذى ليس معـه، لا يطلب العـلاج، وأنا لا يهمنى، فهـل هـذه مهنة الطب؟!.

الطب مهنة إنسانية، فالطبيب يعالج الشخص ولا ينتظر منـه شـيئاً، أعطاه أم لم يعطه، لكن هذا قلّ فى هذا الزمان.. وهكذا فى معظم المهن الأمر على هـذا النظام.

وكانت النتيجة أن فقد المسلمين البركة فأصبحوا فى المعاناة والصراعات التى نراها الآن.. معاناة، وصراعات من هنا ومن هناك، ولكن من زيادة الغباء والجهـل لهؤلاء، يتشبّهون بالكافرين، ويريدون ألا يكون أحـداً مثلهم فى الدنيـا، ونسـوا أن هؤلاء جنتهم الدنيـا، فقد قال ﷺ: «**الدنيـا سـجن المـؤمن وجنـة الكافر**»[٤]، فأنت تريد أن تدخـل الجنـة معـه هنـا، وتريد أن تدخلها هناك.. لا يجوز.. لأن الله عز وجـل يقـول: «**لا أجمع لعبدى أمنين، ولا أجمع عليه خوفين، فإن هو أمننى فى الدنيا، أخفته فى الآخرة، وإن خافنى فى الدنـيا أمنته فى الآخـرة**»[٥].

فكيف تدخل هذه الجنة،والجنة التى هناك..؟ لا يجوز ذلك.

---

(٤) رواه مسلم والترمذى من حديث أبى هريرة رضى الله عنه.
(٥) أخرجـه ابن حبـان فى صحيحه والبيهقى فى الشـعب من حـديث أبى هـريرة رضى الله عنـه.

(صور من مكر الغرب بالإسلام)

وأجاب الشيخ رضى الله عنه أحد الجالسين عن آثار مكر الغرب على الإسلام والمسلمين فقال: قال الله تعالى: ﴿ **يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون** ﴾[٦].

والمسلمون الذين لا يعرفون أمور دينهم يساعدونهم، ففى الأسبوع الماضى سألنى أحد المسلمين عن حكم اغتصاب النساء المسلمات فى البوسنة والذين يغتصبونهن من الكافرين، ثم يأخذونهن تحت المراقبة حتى تضع المرأة الجنين الذى فى بطنها، أى تلده، لأنهن يحاولن أن يتخلصن من الجنين بالإجهاض، ونتيجة الحراسة لا تستطيع أن تقتله، وعندما تلده ترفض أن تستلمه، ويرفض المسلمون أن يأخذوه، لأنه جاء من كافر شرس فتكون النتيجة أن يأخذ الأطفال جمعية صليبية لكى تربيهم.

وهنا لأن الناس يغلب عليهم الجهل والعاطفة، يقولون المفروض أن تميته، لكن الإسلام لم يقل ذلك.

فلما ذهبت المرأة المسلمة (الغامدية) وقالت: يا رسول الله «زنيت، قال: لعلك قبّلت.

قالت: لَا.. زنيت.

فقال: لعلك لامست.

قالت: لا.. زنيت.

قال: لعلك فاخذت.

قالت: لا.. زنيت.

قال: لعلك ضاجعت.

قالت: أنا حامل يا رسول الله.

---

(٦) سورة الصف: الآية ٨.

فقال لعمها: خذها واكرمها، حتى تضع ما فى بطنها، ولم يقل اضربها كل يوم علقة أو خذها للسجن كما نفعل الآن، فلما وضعت الذى فى بطنها، سئل عن نسب الطفل، فقال ﷺ موضحاً الحكم:

يكتب باسم أمه، ودينه الإسلام ونسبه إلى أمه.

فلما ولدت وجاءت قال: «خذيه وأرضعيه، ولا تأتى حتى يتم الحولين الكاملين، وقال لعمها استوصى بها خيراً، وعاملها بخير حتى تتم أيام رضاع طفلها.

فجاءت بعد السنتين، وأحضرت الولد وفى يده رغيف(٧).

فقال لها: الآن إذاً.. ماذا نريد نحن أن نقول؟.

هؤلاء النسوة لو أخذن أولادهن وفعلن ما أمرهن به الإسلام، وربين أولادهن على الإسلام، وعندما يكبر يقول أبى من؟.

تقول: أبوك فلان، وفعل كذا وكذا.. ألا يأخذون بثأرهم؟.

ولو رجعنا قليلاً، نجد أن الجماعة العثمانيين اكتسحوا العالم كله، حتى أوروبا أخذوها فى طريقهم، فأخذوا الشام ومصر والحجاز وتونس والجزائر، كل هذه البلاد واكتسحوها ثم رجعوا على أوروبا وأخذوها حتى وصلوا للنمسا، والجيش الذى اكتسح كل هذه البلاد كان العمود الفقرى، فيه فرق يسمونها الفرق الانكشارية، والإنكشارية غلمان مسيحيون ولقّنوهم الإسلام، وعلموهم الإسلام، وربوهم فى مدارس إسلامية على حب الجهاد وهم الذين حملوا الراية، وكان الواحد منهم يدخل المعركة وهو يريد أن يحظى بالشهادة، أى يريد أن يكون شهيداً، فهم الذين حملوا الراية لكل الدول التى دخلتها الدولة العثمانية.

---

(٧) رواه مسلم من حديث بُريدة بن الحصيب رضى الله عنه.

ولهذا فالخطأ الكبير الذى يقع فيه إخواننا هناك، أن الولد سوف تربيه مربية صليبية وتحفّظه أن أمك ولدتك وألقتك.. لماذا؟.

لأن دينها يأمرها بذلك، فيخرج حاقداً على الإسلام.

فالجهل بتعاليم الإسلام يساعد الجبابرة أن يهدموا الإسلام من جانب المرأة المسلمة.

وأنتم الآن رغماً عنكن حدث هذا.. فالإسلام قال: ليس عليكن وزر، فلماذا تتخلّون عن الولد الذى تغذى من دمائكن، وأعضائكن؟.

(آثار الرضاع فى الولد)

الإمام أبو العزائم رضى الله عنه وأرضاه -كان له سائق خاص به- وكانت السيارات نادرة فى هذا الزمان، وكان يرى كما قال سيدى أبو الحسن الشاذلى: «إنه يجب على الرجل الصالح أن يستعمل كل مستجدات العصر.. ليعلّم الناس كيف يشكرون الله عز وجل عليها، أما لما نترك هذه الأشياء فكيف يتعلم الناس الشكر عليها؟.

فهذا الرجل الذى ذهب إليه، وكان يرتدى سيدى أبو الحسن جلباب ليّن عظيم، وذلك يرتدى مرقّعات.. فقال له كيف تكون رجلاً من الصالحين، وترتدى الثياب العظيمة هذه؟.

قال له: حالى هذا يقول الحمد لله.. وحالك هذا يقول اعطنى لله..

والإسلام أمرنى أن أظهر العزة، وقد قال رضى الله عنه:

يا بنى برّد الماء، فقيل له.. ولم؟.

فقال يا بنى إذا شربت الماء الساخن تقول الحمد لله، وفى نفسك كزازة، أى متضايق، لكنك إذا شربت الماء البارد حمدت الله بكل جوارحك والقرآن يقول:

﴿ قل مَن حرّم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق﴾[8].

وهذا أحد المغفلين، جلس مع الحسن، وأمامه تفاح فأعطاه واحدة.

قال: أنا لا آكله.

قال: لمَ؟!.

قال: هذا إسراف.

قال: ما الذى تستطيع أن تستغنى عنه؟ التفاح أم الماء؟.

– يعنى ما الأعظم فيهما عندك؟.

قال: الماء.

قال: إذاً.. اترك الماء إذا كنت تريد مجاهدة نفسك، فالتفاح لا تحتاجه لو لم تأكله خمس أو عشر سنين، أما الماء فلا تستطيع أن تستغنى عنه.

فمولانا الإمام أبو العزائم رضى الله عنه وأرضاه، كان يعلم الناس هذه الأشياء، فلما ظهرت السيارة، فقال نحن نحضر سيارة لكى تعيننا على الدعوة إلى الله عز وجل، فبدلاً من أن أقطع المسافة مشياً في سبع ساعات، فبالسيارة تأخذ ساعة فما المانع فى ذلك؟ فأحضر سيارة، وأحضر لها سائقاً، وكان مسيحياً، وأسلم على يديه، وأسماه صهيب الرومي، على إسم سيدنا صهيب، لأنه كان مسيحياً وأسلم، وذات يوم من الأيام، قال له: زر أمك التى أرضعتك لبن الإسلام، فذهب لأمه وقال لها: الشيخ قال لى زر أمك التى أرضعتك – ألم ترضعينى أنت؟.

فقالت: لا.. كنا فى الإسماعيلية، وكنا ساكنين فى بيت بها، وكنت قد مرضت مرضاً شديداً منعنى من رضاعتك، وكانت لنا جارة مسلمة، فهى التى أرضعتك، فعرف أنه بسبب اللبن الذى شربه من المسلمة.

(٨) سورة الأعراف: الآية ٣٢.

أسلم وإسلامه أثر على أمه، فأسلمت بعد ذلك هى وأخواته أيضاً.. لماذا؟.. لهـذا اللبن.

لأن السيدة عندما تُرضع، لا ترضع لبناً فقط، وإنما ترضع معه النظرات التى تنظرها له وهى مليئة بالإيمان والشفقة والعطف والحنان، وهذه لها تأثير غريب وعجيب، لم يكتشفه العلم ولم يصل إلى اكتشافه.. ولكن يرى تأثيره العارفون، والعالمون بتعاليم الله عز وجل.

فسيدنا الحسن البصرى رضى الله عنه وأرضاه والذى ليس له مثيل فى الزهد والورع والعلم والحكمة لأن أمه كانت خادمة عند السيدة أم سلمة، وكانت أم سلمة مسنة -أى كبيرة- فكانت تحتاج خادمة، وهذا الكلام بعد انتقال سيدنا رسول الله ﷺ بفترة، واشتغلت أمه عندها، فأرسلتها إلى مكان، فجلس الولد عندها يبكى وكان صغيراً، وهى مسنة وكبيرة فماذا تفعل؟.

قالت: أعلله – وذلك بأن تضع فمه على ثديها لكى يتسلى بمصه – فشاءت إرادة الله عز وجل له فى نزول قليل من اللبن فى جوفه، وهذا القليل من اللبن أعطاه الفصاحة والبلاغة والزهد والورع والعلم والحكمة.

فهذا أمر ليس بالهين، لكن إخواننا ليس عندهم فهم صحيح لهذا الموضوع، وهم لو فهموا الموضوع فهماً صحيحاً، لقالوا لها هذا الإغتصاب حدث رغماً عنك، وحكم الشريعة هنا أنه ليس عليها وزر، ولا يقام عليها حد، لأنها أكرهت، والمكره لا يقام عليه حد.

حتى سيدنا عبد الله بن مسعود لما أجبر على كلمة الكفر، فقالوا له: سب محمداً وارجع للكفر، ففعل ذلك وذهب إلى رسول الله ﷺ، فقال له: إن عادوا فعد وأنزل الله:

﴿إلا مَن أكره وقلبه مطمئن بالإيمان﴾[٩].

فالمكره فى هذا المقام لا يقام عليه الحد، لكن الحد يقام على التى فعلت برغبتها.

فليس على الأولى حد.. فماذنب الطفل الذى تكوّن منها ومن عظمها ولحمها ودمها، ومن روحها ومن أجهزتها، وفيه استعداد للإسلام وللإيمان؟.

فهـو يكتب باسـمها ويأخـذ دينهـا، فلماذا تتخلى عن أطفالهـا الأم المسـلمة؟.

إنه الجهل الذى أعطى الغـرب الفرصـة، ويساعدهم على أن يكيـدوا لدين الله عز وجل.

فيأخذونهم ويربونهم ويصرفون عليهم، لكى يصبحوا أعداء للإسلام، فالذى يساعدهم بمثل هذه الأمور يدخل دائرة الجهل.

لأن المسلمين لو تمسكوا بأمور دينهم، ما استطاع أن يصل إليهم أى شىء من دائرة أعدائهم، لأن الله عز وجل يحصن المؤمنين، ويحمى المؤمنين من كيد الكافرين.

وقد قال عز وجل: **﴿وكان حقاً علينا نصر المؤمنين﴾**[١٠].

ولنفرض أن الغرب أخذ جولة، فالكفار أخذوا جولة مع رسول الله ﷺ لكن المهم والعبرة والامتنان بنهاية الجولة، وأكيد سيكون لنا فيها النصر.

فالجولة التى أخذ فيها الرسول وصلت لدرجة: **﴿وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله﴾**[١١].

---

(٩) سورة النحل: الآية ١٠٦.
(١٠) سورة الروم: الآية ٤٧.
(١١) سورة البقرة: الآية ٢١٤.

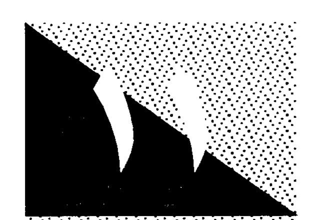
ولكن الله عز وجـل أعزه وكرمه، وشرفه بنصره فى النهـاية، وهكذا الأمر يا إخوانى فى كل زمان ومكان، تصديقاً لقول الله عز وجل:

﴿ وعـد الله الذين آمنـوا منـكم وعملوا الصـالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم، وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم، وليبدلنهم من بعـد خوفهـم أمنـاً، يعبـدوننى لا يشركون بى شيئاً ﴾[12].

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

---

(١٢) سـورة النور: الآية ٥٥.



الهجرة
معانى وأسرار

★ الهجرة الأولى (من المعاصى إلى الطاعات)
★ الهجرة من مجالس الباطل
★ الطريقة الشرعية لإصلاح الآخرين
★ الهجرة الثانية (من الدنيا إلى الآخرة)
★ الهجرة الثالثة (من الاكوان إلى مكون الاكوان)
★ أنواع الهجرات
★ التخلق بخلق الله عز وجل

هـذه المحاضرة كانت بالمسجد الكبير بالعدوة محافظة المنيا يوم الأربعـاء الموافق ١٩٩٣/٧/٧م بمناسـبة الإحتفـال بالعـام الهجرى الجديد وذلك بعـد صلاة المغرب

الهجرة معانى وأسرار

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله الذى هدانا بفضله إلى طاعته،ووفقنا جميعاً للوقوف بين يديه، ومواجهة أنوار عظمته، ونسأله سبحانه وتعالى أن يكشف لنا فى الصلاة أنوار حضرته، ويجعلنا جميعاً من الذين يتمتعون بنور طلعته، حتى لا نغيب عن الله طرفة عين، ولا أقل من ذلك ولا أكثر.. آمين يا رب العالمين.

والصلاة والسلام على سر الوجود، وكوكب السعود، وروح الحياة لكل موجود، ونور القرب من حضرة الودود، سيدنا ومولانا محمد بن عبد الله، كوكب هدايتنا، وكنز سعادتنا، ونور بدايتنا، وحامل لواء السعادة فى نهايتنا.

عليه، وعلى آله وأصحابه والقائمين بدعوته؛ الصلاة والسلام إلى يوم الدين.. آمين.

وبعــــد..

الحقيقة يا إخوانى الآيات التى استمعنا إليها ونحن فى الصلاة، آيات من سورة التوبة التى تتحدث عن هجرة سيدنا ومولانا رسول الله ﷺ..

لما سمعتها انشغل بالى بأمر هذه الهجرة العظيمة والنعمة الكريمة التى أكرم بها الله حبيبه ومصطفاه، وأكرم بها الله المهاجرين.. والأنصار المعاصرين لسيدنا ومولانا رسول الله ﷺ، ونحن لم نحضرها رغماً عنا لأننا لم نكن ولدنا ولا خلقنا فى ذلك الزمان، وفى هذا العصر والمكان ولكن ما ذنبنا ؟.

نحن نريد أن نهاجر ونريد أن نحصّل، ونحصل على ثواب المهاجرة وعلى ثواب المناصرة ماذا نفعل؟.

ترى باب الهجرة قفل أم لازال مفتوحاً؟.

فوجدت يا إخوانى بفضل الله أن باب الهجرة مفتوح لكل عبد من عباد الله، يؤمن بالله ويتبع سيدنا ومولانا رسول الله، سواء كان العبد متعلماً أو جاهلاً، موظفاً أو فلاحاً، رجلاً أو امرأة.. فالكل مطالب ليس بهجرة واحدة، وإنما بهجرات كثيرة، لكن ليست كما حصرها البعض أن تكون من مكان لمكان.. لا.. النبى قال هجرة المكان انتهت: «**لا هجرة بعد الفتح، ولكن جهاد ونية**»[1]، يعنى هجرة معنوية، وهجرة روحانية، وهجرة بالمعانى الإيمانية، وليست بالحركات والجوارح الجسمانية، مثل ما بعض الناس فسروها، وأوّلوها، وخالفوا بذلك كلام رسول الله، وهذه الهجرة من أين وإلى أين؟.

كل واحد فينا مطالب أن يهاجر من النواهى التى نهى عنها الله، إلى الأوامر التى أمر بها الله.

هذه هجرة لابد منها، وبصيغة أخرى.. نحن مطالبون أن نهاجر من المعاصى، وأماكن المعاصى، وكل ما يقرب من المعاصى إلى الطاعات وأماكن الطاعات، وأماكن العبادات، وكل ما يقرب إلى الله من أعمال صالحات.

---

(١) متفق عليه والحديث برواية مسلم عن عائشة رضى الله عنها وقد رواه أحمد والترمذى والنسائى عن ابن عباس رضى الله عنهما.

(الهجرة الأولى)

« من المعاصى إلى الطاعات »

كل مؤمن مطالب بهذه الهجرة سواء كان جاهلاً أم عالماً.. رجلاً أو امرأة أو شاباً فالكل مطالب أن يهاجر من المعاصى إلى الطاعات، ومن الأماكن التى بها المعاصى إلى الأماكن التى بها الطاعات وهذا ما وضحه الرسول وبين طريقه وسبيله وقال فيه:

« المسلم مَن سلم المسلمون من لسانه ويده، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه»[٢].

هذا هو المهاجر، وكلنا نريد أن نحصل على هذا اللقب، ونسمّى عند الله مهاجرين

فالمهاجر عند الله فى زماننا هذا.. مَن هجر (أى ترك) ما نهى الله عنه.. يعنى نضرب أمثلة:

أنا جالس فى مجلس.. والمجلس الذين يجلسون فيه بدأوا يخوضون فى الآخرين، قيل وقال وفلان صفته، وفلان نعته، وفلان كذا وكذا، أصبح هذا المجلس ليس مجلس غفلة، بل اسمه مجلس ظلمة، لأنه يخرج منه دخان، يستوجب دخان جهنم، والعياذ بالله، ويخرج منه رائحة، الملائكة تشمها.. رائحة منتنة فيتساءلون من هؤلاء؟.

فيقال إنهم جماعة جالسين يغتابون الآخرين، أو يلمزون ويعيبون المسلمين.. هذا مجلس الظلمة.. فأنا الواجب علىّ هنا الامتثال لقول الله عز وجل: **﴿فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين﴾**[٣]، أى لا تقعد معهم، واهجرهم.. وقم.

---

(٢) متفق عليه من حديث ابن عمر رضى الله عنهما.

(٣) سورة الأنعام: الآية ٦٨.

فإن قلت أنا جالس معهم ولكن غير راض عنهم نقول: لا.. فقد قال ﷺ: «**السامع والمغتاب شريكان فى الإثم**»[٤]. فإذا كنت لا تتكلم ولكن تسمع، فماذا تسمع؟ ومن الممكن ألا تستطيع الرد عن غيبة أخيك، لأن ذلك ممكن يجر مشكلة أو تحدث مشاجرة.. إذاً فالأفضل أن تهجر وتهاجر من هذا المجلس، مجلس الغفلة، وأيضاً إذا جلست فى مجلس دعوة في فرح، وكلنا معرضون لهذه الدعوة، والنبى أمرنا أن نلبى الدعوة وقال: «**من دعى فليجب**»[٥].. ولنفرض أنه فقير، فهذا أولى بالإجابة، والغنى ممكن أن تعتذر له، لأن أحبابه كثيرون، لكن الفقير، أنت مطالب أن تذهب له لتفرّحه، وكان ﷺ لا يرد دعوة الداع، حتى اليهودى فمن يدعوه يذهب إليه لكى يعلّمنا ألا نرد الدعوة، لأن رد الدعوة ممكن يكسر خاطر أخى المسلم، أو يمكن أن أكون مريض بشىء من الكبر فأقول: لماذا أذهب وآكل.. أنا عندى الطعام.. الموضوع ليس موضوع طعام.. الموضوع جبر خاطر أخيك المسلم.. وقد قال ﷺ: «**ما عبد الله بشىء أفضل من جبر الخاطر**»[٦].

هذه عبادة المؤمنين.. فالأمر ليس أمر طعام ولا شراب.. فالناس كلهم عندهم الطعام والشراب والمتع والهناء، فذهبت والمكان الذى جلست فيه، فيه جماعة أحضروا جوزه.. وهذا ما يحدث فى الأفراح، وإن كان ليس كلها بل أغلبها، ويتناولون الحشيش ويعتبرون أنهم أخذوا تصريح بشربه من الله فى هذه الليلة.. ومن أين أتوا بهذا التصريح؟ لا إدرى.. هل الأمانة المحمدية صرحت بهذا التصريح؟.

أبداً.. هل مكتب العظمة الإلهية.. صرح وأعطى أحداً هذا التصريح؟!.

---

(٤) رواه الطبرانى عن ابن عمر رضى الله عنهما.

(٥) رواه البخارى ومالك عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما.

(٦) أخرجه السخاوى فى المقاصد الحسنة.

أبداً.. إذن هذا التصريح مزور، وطالع من مكتب إبليس مثل التزويرات التى تخرج فى زماننا هـذا، لكى يقـع المسلمون فى الأخطاء والأغـلاط من مكتب إبليس كيف؟.

يُزيّن لهم فى الكلام ويزوّر لهم فى القول: «**شياطين الإنس والجن يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً ولو شاء ربك ما فعلوه**»[٧].. ماذا أفعل يا رب؟.

قال: أنت تهاجر ﴿**فذرهم وما يفترون**﴾[٨].. ذرهم يعنى اتركهم واهجر المكان، ربما صاحب الفرح والدعوة يغضب.. فليغضب.. إن كان يعرفنى يجلسنى فى المكان المناسب لى.. هل أخاف من صاحب الدعوة، ولا أخاف من الله عز وجل؟.

افرض أنا جالس، ولا أشرب.. إنه قال:

﴿**ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار**﴾[٩].

(الغضب لله)

إياك أن تركن إليهم، لأنهم نازل عليهم فى هذه اللحظات غضب من الله، ونازل عليهم لعنات من ملائكة الله، ونازل عليهم سخط من الله، فالذى يجالسهم يمسه شىء من جانبهم، لما قال الله لسيدنا جبريل فى زمن بنى إسرائيل:

---

(٧) سورة الأنعام: الآية ١١٢.
(٨) سورة الأنعام: الآية ١٣٧.
(٩) سورة هود: الآية ١١٣.

« اهبط إلى بلدة كذا، وأقلب عاليها سافلها، فقال يا رب إن فيهم فلان وفلان من الصالحين، فقال: يا جبريل بهم فابدأ»(١٠).

أبدأ بهم أولاً، وهذا ما رواه الصادق الأمين، فهو رواية وكالة الصدق المحمدية التى ليس بها أنباء مدسوسة، ولا مكذوبة، ولا مزوّرة، ولا محوّرة وربنا زكّاها وقال فى صاحبها: **﴿وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى﴾**(١١).

فسيدنا جبريل تعجب، والمجموعة (الكتيبة) التى معه، ليجعلوا عاليها سافلها.

تعجّبوا فقال الله عز وجل: **«لأنهم رأوا الظالمين، وخالطوهم، وآكلوهم، وشاربوهم، ولم يمنعوهم»**(١٠).. والمفروض أن يغضبوا لله.. العادة أن الشخص منا يغضب كثيراً وهذه مصيبة هذا الزمان، لكن يغضب لماذا؟.

يغضب لنفسه.. واحد قال له: أبوك.. يقول له أبوك.. ويذهب للبيت ويقول: احضروا الطعام، يقولون له: لم يتجهز.. هنا يمكن أن يضربهم أو يشتمهم، ومن الممكن أن يطردهم لأنهم لم يحضروا له الطعام أو تأخّروا فى إعداد الطعام، ويمكن هى مسكينة لم تصلّ -ليس شأنه - لا يسألها هل صلّيت أو توضأت؟ أو ماذا فعلت؟.

كيف هذا يا إخوانى؟.

هذا هو من يغضب لنفسه ولا يغضب لله عز وجل.

ابنه رسب فى مادة أو مادتين، يحزن، ويأتى له غمّ الدنيا كله، كيف رسب فى مادة ويأخذ فيها درس؟.. ويريد أن يحضر له أستاذ ليس له مثيل لينجح فى الدور الثانى.. وابنه راسب بالكلية فى مادة الصلاة وليس له شأن

(١٠) رواه الطبرانى فى الأوسط والبيهقى فى الشعب عن جابر رضى الله عنه.

(١١) سورة النجم: الآيتان ٣، ٤.

– أليست هذه مادة سوف نمتحن فيها كلنا؟.. قال ﷺ: «**أول ما يحاسب المرء يوم القيامة، على الصلاة فإن وجدت كاملة قبلت وسائر عمله، وإن وجدت غير كاملة، ردّت وسائر عمله**»(١٢).

إذاً أنا أغضب لمن: ﴿ **لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً** ﴾(١٣).. كيف كان يغضب؟.

سألوا السيدة عائشة فقالت: «**كان لا يغضب لنفسه قط**»(١٤).

واحد يقول أنت كذا وكذا، لا يلتفت إليه، حتى الرجل الذى شده، وظل يشده إلى أن أثرت فى رقبة النبى، ويقول: إنكم يا بنى عبد المطلب قوم مطل – أى أنتم مماطلون لا تدفعون الحقوق– وهذا يهودى ليس بمسلم.

سيدنا عمر تحمس وأمسك السيف وأراد أن يضربه، ورسول الله يبتسم.. ولما وجد أن سيدنا عمر سيضربه، قال له ﷺ: لا.. أنا وهو يا عمر كنّا أولى بغير هذا منك.. أى أن الذى فعلته هذا عصبية جاهلية، مثل ما يحدث فى عصرنا هذا، يرى أخاه مخطئاً، ويقول لا، والنبى قال: «**انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً**».

أقف مع أخى أو أقف مع الغريب.. النبى قال الحديث.. وأنت تأخذ بعضه، وتترك بعض.. لماذا؟.

قال: انصره مظلوماً، فكيف أنصره ظالماً؟.

قال: «**تمنعه من الظلم فذلك نصرك إياه**»(١٥).

---

(١٢) رواه أبو يعلى عن أنس رضى الله عنه.
(١٣) سورة الأحزاب: الآية ٢١.
(١٤) متفق عليه من حديث عائشة رضى الله عنها.
(١٥) رواه البخارى عن أنس رضى الله عنهما.

نحن نأخذ الجزء الأول فقط، لكن لو كان ابنى ظالم، أقول له أنت ظالم.

ولو إننى عملت الظلم، فالإعتراف بالحق فضيلة، ليس هناك شيء إن قلت أنا أخطأت، فلأن أقولها هنا، خير من أن يقولوا لى هناك، قلها رغماً عنك.

وقالت السيدة عائشة: «**كان لا يغضب إلا إذا انتهكت محارم الله عز وجل**»(١٤).

إذاً لماذا يغضب؟.

لله عندما يرى حاجة من دين الله عز وجل، غير سليمة أو شيء من أوامر الله لم ينفذ، أو شيء من هدى الله لم ينفذ، قال رسول الله ﷺ: «**يا عمر أنا وهو كنا أولى بغير هذا منك.. تأمره بحسن المطالبة، وتأمرنى بحسن الأداء**»(١٦).

ياللعجب.. تأمر رسول الله ﷺ.. نعم وهو الذى قال.. انظر هذا الأدب العالى الخاص برسول الله ﷺ.

(الهجرة من مجالس الباطل)

أنا وجدت فى مكان دار فيه الخبث سواء هذا الخبث كان لغواً.. يعنى كلام لا ينفع ولا يفيد.. مثل جماعة جلسوا يتحدثون فى كرة القدم، وأنا ماذا أستفيد؟ وهم ماذا يستفيدون؟.

---

(١٤) متفق عليه من حديث عائشة رضى الله عنها.

(١٦) رواه البخارى والترمذى عن أبى هريرة رضى الله عنه.

أو جلسوا ليخططوا بأهوائهم، ظانين أنهم يفكرون فى حل مشاكل الناس.. لكن هم ليسوا مسئولين عن ذلك.. كل هذا اسمه لغو..

وربنا أمرنا أن نبتعد عن هذه المجالس، رغم أنها ليس بها ذنب، لأننا لا نخوض فى حق أحد، لكن ربنا قال: **﴿والذين هم عن اللغو معرضون﴾**(١٧).

إذاً نعرض عن هذه المجالس، وكذلك مجالس الباطل، مثل مجالس الغيبة، والنميمة أو الفتنة، لازم أغادر هذه المجالس أو مجلس من مجالس الإثم، وهو الحشيش أو الجوزة أو فيها الخمر.. لازم أغادرها فوراً.

لا أقول إننى ليس لى شأن بهم، لأننى لم أشرب، وأنا جلست فقط.

لا يا أخى المسلم، لأن غضب الله سينزل على الجالسين جميعاً، إذن لازم أغادر هذه المجالس فوراً حتى لا أصاب بغضب الله معهم، وكان سيدنا عبد الله بن عباس رضى الله عنهما، إذا مرّ بمجلس تنتهك فيه محارم الله، أو فيه القيل والقال، يضع يديه على أذنيه، ويمر بسرعة، أى يجرى، فيسألونه: لم تصنع هذا؟ فيقول: حتى لا أسمع شيئاً، وأخاف أن أحفظ مثل هذا الكلام، فيسود قلبى.

فكما أن القرآن ينور القلوب، فالكذب أو النميمة يسودان القلوب يا إخوانى.

لماذا تجرى؟.

قال: أخاف أن ينزل عقاب الله، وأنا قريب منهم، فأصاب معهم.

فزوجة سيدنا لوط كانت مع هؤلاء الجماعة، فسيدنا لوط غادر المكان وهاجر هو ومن معه زوجة سيدنا لوط، وسيدنا نوح الآية تقول فيهما:

(١٧) سورة المؤمنون: الآية ٣.

﴿فخانتاهما﴾[١٨]. والخيانة هنا ليست خيانة زوجية، لأنها ممنوعة بالنسبة لنساء الأنبياء عليهم السلام، لكن الإيمان لم يستقر فى قلوبهن.

وإياك يا أخى المسلم أن تفكر فى أى شىء بخصوص نساء الأنبياء، فكانتا تظهران الإسلام مثل ابن نوح، كان يتظاهر بالإسلام، لكن لم يظهر هذا الموضوع إلا ساعة الطوفان.

فالخيانة، أنهن كنّ يتظاهرن بالإسلام، ولكن الإيمان لم يستقر فى قلوبهن، ولما غادر المكان هو وزوجته، وبناته، سمعوا أصواتاً رهيبة من السماء، لأن سيدنا جبريل نزل وأخذ هؤلاء الجماعة على ريشة من جناحه، وذهب إلى السماء، وأنزلهم، وكانوا سبعمائة ألف فيهم خمسمائة ألف امرأة، وبعد ما نزل، نظروا فوجدوا جيشاً من الطائرات الإلهية الصغيرة، والطيور وقد أتوا بحجارة من سجين، ليرجموهم لأنهم كانوا يرتكبون المعاصى والذنوب وخاصة اللواط، فلهم الرجم ولو كان بعد الموت.

فلما سمعوا هذه الأصوات، نظرت خلفها وقالت: آه.. يا قومى وحزنت عليهم فأخذت سهماً مثلهم وماتت.. لماذا؟.

لأنها غضبت على عذاب الظالمين فأصبحت منهم، لذلك لا تأخذك الشفقة، لما تحضر إقامة الحدود على المسلمين والمسلمات، وحتى إذا كان فيهم شباب، وشابات.. لم يتزوجوا تصديقاً لهذه الآية:

﴿ولا تأخذكم بهما رأفة فى دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر﴾[١٩].

فالذنوب الصغيرة تؤدى إلى الذنوب الكبيرة.. يعنى إياك أن ترحم ابنك، وتقول الجو شديد البرودة لا تصلى، أو اليوم حار جداً فتجعله يفطر

---

(١٨) سورة التحريم: الآية ١٠.

(١٩) سورة النور: الآية ٢.

ولا يصوم، فلقد قال الله لعبده: إننى أريد أن يأخذ الكتاب بقوة: **﴿يا يحيى خـذ الكتاب بقـوة﴾**[٢٠].

يعنى أحكام الكتاب يأخذها بقوة، فلا يذهب لصلاة الفجر ويقول اتركوا ابنى ينام، ولا يصلى الفجر فى جماعة، لأن الصلاة خير من النوم، ثم بعد الصلاة يرجع لينام حتى يستطيع أن يأخذ أحكام الله بقوة، فلا تسمح له برخصة، لأنه شاب وذو قوة، وإنما يسمح للمريض وللمسن -أى الرجل الكبير فى السن- وللمسافر إن وجد فى السفر مشقة وتعب، وإذا كان شاباً مسافر لا تعطى له رخصة حتى يستطيع فى المستقبل أن يكون رجلاً قوى العزيمة، إمرءاً قوياً أيضاً مثل الرجال.

(الهجرة الأولى)

أن تهاجر من المعاصى إلى الطاعات كلها.. والمعاصى التى تجرى ونحن جالسون فى هـذه المجالس، التى لا يرضى عنهـا رب العـالمين، أو المعاصى الظاهرة فينا.

يعنى نهاجر من الأخـلاق التى نهى الله عنهـا، إلى الأخـلاق التى أمرنا بهـا رسـول الله ﷺ من الكذب إلى الصـدق، ومن الخيانة إلى المـروءة، ومن الجبن إلى الشجاعة، ومثلها أنواع وأصـناف من الأخلاق الإلهيـة.

أمرنا الله أن نترك الأخلاق السيئة ونهاجر إلى الأخلاق الإيمانية التى أمر بها الله عز وجل لنا وللرسول ﷺ، ومدحه عليها، وقال له ﷺ: **﴿وإنك لعلى خلق عظيم﴾**[٢١].

---

(٢٠) سـورة مريم: الآية ١٢.

(٢١) سـورة القلم: الآية ٤.

ولكى أهاجر والهجرة تكون سليمة، لا أسمح لنفسى بتفسـير أو تأويل، فالكذب هو الكذب، ولا أقول إنها كذبة بيضاء، من أين علمت أنها كذبة بيضاء؟.

هل عرضت على الكشاف الإلهى، وقال إنها كذبة بيضاء؟.

هل رأيت الملائكة الذين معى لم يسجلوا علىّ هذا الذنب؟.

لأن الملائكة تعرف أن هذا الإنسان كذّاب، عندما تظهر علامات الكذب عليـه.

فعندما يكذب الإنسان، تخرج من فمه رائحة نتنة تشمها الملائكة على بعد ميل، وقال رسول الله ﷺ فى رواية أخرى:

«إن الملائكة تفر من الكذاب ثلاثين ميلاً من نتن رائحـة فمه»[٢٢].

كيف يعرف الملائكة أنه يغتاب؟.

يرون لحمة منتنة فى فمه، فنحن إن كنا لا نراها، فالملائكة تراها.

وإن كان بعض المتقين يرى مثل هذه الأشياء، ونحن سنراها جميعاً، ولكن يوم القيامة، ونعرف أن هذا الرجل يغتاب.. ونعرف الرجل أو المرأة الزانية.. ويشم من فرجهـا رائحة نتنة تبلغ عنـان السـماء، ويعرف أنه وقع فى الزنا قبل هذا الموقف العظيم من يحس بعرش الله يهتز، لأن العرش يهتز إذا وقعت هذه الجريمة من المؤمنين والمؤمنات.

إذاً كيف أعرف أنها كذبة بيضاء أو كذبة غير مقبولة تسوّد وجه قائلها يوم القيامة؟.

﴿ ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة﴾[٢٣].

---

(٢٢) أخرجه الترمذى عن ابن عمر رضى الله عنهما.

(٢٣) سـورة الزمر: الآية ٦٠.

هذه الآية، أصحاب رسول الله ﷺ، عاشوا فيها فى الدنيا، فسيدنا عبد الله ابن مسعود رضى الله عنه وأرضاه، قال: «**كنا نعلم الكذاب بعلامة فى وجهه**».

إفرض أننى أضحك، قال رسول الله ﷺ: «**إنى لأمزح ولا أقول إلا حقاً**»(٢٤).

أى يقول الحق حتى فى المزاح، حتى أتمرن على قول الحق ولو فى الضحك.

(الطريقة الشرعية لإصلاح الآخرين)

وسوف أقول إننى رأيت أن فلاناً به عيب ولازم أصلح عيبه، إذا أقامك الله مقام الإصلاح، فأصلح، ولزم عليك أن تتعلم طريقة الإصلاح من العارفين بالله الذين يعملون بالشريعة الإسلامية، وما الطريقة الشرعية للمعالجة؟.

يقول فى مثل هذا رسول الله ﷺ: «**ما بال أقوام يفعلون كذا؟ وما بال أقوام لا ينتهون عن كذا؟**».

ولم يكن، يحدد أحداً، حتى لا تحدث فتنة، أو أتفق أنا وصاحبى على أن أقول له طريقة للخلاص من هذا الذنب أمام الرجل المذنب، بحيث يكون الكلام غير مباشر على صاحبى حتى لا ينفر من المجلس، فالإصلاح الدينى لا يجوز فيه شرعاً أن نقول إن فلان يعمل كذا أمام الناس حتى لو كانت جريمة أو ذنب.

---

(٢٤) رواه الطبرانى عن ابن عمر والخطيب عن أنس.

﴿ إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا لهم عذاب أليم فى الدنيا والآخرة﴾(٢٥).. حتى لو كانت جريمة أنت متأكد منها.

فلا تعلنها أمام الناس لأنك لم تعلم أين الحقيقة، لأن الشباب لو سمع هذه الجريمة فقد يريد أن يفعل مثل هذه الجريمة، ولذلك الباب الذى نعيب عليه، باب الحوادث فى الصحافة، لكن إذا كانت جريمة والجانى اعترف أنه فعلها أو الشواهد والبصمات أكدت ذلك إذا أردنا أن نطبق الحد عليه أمام الناس، فإننا نعلن عن أسباب الجريمة، لتكون عبرة لمن يعتبر: **﴿وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين﴾**(٢٦)، لكن إذا كانت حادثة لم نتأكد أنها حقيقة أو ملصقة فلا يجوز الإعلان عنها، فإذا سمعت أنه حصل فى القرية كذا، وأنا غير متأكد منها فلا يجوز أن أتكلم عنها، وربنا نهانا عن ذلك.

﴿ ولولا إذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا أن نتكلم بهذا سبحانك هذا بهتان عظيم يعظكم الله أن تعودوا لمثله أبداً ﴾(٢٧).

فلا تقولوا إلا الحق، حتى لا تندموا يوم القيامة، وتقولوا: **﴿كنا نخوض مع الخائضين﴾**(٢٨).

وهذه ليست من صفات المؤمنين، لازم نترك المجالس الباطلة، وكل مجالس الفجور وكل الأعمال التى تبعد عن حضرة الله، ونهجر كل الأعمال الباطلة، ونهجر هذه المجالس إلى مجالس التقوى، ومجالس العلم، ومجالس الصالحين، ومجالس الذكر، ومجالس القرآن، ومجالس البر، والخير، والرحمة والحكمة.

إذاً المطلوب أن نهاجر من مجالس العصيان إلى مجالس الرحمن، ومن الذنوب إلى الطاعات.

---

(٢٥) سورة النور: الآية ١٩.
(٢٦) سورة النور: الآية ٢.
(٢٧) سورة النور: الآية ١٦.
(٢٨) سورة المدثر: الآية ٤٥.

الهجرة الثانية

(من الدنيا إلى الآخرة)

وأنا أزور المريض لوجه الله أكون فى الدار الآخرة، وكذا وأنا أشيع جنازة ابتغاء وجه الله، أكون فى الدار الآخرة، فطالما أنا فى عمل من أعمال الخير، أو أعمال البر أكون فى الدار الآخرة.

فما الدنيا التى أهاجر منها إلى الآخرة؟ وكيف أهاجر منها؟.

إننى أهجر الأوصاف التى ذكرها الله للدنيا، وأحَلّى نفسى، وأكمّل نفسى بالأوصاف التى وصف بها الله أهل الآخرة.

فاللعب واللهو مثلاً من الدنيا، وكذا الزينة، يعنى إذا كنت مشغولاً زيادة عن اللازم بالأثاث، وباللباس، وهما تجارتى وشغلى الشاغل، عكس الرجل الصالح الذى أراد أن يشترى جلباباً، فأحضروا له ثوباً من هذه الأنواع فقال:

«أريد ثوباً يخدمنى، لا ثوباً أخدمه.. هل أنا سأشتغل خدّام للجلابية؟.

كل يوم أحتاج إلى أن أغسلها وأكويها، أنا أريد أنها هى التى تخدمنى، حتى توصلنى للمرحلة التى أبتغيها».

فمن اشتغل بهذه الأشياء، فهو فى الدنيا، طالما هو مشغول بهذه الأشياء وذلك مثل من هو مشغول بالتفاخر، أو مشغول بالمال أو الولد عن الله عز وجل أو حقوق الله عز وجل، أو عن حقوق الله فى المال، أو عن الواجب الذى طلبه منه فى الولد، فهو هنا يكون فى الدنيا.

لكن الذى ليس عنده وقت للهو أو اللعب، وليس مشغولاً بزينة الحياة الدنيا ولا مشغولاً بمناصب، ولا مشغولاً بالولد عن الله عز وجل، يكون عايش فى الآخرة، وإن كان يأكل ويشرب ويذهب وينام: فهو فى الآخرة،

وإن كان فى الدنيـا فهو عايش فى الدنيـا، وفى الآخـرة أيضـاً، هذه المجالس مجالس الآخرة، وإن كانت تحـدث فى الدنيـا.

وهذا هو معنى الهجرة من الدنيا إلى الآخرة.

الهجرة الثالثة

(من الاكوان إلى مكون الاكوان)

وهناك هجرة ثالثة، وهى التى يوفق الله لها أهل التوفيق.. الذين سمعوا قول الله عز وجل: **﴿ففروا إلى الله إنى لكم منه نذير مبين﴾**[٢٩].

فقـالوا: إنا لا نريد الآخـرة لذاتهـا، ولكن لجـوار الله فيهـا، ولذا فهم لا يريدون أن يضيعوا وقتاً من الأوقات فى حياتهم الدنيا إلا مع الله، لأنهم شاهدوا مقامات وضعها لهم الله، وقال الذى يترقى فى هذه المقامات يصل فى النهـاية إلى مراضى الله، وإلى كرم الله وإلى رضـوان الله عـز وجـل وهى فى قوله سبحانه:

﴿ إن المسلمين والمسلمات، والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقنتات والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيراً والذاكرات﴾[٣٠].

هذه هى محطات، ومقامات الذى يريد أن يمشى فى السلّم الوظيفى الأخروى، لأن هذه وظائف الآخرة، والتى توصّل فى النهاية لدرجة الذاكرين الله كثيراً والذاكرات.

فالذى يريد هذه الدرجات الأخروية يقول لنفسه:

---

(٢٩) سورة الذاريات: الآية ٥٠.

(٣٠) سورة الأحزاب: الآية ٣٥.

لماذا لا أرضى فى الدنيا بالدرجة الدنية؟ وأريد أن أكون اليوم على الدرجة الثالثة، وغداً على الثانية وبعدها على الأولى، وبعدها الأولى الممتازة.. لماذا هذا الحرص مع أن نهاية السلم فى هذه الدرجات أن يقولوا له فى النهاية:

ما طار طير وارتفع
إلا بعد ما علا وقع

سوف يأتى يوم من الأيام أمشى فى الشارع، ولا أحد يبحث عنى، لأنى ليس معى شيء، فما بال هؤلاء؟.

إن الدرجة التى يحوزونها يأخذونها معهم هنا، ومعهم فى البرزخ، ومعهم فى الآخرة.

والزينة التى يضعونها على صدرك -وهى هنا على الأكتاف فى الدنيا- ولكن هناك على الصدر، هذه الزينة التى يضعونها على صدرك، سوف تظل إلى يوم القيامة، تتباهى بها، وتفتخر بها، وتمشى بين الأنام وأنت فرح بها.. لأنها من الله عز وجل لا تزول، ولا تبيد، ولا تفنى لأنها من الباقى سبحانه وتعالى.

إذاً نحن فى الحياة الدنيا نهاجر إلى المراتب الباقية، وإلى الأعمال الفاخرة، وإلى الكمالات التى أعدها الله عز وجل لعباده المؤمنين لكى يسيروا فى سلّم الترقى إلى الله عز وجل.

إن الله سبحانه وتعالى أمر المؤمنين ألا يرضوا بالدون من عمل الآخرة، ولا يقول أحدهم أنا أحسن من فلان، فأنا أصلى، وفلان لا يصلى، لكن ليقل:

أنا أريد أن أكون مثل فلان، يقوم الليل وأنا لا أقدر، يصوم الإثنين والخميس وأنا لا أعرف، قال ﷺ:

«انظر إلى من هو فوقك فى الدين وإلى من هو دونك فى الدنيا»(٣١).

هذا هو المنظار الذى صنعه لنا رسول الله ﷺ فننظر للذى هو أعلى منا فى أعمال الآخرة، والذى هو أقل منا فى شهوات الدنيا.

فإذا نظرت إلى الذى هو أقل منى فى الدنيا أرتاح.. والمثل العامىّ يقول: «اللى يشوف بلوة غيره، تهون عليه بلوته».

(أنواع الهجرات)

قلنـا أن الهجـرة للمؤمنين والمؤمنـات قائمـة حتى يرث الله الأرض ومن عليهـا.

لكنها هجرة معنوية، بعد أن كانت فى عصر سيدنا رسول الله ﷺ هجرة مكانية من مكة إلى المدينة.. وأنواعها كثيرة.. لكن أصولها ثلاث:

هجرة بأمر الله من المعاصى والمخالفات إلى الطاعات.

وهجرة بفضل الله من الدنيا إلى الآخرة.

وهجرة بتوفيق الله من الدنيا والآخرة إلى وجه الله عز وجل.

فالهجرة الأولى هى ترك المعاصى خوفاً من عذاب الجحيم.

والهجرة الثانية فعل الطاعات طمعاً فى ثواب الله عز وجل فى جنات النعيم.

والهجرة الثالثة هى التقرب إلى الله بالتخلق بأخلاق الله رغبة فى مزيد فضل الله، وجميل عطاياه عز وجل لعباده المؤمنين الموحدين.

---

(٣١) رواه الطبرانى وابن حبّان عن معاذ رضى الله عنه.

فالذى لا يزال جالساً فى المعاصى، وهو فى المعاصى، لا يكون فى الدنيا، فى حالة تلبّسه بالمعاصى، بل يكون فى الجحيم، لأن العمل الذى هو فيه باب مفتوح إلى الجحيم، قال تعالى: **﴿كلا لو تعلمون علم اليقين لترون الجحيم﴾**(٣٢).. كيف تراها؟.

أنت عندما تعلم علم اليقين أن هذه المعاصى هى السكة والباب للجحيم، تكون نفس المعصية هى النار والجحيم، ولأجل ذلك قال ﷺ:

«لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن»(٣٣).

وهو فى هذا العمل يكون عاصياً، ويكون من أهل الجحيم والعياذ بالله.

فهو إذاً فى هذا العمل يكون متلبساً ومجرماً، وعليه فصريح أمر الله له أنه عندما يخرج من هنا، وينهى مدته وهو داخل من جمرك الدنيا إلى الدار الآخرة، أول ما يصل إلى الدار الآخرة يقبضون عليه، ويقولون له: تعال.

فيقول: إلى أين؟.. إلى دار المجرمين..

هذا مثل الذى فعل شيئاً وظن أنه هرب.. لكن أين يهرب من الله؟.

إذاً الهجرة من المعاصى هى الهجرة الأولى التى يقول رسول الله فى صاحبها:

«المهاجر مَن هجر ما نهى الله عنه»(٣٤)، فقد هاجر إلى الآخرة، لأنه ترك الدنيا، وترك المعاصى.

---

(٣٢) سورة التكاثر: الآيتان ٥، ٦.

(٣٣) أخرجه البخارى ومسلم عن أنس رضى الله عنه.

(٣٤) متفق عليه من حديث ابن عمر رضى الله عنهما.

الهجرة الثانية من الدنيا إلى الآخرة، فالدنيا هى الأعمال الدنيئة التى لا تليق بالمؤمن - سمّيت الدنيا من الدنو والدناءة - فكل عمل دنىء لا يليق بالمؤمن عمله، يهاجر منه إلى الطاعات فيصير إلى الآخرة، ومَن أهل الآخرة؟. هم الملائكة..

وما أعمال الملائكة؟.

﴿لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون﴾(٣٥).

فالذى يراهم يجدهم: منهم الذى يسبّح الله، والذى يقف يذكر الله، والذى يقف يقدس الله، والذى يتلو كتاب الله، والذى يستغفر الله.. ليس لأنفسهم، لكن لنا.

﴿الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم، ويؤمنون به، ويستغفرون للذين آمنوا﴾(٣٦).

يا سبحان الله!! ربنا وظّفهم يستغفرون لنا، فكأنهم موظفون عندنا.. ومن هم؟.

حمله العرش.. وليس الملائكة العاديين.. وحملة العرش، الرسول يقول فى الواحد منهم: **«حملة العرش ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة سبعمائة سنة»**(٣٧).

ومع ذلك فالله سخّرهم لكى يستغفروا لى ولك، لكى تظهر مكانتك أنت عند الله، وتعلم أنها ليست مكانة هيّنة أو عادية، وإنما هى مكانة عظيمة جداً جداً.

---

(٣٥) سورة التحريم: الآية ٦.

(٣٦) سورة غافر: الآية ٧.

(٣٧) رواه الطبرانى عن أنس وأبو داود والضياء عن جابر.

فلأجل أنى مهاجر إلى الآخرة مثله.. فأترك الأعمال الدنيئة التى ذكرناها، كاللعب واللهو وأكون ليس لَى بها شأن، فأما غيرى فالذى يلعب إذا كان يلعب على نقود يكون من أهل الجحيم، لأن هذا هو القمار، وإذا كان يلعب على غير نقود، فهو من أهل الغفلة، ومن أهل الذنوب ومن أهل الدنيا.

لأن هذا يقول فيه رسول الله ﷺ: «**اللاعب بالنرد** (الكوتشينة، الطاولة، الدمنو) **كغامس يده فى دم خنزير**»[٣٨].

ودم الخنزير طاهر أم نجس؟.

إنه أنجس النجاسة، فالذى يلعب ويقول الكلب راح.. الكلب جاء أو شيش بيش كل هذا كغامس يده فى دم خنزير لأن هذا فى اللعب.. والمؤمن ليس لديه وقت لهذا الكلام. ليس لديه وقت للعب، ولا للزينة، ولا للتفاخر والتكاثر..

إذاً أين يكون المؤمن؟.

نجده مع كتاب الله أو نجده يذكر الله أو نجده ينصح عبداً من عباد الله أو يزور مريضاً طلباً لمرضاة الله أو يشيع جنازة ابتغاء وجه الله.

هذا هو عمل المؤمن.. يتقلب فى الطاعات: ﴿**وتقلبك فى الساجدين**﴾[٣٩]. أى أنه يتقلب مع الساجدين دائماً، وبهذا يكون فى عمل الآخرة، ومثل هذا من أهل الآخرة.

---

(٣٨) رواه مسلم وأحمد وأبو داود وابن ماجه عن أبى موسى رضى الله عنه.
(٣٩) سورة الشعراء: الآية ٢١٩.

(الهجرة الثالثة)

(التخلق بخلق الله عز وجل)

وهى لرجل ثانى، قال: ماذا أفعل بالآخرة؟.

سوف أذهب إلى هناك - والذى حُرمت منه هنا أجده هناك- لكن أنا يعجبنى شىء ثانى، فليست تعجبنى الجنة، والذى فيها، أنا يعجبنى الأخلاق العظيمة الكريمة، التى يعاملنا بها الله.

انظر كيف نعصى ونغفل ونجهل وهو حليم علينا وتاركنا؟.

وما يفتأ يرزقنا وينعم علينا ويستر علينا.

صفة غريبة جداً، فيقول أنا أريد أن أكون حليماً مثل الحليم عز وجل..

الواحد يبعد عنه سنين ويلطخ نفسه بالمعاصى والطين، ويرجع يقول له: «أنت تبت، وأنا قبلت».. ما هذا العفو العظيم؟.

أنا أريد أن أكون عفواً مثل عفوه عز وجل - لا أركب رأسى ويقولون لى فلان جاء يعتذر إليك، وأقول لا.. يدفع خمسة عشر أو عشرين ألف.

يا أخى إن رسول الله قال «**من جاءه أخوه متنصلاً** (معتذراً) **فليقبل منه محقاً كان أو مبطلاً، فإن لم يقبل منه، لم يرد على الحوض**»(٤٠).

يقول أنا ليس لى شأن بهذا الكلام، يا أخى.. مادام جاء إليك.. ويقول لك أنا أعتذر إليك، إلا ترى أن الذى خلقه ورباه، وكلأه بنعماه.. ويعصاه.. وهو يراه!!.

لكن أنت لم تره أو تسمعه، وإنما أحد بلّغك أنه قال فى حقك كذا..

(٤٠) أخرجه الحاكم عن أبى هريرة رضى الله عنه.

لكن هو سامعه ويراه.. يقول له تبت، يقول له وأنا قبلت، ولما ينشط يقول الله للملائكة: يا جماعة اعملوا له فرح عندكم: «بشرى يا ملائكتى، فقد اصطلح عبدى معى» وهل ربنا يحتاج من العبد شيئاً؟.

هل ينفعه العبد أو يقدم له شيئاً؟.

لكن هو يعلمنا نحن أن نقول: ﴿**والصلح خير**﴾[٤١]، نفرح بالصلح، عندما يأتى أحد يصلحنى أقول له تعالى، قال ﷺ: «**المؤمن كالجمل المطيع، إن انقيد انقاد**، (طفل يشد لجام الجمل فيمشى وراءه، مع أن الجمل لو هاج لا يقف أمامه سبعة رجال، لكنه حليم) **وإن استنيخ على صخرة أناخ**»[٤٢]، لا يطلب شيئاً ليّناً ينيخ عليه.

والمؤمن نفس النظام إذا قيل له اصطلح فإنه يقول على بركة الله، لا يطلب شروطاً أو غيرها، فالشروط ليست مع المؤمنين وهو يريد أن يتخلق بخلق العفو أو خلق الجود، يبحث على الأشياء التى فيه فيجد أن الله جَبَله عليها.

﴿ **إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان، إنه كان ظلوماً جهولا** ﴾[٤٣].

فى أصل خلقته، كان ظالماً وجاهلاً.. ماذا يفعل؟.

يغيّر الظلم ويغير الجهل.. كان ظلوماً جهولاً.. إذا لم يحافظ على الأمانة كما طلب الله عز وجل، وكما أراد الله عز وجل.. وحملها الإنسان أى حملها باختياره، ولم يقل حمّلناها وإنما هو الذى حملها، وهو الذى طلب، ومادام طلب حملها، فإذا لم يقدر أن يقوم بها، يبقى جاهل.. ما الأمانة؟.

---

(٤١) سورة النساء: الآية ١٢٨.

(٤٢) أخرجه البيهقى والقضاعى والعسكرى عن ابن عمر رضى الله عنهما.

(٤٣) سورة الأحزاب: الآية ٧٢.

أعظم أمانة أنت وأنا حملناها : «لا إله إلا الله محمد رسول الله» .

أخـذناها رغماً عنا أم باختيارنا؟.

باختيارنا.. أنا قلتها.. إذاً لازم أقوم بحقها، قال رسول الله ﷺ: «**من قال لا إله إلا الله مخلصاً دخل الجنـة**» قالوا: وما إخلاصها؟ قال: «**أن تحجزه عن محارم الله عز وجل**»(٤٤) . أى أن يحرّم ما حرّمه الله، ويعمل بمـا أمره الله به عز وجل، فأنت عندما اخترت لا إله إلا الله، واخترت الإسلام، لم يعد لك عـذر فى أن تترك خردلة من تعاليم الإسلام، ولم يعد لك عذر أن تقع فى أى بند من بنود المحرمات التى حرّمها الإسلام، بعد نطق هذه الكلمة، لست حراً ولذا هذه قائمة بالمحرمات، وهذه قائمة ثانية بالمستحبات، وهذه قائمة بالفرائض، التى إن لم تفعلها، نسجنك، أنت اخترت لا إله إلا الله محمد رسول الله، انتهى الأمر.

فالإنسان من أى صفات يا رب خلقته، يقول عز وجل:

﴿**وكان الإنسان أكثر شيء جدلاً** ﴾(٤٥).. أى يحب أن يجادل دائماً.

وماذا يفعل يا رب؟.

مع المؤمنين لا جدال، ومع الآخرين يكون بالحسنى ﴿**ولا تجادلوا أهـل الكتاب إلا بالتى هى أحسن**﴾(٤٦).. لا بالشـدة ولا بالسيف، وإنما بالتى هى أحسن.. الحجة بالحجة.

إفرض مع الشدة، قال لا إله إلا الله، هل يريد الله هذا الإيمان؟.

لا.. إنه قال: ﴿**لا إكراه فى الدين**﴾(٤٧).. إن لم يدخل عن اقتناع، فالله لا يريده والإقتناع يكون الحجة بالحجة.

---

(٤٤) رواه الطبرانى من حديث زيد بن أرقم.
(٤٥) سـورة الكهف: الآية ٥٤.
(٤٦) سـورة العنكبوت: الآية ٤٦.
(٤٧) سـورة البقرة : الآية ٢٥٦.

أما المؤمنـون، فقـد قال رسـول الله ﷺ: «**مَن ترك الجـدال وهو محق، بُنى له قصر فى أعلى الجنة، ومَن ترك الجدال وهو مبطل** (الحجة عليه) **بنى له قصر فى رَبَض** (أى وسط) **الجنة**»[48].

إذاً لماذا نهى الله عن الجدال؟.

قال ﷺ: «**ما غضب الله على قوم، إلا أوتوا الجدل**»[49].

فالجدل دليل على غضب الله عز وجل، ولذا فالمؤمنون لا يتجادلون أبداً، وإنما يتناقشون ويتناظرون، والمناظرة التى يقولِ فيها سيدنا الإمام الشافعى رضى الله عنه وأرضاه: «ما جادلت أحداً إلا وددْت أن يظهر الحق على لسانه هو لا على لسانى أنا».

تريد أن تصل للحق، لكن المجادل يريد أن يكون هو الذى غلب بالباطل أو الحق.

وهذا الأمر لا ينفع، لأننا سوف نخرج أعداء، لذلك نهى الله عن الجدال.

وطلب أن يتخلص المؤمن من الجدال: ﴿**وكان الإنسان قتوراً**﴾[50].

قتوراً يعنى بخيلاً، وربنا اسمه الكريم.. إذاً يهاجر فوراً من البخيل إلى الكريم.

إذاً الهجرة الثالثة كيف يهاجر العبد فيها؟.

يترك أخلاقه ويتخلق بأخلاق الله، قال ﷺ:

«**إن الله يحب من خلقه مَن كان على خلقه**»[51].

---

(٤٨) أخرجه أبو داود عن أبى أمامة رضى الله عنه.
(٤٩) أخرجه الترمذى وابن ماجه من حديث أبى أمامة رضى الله عنهما.
(٥٠) سورة الإسراء: الآية ١٠٠.
(٥١) رواه الطبرانى عن أنس رضى الله عنه.

فهذا يحبه، وهو غير الذى يكافئه على الطاعات والصالحات، فيعطى لهم مكافأة وهى قصور وحور فى الجنة، لكن الذى يحبه له وضع آخر.

إذاً مَن الذى يحبه؟.

الذى يتخلق بأخلاقه.. وما المراد بأخلاقه؟.

قـــال ﷺ: «**إن لله تسعة وتسعين خلقاً، مَن تخلقِ بواحد منها دخل الجنـة**».. قال سيدنا أبو بكر رضى الله عنه وأرضاه.. أفىَ واحد منها يا رسول الله،قال: «**بل فيك كلها يا أبا بكر**»[٥٢].

فأنت إذا هاجرت الهجرة العالية الكبيرة، فكل صفات الله تظهر فيك، والذى على صفات الله، يكون فى هذه الهجرة العالية، فالمكافأة التى يقول الله فيـهـا: «**أعددت لعبادى الصالحين فى الجنة ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر**»[٥٣].

للجماعة المؤمنين الذين يأخـذون المكافأة على عملهم الصـالح، لكن الجـمـاعـة المقـربين لـهـم عند ربهـم: ﴿**وجـوه يومـئـذ ناضـرة إلى ربهـا ناظرة**﴾[٥٤].

وهذا وضع ثانى خالص، فهؤلاء لا يجالسون إلا ملك الملوك، وهناك فرق كبير بين الذى يجلس مع جارية أو خدم أو حشم، والنعيم مثلما أنت تريد.. وبين الذى جالس مع الملك نفسه.

فرق كبير بين الذى ينزل ضيفاً على رئيس الجمـهـورية، فيقـول انزلوه قصر الطاهرة. وانظروا ماذا يريد من طعام وشراب، لكن أنا ليس عندى وقت لكى أقابله، فهل يتلذذ هذا بأكل أو شرب؟.

---

(٥٢) رواه البخارى ومسلم والترمذى وابن ماجه عن أبى هريرة.

(٥٣) أخرجـه البخـارى من حـديث أبى هـريرة عن رســول الله ﷺ فيما حكاه عن ربه عز وجـل.

(٥٤) سـورة القيامة: الآيتان ٢٢، ٢٣.

لكن الثانى يقول أنا أقابله الساعة كذا، أو الثالث يقول أنا لا أستغنى عنه اجعلوه معى ليلاً نهاراً، فالذى يدخل الجنة يتمتع بالحور والقصور والولدان، لكنه لا يحظى، ولا يتمكن من رؤية الحنّان المنّان، يبقى فى عذاب مثل عذاب أهل النار، عذاب اسمه عذاب الحجاب وعذاب الصدود وعذاب الإعراض.

﴿لا ينظر إليهم يوم القيامة﴾[٥٥].. فهو نوع من أنواع العذاب المعنوى.

إذاً فالذى لا ينظر الله إليه، فى نوع من أنواع العذاب.

فلذلك فالجماعة المؤمنون مثلما يقول النبى ﷺ يأتون لهم بالحور والمتع فيقولون: لا نريد هذا.. ماذا تريدون؟.

– والذى يكلمهم الله من عليائه مع تنزهه عن المكان والزمان، والحيطة والإمكان– فيقولون تركناها أحوج ما نكون إليها فى الدنيا، أى كنا نريد الطعام والشراب فى الدنيا ولماذا كنا نصوم، ولماذا كنا نزهد؟.

فيقول لهم وماذا تريدون؟.

يقولون: وعزتك وجلالك لا نريد إلا وجهك، أنت مُتْعتنا، وأنت مسرتنا، وأنت هناؤنا، وأنت حبورنا، لأن هؤلاء الجماعة الذين هاجروا من أخلاقهم إلى أخلاق الله عز وجل، فكانوا متصفين بصفات الله على قدرهم، وليس بصفات الله على قدر كمالات الله، وعلى قدر جمال الله، ولكن على قدرهم، وعلى قدر اتساع ما عونهم، وعلى قدر معرفتهم بأخلاق الله عز وجل.

---

(٥٥) سورة آل عمران: الآية ٧٧.

فلذلك عندما ننظر المقام العالى الذى مدح الله به النبى ﷺ نجده قال: **﴿وإنك لعلى خلق عظيم﴾**(٥٦).. أى أنت على خلق الله عز وجل، لأن العظيم هو الله، وأنت على خلقه.. إذاً يا إخوانى المؤمنين نحن واحد من ثلاثة..

إما واحد يجاهد نفسه لكى لا يقع فى الذنوب والعيوب، وهذا يجاهد ليهاجر من المعاصى إلى الطاعات، وهذا يوم القيامة من أهل: **﴿أولئك لهم الأمن وهم مهتدون﴾**(٥٧).

أى ليس لهم شأن بجهنم ولا طريقها ولا عملها.

والمؤمن الثانى نفسه لا تحدثه بالمعاصى، لكن تحدثه بالغفلة أو باللهو أو باللعب أو بالراحة، فيقول لها أنا لا أضيّع وقتى، لأن الدنيا عمرها قصير، وكل نفس يحاسبنى عليه العلى الكبير، أنا أريد أن تكون أوقاتى كلها فى الطاعات والقربات:

﴿والباقيات الصالحات خيرٌ عند ربك ثواباً وخير أملا﴾(٥٨).

هذا يوم القيامة مثل ما يقول الله عز وجل: **﴿لهم ما يشاءون عند ربهم ذلك هو الفضل الكبير﴾**(٥٩).

لهم ما يشاءون عند ربهم فى الآخرة، الجماعة المقربين، يريدون أن يكونوا فى مقعد صدق عند مليك مقتدر، فتقول لهم نفوسهم نريد أن نأخذ لنا مقعد من مقاعد الصدق أو نجلس على كرسى من الذهب أو نجلس على منبر من نور، أو نجلس على كرسى المجد، المهم نبقى فى المكان الذى يقول فيه النبى العدنان:

---

(٥٦) سورة القلم: الآية ٤.
(٥٧) سورة الأنعام: الآية ٨٣.
(٥٨) سورة الكهف: الآية ٤٦.
(٥٩) سورة الشورى: الآية ٢٣.

«أهل الكثيب فى جنة عدن يتراءون ربهم كما تتراءون القمر فى ليلة التمام»[٦٠].

فالجماعة الذين يجلسون على الكثيب يرونه، والذين يجلسون على الأرض، يرون أيضاً، والذى على كرسى ينظر لكن كل واحد على حسب منزلته، وهؤلاء هم المعنيون بقول الله عز وجل: **﴿واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه﴾**[٦١].

فالذين أمر الله نبيه أن يصبر نفسه معهم يقول فيهم: هؤلاء الذين معك، هناك.. هم أصحابك هنا عندنا: **﴿لهم ما يشاءون فيها ولدينا مزيد﴾**[٦٢]، لهم الذى يريدونه وزيادة، وما الزيادة؟.

قال اجعلوها عندى لأنكم لا تعرفونها: **﴿للذين أحسنوا الحسنى وزيادة﴾**[٦٣].

ولمن الزيادة؟.

للذى على مثل أخلاقة – حتى نحن فى البشر، أنت تجالس مَن؟.

الذى مثلك مع الفارق الكبير بين تشبه العبد بصفات العلى الكبير، وبين ظهور هذه الصفات فى العلى العظيم عز وجل، لكن كونك أنك تتشبه بصفاته، فهذه تستوجب محبة الله ورضاه عنك، لأنك تحاول أن تكون على نهج صفات الله عز وجل، وأخلاقه عز وجل.

---

(٦٠) رواه الترمذى وابن ماجه عن أبى هريرة.
(٦١) سورة الكهف: الآية ٢٨.
(٦٢) سورة ق: الآية ٣٥.
(٦٣) سورة يونس: الآية ٢٦.

ها هو موقف المؤمنين السابقين، والمقتصدين، والمقصّرين، وكلهم كما قال الله ورثة لكتاب الله: **﴿ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا** (وهم أنتم جماعة المؤمنين) **فمنهم ظالم لنفسه، ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله﴾**(٦٤).

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

ثم أجاب عفا الله عنه على سؤال أحد الجالسين عن الانتخابات في النظام الإسلامي، فقال: هل قرأت كلام الشيخ الغزالي في الشورى الإسلامية؟.

النظام الإسلامي ليس به نظام الانتخابات، فنظام الانتخابات الذي يستطيعه الذي معه مال، والذي يستطيع أن يتصل بالناس وبالمسئولين، لكن الأصلح هنا ربما لا يستطيع ذلك ولذا فنظام الشورى الإسلامية؛ أن الحاكم في أي موقع في المدينة أو في القرية، في المجلس أو في المدرسة، يختار هو أرجح العقول، وآمن الناس الذين من حوله، ويكوّن منهم مجلس، ويكون فيهم التخصصات المطلوبة، لكي يشاوروه، ويعاونوه على الأمر الذي يضطلع به.. وهؤلاء أهل الحل والعقد.

لكن الرجل العاقل المتزن الذي نستفيد به لن يستطيع أن يجوب البلاد يمشي هنا وهنا فنحن ننتظر الآن النظام الإسلامي كله برمته، وهو آت في الطريق إن شاء الله، وسوف يريح الكل.

فنحن الآن أنا وأنت بدلاً من أن نشغل أنفسنا بهذا الكلام نشغل أنفسنا بطاعة أو بنصيحة أو بتهذيب نفس، وهذا أولى في المقام الذي نحن فيه الآن، لماذا؟.

(٦٤) سورة فاطر: الآية ٣٢.

قــال ﷺ: «**كما تكونوا يولى عليكم**»[٦٥].. فلو أصلحنا أنفسنا كلنا، فالذى يحكمنا من أين يأتى؟.. من بيننا، فنحن شغلنا أنفسنا عن إصلاح أنفسنا بهذه الترهات فعلينا أن نصلح أنفسنا.. وأى شخص يأتى فى أى موقع يصلح لأنه تربى على الفضيلة من الأساس، فنحن نريد أن نصلح أولادنا، وبناتنا ونسائنا وإخواننا حتى أن أى واحد يتولى فى أى موقع يقوم بالفضيلة التى علمناها له وهى الفضيلة الإسلامية.

وهذا رأينا فى الأمور التى نحن فيها الآن والكلام فى هذا المجال كثير وواسع.

وسؤال آخر عن واجبنا نحو أهل البوسنة:

قال الشيخ عفا الله عنه:

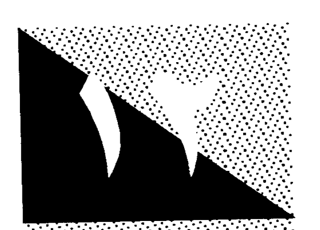
هناك واجبــات كثيرة علينا نحوهم، قال ﷺ: «**مَن جهّز غازياً، فقد غزا**»[٦٦].. وأهل البوسنة قالوا نحن نريد السلاح فهم أعرف ببلادهم – يعنى أنا وأنت لو ذهبنا هناك، لا نعرف طرق البلاد، لأنها غابات، والعمل الحـربى هناك يعتمد على القناصــة، ثم أنا وأنت لا نعرف منهم المسلم من الصربى، فعلينا إمدادهم بالمال والسلاح، والأدوية والأغـذية وإيواء نسائهم وأبنائهم والدعاء لهم ومن يستطع أن يذهب لمشاركتهم فى الحرب بنفسه فعل، على أن يجهز نفسه تكتيكياً وخبرة بالمهارات الحربية المطلوبة هنــاك، وعلى الدول الإسلاميــة أن تغلق سفاراتها ببلجراد، وتتبنى القضــية فى الساحات الدولية.

والله الموفق إلى ما فيه خير الإسلام والمسلمين.

---

(٦٥) أخرجه الحاكم والديلمى عن أبى بكرة رضى الله عنه.

(٦٦) أخرجه ابن خزيمة والنسائى عن زيد بن خالد الجهنى رضى الله عنه.



من أخـلاق الصـالحين

★ الخشية من الله
★ شهادة المؤمنين لبعضهم
★ الثقة أسّ التعامل بين المسلمين
★ علاج سوء الظن
★ من أحوال العارفين

كان هـذا الدرس بمسجد جامع الجوامع بقرية البسقلون مركز العـدوة محافظة المنيا يوم الخميس ١٩٩٣/٧/٨م بعد صلاة الظهر

من أخلاق الصالحين

قال عفا الله عنه:

قـــال ﷺ: «**إذا اجتمع أربعون رجلاً من أمتى، كان فيهم رجلاً صـالحاً**»[1].

مَن هو..؟.. الله أعلم به..

قد يكون رجلاً غير معروف.. قد يكون رجلاً أميّـا، لا يقـرأ ولا يكتب، لـكن له مكانة عنـد الله عظيمـة، فالمـكانة تأتى ليس من حمـل العـلم، ولا من كـثـرة القـراءة في الكتب، ولا من زيادة تطويل اللحى، ولا من الحركات الظاهرة، ولكن تأتى من الخشية والخضوع والانكسار لله عز وجل.

مَنْ العلماء الذين عندك يا الله؟.

ليس الذى عنـده ليسـانس أو بكالوريوس أو دكتـوراه من الأزهـر الشريف أو من جامعة الزيتونة أو من المسجد الأموى، إذاً ماذا يكون معه؟..

يكون معه دبلوم فى الخشية: ﴿**إنما يخشى الله من عباده العلمـاء**﴾[2].

إذن مَنْ العلمـاء؟.

الذين يطلبون الخشية من الله.

---

(١) رواه الخليـلى في مشيختـه عن ابن مسعود كما يلي: «**أربعون رجلاً أمة، ولم يخلص أربعون رجلاً فى الدعاء لميتهم إلا وهبه الله تعالى لهم وغفر له**».

(٢) سـورة فاطر: الآية ٢٨.

(الخشية من الله)

فالذى عنده خشية لله يعنى خوف ومراقبة فهذا وهـو ماشى أو جالس، يراقب الله عز وجـل ولهـذا فلو كان حتى رجـلاً أميّـا فى نظرنا فإنه يكون عالماً فى نظر الله عز وجل.

أما الرجـل الذى حصّـل علوم الأولين، والآخرين، ولكنه لم يكتسب الخشـية.

فالإمام الغزالى فى كتابه إحيـاء علوم الدين قال فيـه: «علم الفقه، كلما زاد الإنسان فى تحصيله، ولم يعمل به، كلما زاد قلبه قساوة».

ما الذى يرقه؟.. العمـل..

وسوف أقول لكم حكاية بسيطة.. كان عنـدنا رجل أمى وكان يشتغل خفير فى مزرعة كبيرة تابعة للحكومة.. وعندهم جرن كبير يضعون فيـه المحاصيل الزراعية، فكان زملاؤه يجلسون طوال الليل يتسلون على فـول الحكومـة، أى يأكلون منـه، ماذا يعمـل هـو؟ كان يذهب لدكان، ويحضر نصف كيلو فول ليتسلى عليه، لأن نفسـه تطالبـه بأكل الفول مثلهم، وذلك لكى لا يقع فى الحرام، وقد حافظ على هذا طوال حياته.

وأنا فى ليلة من الليالى رأيت أن ملائكة من السماء نازلة من غير عدد، وأنوار ليس لها نهاية - ولم تكن الكهرباء قد جاءت بعد- وكان أمامنا جرن كبير، فوجدته كله كهرباء، وملائكة وأناس صالحين، حاضرين، فتعجبت وفى الصبـاح عرفت أن هذا الرجل مـات، وأن هذا الجـمع كله قد جاء يستقبله، فهـذا رجل أمىّ لا يقـرأ ولا يكتب، ولكن عنده خشية من الله، ومراقبة لله عز وجل.

فالذى عنده الخشية، يكون بذلك هو العالم، ولو كان لا يقرأ ولا يكتب.

والذى ليس عنده الخشية ولو كان قرأ علوم الأولين والآخرين، فليس بعالم.

وفى هذا يقول الإمام أبو العزائم رضى الله عنه وأرضاه:

العلم يجعلنى أخشى من الربّ
أراقب الله بالأعضاء والقلب

إن لم أكن أخشى من ربى فمن جهلى
وإن علمت علوم الكشف والغيب

فلو علمت علوم الكشف والغيب، لكن ليس عندى خشية من الله، فما فائدة تلك العلوم؟ العلوم وسيلة للوصول إلى مقام الخشية من الله، وليست غاية، وهى وسيلة للوصول إلى مقام مراقبة الله عز وجل، ووسيلة لاتصاف الإنسان بالحكمة التى أمر بها الله، وقال لنا فى شخص حبيبه ومصطفاه: ﴿ **ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة** (وهذا للمؤمنين)، **وجادلهم بالتى هى أحسن** (مع غير المؤمنين)﴾[٣].

فلا جدال مع المؤمنين، والجدال مع الكافرين يكون بالتى هى أحسن.

(شهادة المؤمنين لبعضهم)

فأنا مأمور أن أصلى خلف كل إمام حتي ولو كان فاجراً، فإذا كان لا يعجبنى وأعرف فجوره، فمن أجل شرع الله أصلى وراءه، وإن لم تعجبنى صلاته، أعيد الصلاة لكن فى البيت وليس بالمسجد لكى لا تحدث فتنة.

وهذا إذا كانوا متحققين فجوره، أى إذا كانوا يرونه.

(٣) سورة النحل: الآية ١٢٥.

لكن فى عصرنا لا يوجد مسلم تحكم عليه بالفجور أبداً.. أين هو؟..

أى مسلم لا أستطيع أن أحكم عليه بأنه فاجر أبداً حتى الأئمة.. فسيدنا رسول الله ﷺ يقول: «**سيكون من بعدى أثرة -أناس يحبون أنفسهم فقط (أنانية)- وسيكون أمراء ترون منهم وتنكرون**، فقال سيدنا أبو حذيفة رضى الله عنه وأرضاه: يا رسول الله أفلا ننابزهم (نحاربهم ونقوم بالثورة عليهم) قال: **لا.. ما أقاموا الصلاة**»[٤].

أى مادامـوا يصلون، وأنتم ترونهم يصلون فى بيت الله، وأيضاً أنا أريد أن أشهد على المؤمن وأقول إنه صالح أو طالح.

الإسلام لم يتركنا، وأعطانا لكل شيء علاماته ومؤشراته.

فالرجل تشهدون له فيدخل بشهادتكم الجنة، ولذا كانوا يشهدون، وكلهم يحفظون:

«**عندما مرت جنازة، وقالوا كان صالحاً.**

فقال: وجبت.

ثم مرت جنازة ثانية وقالوا: كان فاسقاً.

قال: وجبت.

قالوا وما وجبت يا رسول الله؟.

قال: أما الأول فشهدتم له بالصلاح فوجبت له الجنة.

وأما الثانى فشهدتم عليه بالفسوق، فوجبت له النار، أنتم شهداء الله فى أرضه»[٥].

أى أنتم الشهداء بالنيابة عن الله فى أرضه، ولكن كيف يشهدون؟.

---

(٤) رواه البخارى والترمذى عن ابن مسعود رضى الله عنه.

(٥) متفق عليه من حديث أنس رضى الله عنه.

قالوا نريد الميزان لكى نزن الناس ونعرف.. قال ﷺ:

«إذا رأيتم الرجل يعتاد المسجد فاشهدوا له بالإيمان»[٦].

يعتاد يعنى يواظب على المساجد، ويواظب على الحضور إلى الجمعة، وإلى الجماعات، ولما نسأل عنه نقول كان رجلاً صالحاً.

هذه الشهادة التى يطلبها بعضنا عند الوفاة، عندما نرافق الرجل ويقولون؛ ما تشهدون له؟.

يجب أن نشهد له إذا كنا نراه يحافظ على الصلاة فى الجمعة والجماعات، ونقول: كان صالحاً.

أما الذى لا يدخل المسجد، ولا يدخله إلا محمولاً على الخشبة، فلا نشهد له، لأننا لا نعرفه، فهذا لا يلزمنا..

هو يصلى، ويطلع يرتكب المنكرات والموبقات، لكن لم أرها، فمالى وهذا الأمر؟.

عندما يأتى يوم القيامة يستدعى الله عز وجل الذين شهدوا، ويسألهم: كيف شهدتم على هذا؟.

نقول إن النبى هو الذى قال: «**إذا رأيتم الرجل يعتاد المسجد فاشهدوا له بالإيمان**» وفى رواية: «**فاشهدوا له بالصلاح**»[٦].

درجة أعلى يقول لهم انظروا، إنه يفعل كذا وكذا يقولون:

﴿وما شهدنا إلا بما علمنا وما كنا للغيب حافظين﴾[٧].

هل نعمل مخبرين عليه؟.

---

(٦) أخرجه أحمد والترمذى وابن ماجه والدارمى عن أبى سعيد رضى الله عنه.

(٧) سورة يوسف: الآية ٨١.

ما لنا وهذا الموضوع؟ شهدنا بالذى رأيناه، كما أمرنا الله عز وجل.

ثم يقول الله: قبلت شهادة عبيدى فى عبدى، وتجاوزت عن علمى فيه، أدخلوا عبدى الجنة مادام هؤلاء الجماعة شهدوا له، فأنا أنفذ كلامهم، إكراماً لهم، وأتنازل عن الذى أعرفه، أدخلوه الجنة.

هذا نظام الإسلام والإيمان فى مثل هذه الأمور، لكن الإسلام لم يأمرنى أن أنقب عن الذى فى الصدور مثل بعض الناس الذين لا ينتبهون، علموا أن فلان يصلى، يقولون إنه يصلى رياء فنقول لكل منهم: وهل كشفت عن الذى فى قلبه فرأيته رياءً أم إخلاصاً ؟.

مالك أنت وهذا الأمر، لماذا تضع نفسك فى مكان ليس لك فيه؟.

حتى الذى كان معه جهاز الأشعة النورانية، كان يعرف أن هذا منافق، ظاهر النفاق، ومع ذلك يتلطف معه.. ويأتى ليصلى عليه، ويأتى سيدنا عمر يقف له ويشده ويقول يا رسول الله: لا تصلى عليه أبداً، إنه فعل فيك كذا وكذا.

فيقول له ﷺ: دعنى يا عمر.

حتى أن سيدنا عمر جلس مدة طويلة حزين ويقول: لماذا أقف لرسول الله ﷺ فى هذا الأمر؟.. لكن الله جاء بقوله:

﴿ولا تصل على أحد منهم مات أبداً﴾(٨) .. لكن هذا صلى عليه.. وخلع القميص الذى يرتديه، وكفّنه فيه من أجل خاطر ابنه، لأنه كان رجلاً صالحاً، فأراد أن يكرم ابنه.

ولأنه فى يوم من الأيام كان سيدنا العباس -عمه يريد جلباباً يلبسه- وكان طويل الجسم وعريض مثل ابن أبىّ، فلم يجد له جلباباً يناسبه، فجاء عبد الله بن أبىّ وأحضر جلباباً من عنده وأعطاه له، فأحب سيدنا رسول الله

(٨) سورة التوبة: الآية ٨٤.

أن يكافئه على هذا الفعل، وهذا الصنيع، فخلع القميص وأعطاه له وكفّنه فيــه، مع أنه يعــلم أنه زعيم المنافقين، والرأس المــدبر للمنافقين ليس ظنــاً ولا تهمة، لأن الظن قال الله فيه:

﴿ **إن بعض الظن إثم** ﴾[9].

ولكن رســول الله متأكد ومكاشف بالبصيرة النورانية التى معه، ويعــرف أن هذا الرجل رأس النفاق، ومع ذلك صلى عليه وكفّنه فى قميصه صلوات الله وسلامه عليــه..

إذاً.. أنا أمرت ألا أنقب على القلوب، قال ﷺ:

«**لنا الظاهر والله يتولى السرائر**»[10].

وهذا سيدنا عبد الله بن عمر رضى الله عنهما، كان عنده عبيد كثيرون، وكان فى أيامهم العبيد موجودين، يباعون فى الأسواق، وكانت تجارته واسعة، وعنده عبيد، فكثير منهم كانوا يمثلون عليه أنهم يصلّون ويصومون لــكى يعجبوه، ثم عنــدما يجــدهم كذلك، يقول لكل منهم: أنت عتيق لوجــه الله.

فذهب إليه جماعة من أهله، وقالوا له إنا ننصحك لوجه الله ونقول لك إن هؤلاء العبيد يضحكون عليك، قال: ماذا يفعلون؟.

قالوا له: هؤلاء ليس الإيمان مستقراً فى قلوبهم، لكن يمثلون أعمال المؤمنين لكى تعتقهم، قال لهم: «مَن خدعنا بالله انخدعنا له».

«ولن يضيعنى الله أبداً»، مادام أنت مسلّم لله، ولأمر الله، ولدين الله، اعلم علم اليقين أن الله عز وجــل لن يسلمك ولن يخذلك ولن يضيعك:

(٩) ســورة الحجرات: الآية ١٢.

(١٠) رواه الشافعى فى الأم.

﴿ وما كان الله ليضيع إيمانكم ﴾[11]، أى لا يضيع التوكل ولا الحيطة، ولا الحفظ، ولا الصيانة التى تكفل بها للمؤمنين فى كل وقت وحين.

(الثقة أسّ التعامل بين المسلين)

حتى إن الدين أمرنى فى معاملة أولادى الذين أنا مسئول عنهم وزوجتى بهذه الطريقة، فما الذى ضيع المسلمين فى زماننا يا إخوانى؟.

انتشار الشك والظن والهواجس، هذه الأمراض ضيعت الثقة من الناس فى بعضهم أو فى المعاملات أو الأخلاق حتى أن الواحد عندما يتعامل مع واحد يحلف له أنه لن يكسب فيها، فيقول له: أنا لا أصدق، فيحلف له يمين ثانى بالله، فيقول لا أصدق، فيقول ماذا أفعل؟.

فيقول له: احلف بالطلاق.. سبحان الله، ولماذا يا إخوانى؟.

وهل الزوجة أعز من الله عز وجل؟.

لا تصدقه وهو يحلف بالله، وتصدقه وهو يحلف بزوجته!.

إن الذى ليس عنده إيمان بالله ليس مهماً عنده أمر زوجته ولا شىء..

(إذاً الإيمان ضاع فلا أمان).. لكن المؤمنين ليسوا كذلك.. المؤمن يصدّق ويصدّق، فالذى يخبره به المؤمنون يصدقه، والذى يقوله لهم يصدقوه، ما الذى نشر هذه الرذيلة يا إخوانى؟.

إنا نكلف أنفسنا فوق طاقتنا، ونريد أن نكون (شطّار) ونعرف الذى بين الضلوع ونعرف الذى فى الصدور، ونقول له أنا أعرف الذى فى نفسك..

---

(١١) سورة البقرة: الآية ١٤٣.

الذى: ﴿**يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور**﴾[12]، من هو؟.

الله.. هل يوجد أحد غيره؟.

لا.. لماذا تدخل نفسك فى هذا الأمر يا أخى؟.

هو وحده فقط عز وجل، الذى يعلم السرّ وأخفى، ما الذى يحدث عندى إذاً؟.

الظن.. قال النبى ﷺ: «**إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث**»[13].

وهذا ما يحدث الآن، إننى أقدم الشر وأظن دائماً الظن السوء، ربما يقول البعض لا ينفع أن أقدم الخير وأظن ظن الخير، إذا كان هو يريد الشر نقول له، فإن الله يتوعد هذا وأمثاله فيقول:

﴿ **يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون**﴾[14].

فإذا كان يظن أنه يخدعك، فإنه لا يخدع إلا نفسه -من حفر لأخيه حفرة وقع فيها- مادمت أنت ألجأت ظهرك إلى الله، واعتمدت على الله، ومشيت على الهدى الذى رسمه لك الله، وبيّنه سيدنا ومولانا رسول الله ﷺ..

يقول أنا سمعت الذين يقولون: «مَن لم يتذأب أكلته الذئاب».

نقول له: هذا الكلام مع الصرب وأمريكا والإنجليز، وليس مع المسلمين، كيف أتذأب مع المسلمين، ومع إخوانى المؤمنين.. هؤلاء أعاملهم مثل ما قال الله:

---

(١٢) سورة غافر: الآية ١٩.

(١٣) متفق عليه من حديث أبى هريرة رضى الله عنه.

(١٤) سورة البقرة: الآية ٩.

﴿ **وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة** ﴾[١٥]، بالرحمة واللين والمودة والصدق والأمانة والمروءة والشهامة والشجاعة، هذا ما أعامل به إخوانى المؤمنين يا إخوانى.

(علاج سوء الظن)

وما الذى ضيّع المسلمين الآن فى العصر الذى نحن فيه؟.

ظن السوء، كيف نعالجه؟.. نبدأ بمدرسة البيت، فمثلاً تعلم الولد الصلاة ثم تتابعه، فتسأله، صليت يا بنى، يقول نعم.. انتهى.

لا أقول له أنت كذاب.. ﴿ **وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها** ﴾[١٦].

الذى علىّ أن آمر، لكن هل علىّ أن أحافظ؟.

انتبهوا.. لا أضع نفسى فى مكان ليس لى به موضع، علىّ الأمر، فإذا أمرت انتهت مسئوليتى، ومن الذى يحاسب؟.

الذى يحاسب الكل هو الحسيب عز وجل، وإذا أردت أن أعوّدهم على الصدق والأمانة، فلا أظهر أى إشارة تدل على الخيانة أبداً -حتى ولو كنت أنا عارف- لكن هذه تربية الضمير الإسلامية الإيمانية، إذا كان ابنى يكذب علىّ، فسوف يأتى عليه يوم من الأيام يخجل من الكذب لأنه يعلم أننى عرفته وكشفته، فيخلص لله ويصلى لله عز وجل.. لماذا؟.

لأننى لو شدّدت عليه ساعة ما يرانى يقوم يصلى، ويمكن يضحك علىّ ويدخل دورة المياه، ولا يتوضأ، ويقف معى فى الصف لكى يعرفنى أنه يصلى.. وهل هذا ينفع؟ زوجتى خائفة منى أول ما ترانى وتعرف ميعادى، تلبس ملابس الصلاة وتجلس على السجادة، ومن الممكن أن تكون غير طاهرة أو غير متوضأة.

---

(١٥) سورة البلد: الآية ١٧.

(١٦) سورة طه: الآية ١٣٢.

وعندما أكون غير موجود لا يؤدون ما عليهم لله عز وجل.. هذا لا ينفع.

أنا أريد أن يصلوا لله سواء أنا موجود أو غائب.. يراقبون مَنّ ؟.

يراقبون الله عز وجل لا يراقبوننى.. هـذه هي المبادىء الإيمانية التى أمرنا الإسـلام بهـا، أن نلقنها لأطفالنا، وكذلك الأمر يا إخـوانى مع جيراننـا، ومع أهـل بلدنا ومع إخوانـنـا.. نبنى حياتنا على الصـدق وعلى الثقة وعلى الأمانة.

والخائن.. نسـتدعى عليه الله ولن يسلمه الله فى حيـاته ولا فى أخـراه بل سيهدم الله كل ما يظن أنه بناه، لأن الله لا يحب الخائنين، ويرد كيدهم فى نحورهم، وفى صدورهم، هذا حال جماعة المؤمنين، فنحن نبنى أمورنا على الظاهر والله يتولى السرائر.

هذا عامل شيخ هو حـر.. هل أنا الذى أحاسبه أو أحاكمه؟.

الذى يحاسب الكل هو الله.. هو أقام نفسه فى هـذا المقـام.. يتحمله.. هـذا يقوم الليـل يصلى.. وهل يقوم الليـل يصلى، والناس نيام لكى يقولوا إنه رجـل صالح؟.

إذا كان يفعل ذلك يكون غير موفق، لكن أنا لا أظن ذلك.

إنما ظنى أن المؤمنين يفعلون الخير لله عـز وجـل مهـما كان قليـلاً، لأنهم يعلمون علم اليقين أن الآخرة خير وأبقى، وأن الباقيات الصالحات خير عنـد ربك ثواباً وخير أملاً، فدائماً يقدمون لأنفسـهم.. هـذا ظنى، وهـذا اعتقادى فى إخوانى المؤمنين، وغير هذا ليس لى به شـأن.

فعندما حدثت حادثة الإفك.. والمنافقون أكثروا فى هذا الأمر، نعطى مثلاً واحـداً لرجل وزوجته من المؤمنين.. وهو سيدنا أبو أيوب الأنصارى.

جالس هو وامرأته أم أيوب رضى الله عنها، فقال لها:

يا أم أيوب هل ترضى لنفسك هذا الأمر؟.

قالت له: لا.. والله لا يكون هذا أبداً.

قال: فعائشة خير منك، ورسول الله خير منى، وإذا كنت لا ترضين خيانتى فكيف ترضى عائشة أن تخون رسول الله ﷺ.

انظر للعظمة الإيمانية التى علمها لهم رسول الله، والتى علمها لهم الله عز وجل.

فنحن مأمورون أن نحمل أمور الناس على أحسنها، وعلى ظاهرها، ونعتقد أن لكل مؤمن، نيته فى عمله، أنا لا أطالب بمعرفتها، لأن الله الذى سيحاسبه هو الذى يعلم بها، وربما يكون هذا العمل فى نظرى شر لكنه يحمل فى طواياه نية خير.

(من أحوال العارفين)

ولا يعلم النوايا التى فى الصدور، ولا الخفايا التى بين الضلوع، إلا علام الغيوب عز وجل:

لى نوايا صرفتها فى الشرور
غير أنى أوّلتها بالنور

أحياناً يحدث هذا يا إخوانى، فالرجل الصالح الذى دعوه فى ليبيا لزيارة الشيخ عبد السلام الأسمر رضى الله عنه وأرضاه، لما ذهب إلى هناك وكان فى شهر رمضان ووجد ما يزيد على المائة ألف فى انتظاره، منهم الذى، يهلل، والذى يكبر، ونظر الشيخ، فأحس أن نفسه فرحت قليلاً بهذا المقام، وهؤلاء الجماعة (وهؤلاء الكرام واقفين للنفس بالمرصاد) وهذه سنة الإسلام، من أين هذه السنة؟.

– عندما صعد الفاروق المنبر وأمر من ينادى.. الصلاة جامعة، ففكروا أن أمراً بدا يهم المسلمين، لأنه لم يكن وقت جمعة، ولأنه لم يكن ينادى «الصلاة جامعة» فى غير يوم الجمعة.. إلا إذا كان أمر مهم جداً للمسلمين.

فصعد المنبر ثم قال: أنا اسمى الآن عمر أمير المؤمنين، وكنت اسمى فى مكة عميراً، وأرعى الأغنام على قراريط، يعنى (ملاليم) آكل بها وكنت كذا وكذا، وأخذ يذكر أصله كله.. ثم نزل.

قالوا ما هذا يا أمير المؤمنين؟ نحن شعرنا بأن هناك أمراً مهماً.

فقال رضى الله عنه وأرضاه:

«إن نفسى رأت ترفها ومجدها، فأردت أن أعْلمها حقيقتها، وأضعها حيث وضعها ربها عز وجل».

هذا أمير المؤمنين، ولم يقل أنا ابن الأكابر عن الأكابر أو جداً عن جد.. وهكذا الأمر، فالجماعة الصالحين يمشون على هذا النهج.

فطلب الرجل الصالح من أحد أتباعه أن يحضر له ماء، ورفع الإناء على فمه، وقال بسم الله وشرب، وبعد دقيقتين لم يبق ممن حوله، إلا ثلاثة أو أربعة.

هو نيته أنه مسافر وله رخصة الفطر، وهم غير منتبهين، فيقولون فى أنفسهم كيف يكون من الصالحين.. ويفطر فى رمضان؟.

وهل الصالحون لا يأخذون بالرخص؟.

«إن الله يحب أن تؤتى رخصه كما تؤتى عزائمه»(١٧).

فظاهر الأمر أخذوه على أنه إثم، كيف يفطر فى رمضان؟.

---

(١٧) رواه أحمد والطبرانى والبيهقى من حديث ابن عمر رضى الله عنه.

لكن باطن الأمر النية فيه إصلاح نفسه، وإصلاح غيره، لكى لا يعظموا إلا الله، ولا يوقروا إلا الله، ولا يعتقدون الكمال إلا فى سيدنا ومولانا رسول الله ﷺ فأحياناً العمل الظاهر يكون ظاهره بالنسبة لمن يراه أنه ليس العمل الذى يليق بهذا الشخص، لكن باطنه عمل ثانى، وحال ثانى كما سمعنا عن أناس من الصالحين وبعضنا رأى كثيراً منهم، رأينا نحن فى طنطا رجلاً مات من قريب.

كان من كبار الأثرياء وحدث عنده حال الوله والجذب، وترك أولاده وبيته وهام على وجهه، وغاب فترة طويلة ثم جاء وجلس عند سيدى أحمد البدوى يأتى لصاحب الدكان ويقول اعطنى عشرة جنيهات، ثم واحد ثانى يقول له اعطنى خمسة جنيهات، ويتساءلون هذا عنده مال فلِمَ يسأل؟.

ثم دفعهم الفضول إلى تتبعه لينظروا ماذا يفعل؟.

فوجدوا أنه يأخذ من هؤلاء ويعطى للفقراء والمساكين الذين لا يجدون شيئاً، فمثلاً جاء يوماً وقال للجزار اعطنى كيلو لحمة ثم أحضر خضاراً، ثم طلبات المولود.. ملابس وكسوة وغيره، ونادى على سائق حنطور، وقال له هيا بنا -وكان السائقون يفرحون عندما ينادى عليهم مثل هذا الصالح، لأن السعد سوف يأتيهم- وقال له امشى بنا إلى أن وصل إلى منزل، وطرق الباب، وإذا بامرأة فى حالة وضع، والرجل يبكى، لأنه ليس معه كثير ولا قليل، كيف يتصرف؟.

فالذى يرى هذا الرجل، يقول إنه يعمل شحّاذ، لكنه يشحذ ليس لنفسه، وإنما:

﴿للفقراء الذين أحصروا فى سبيل الله لا يستطيعون ضرباً فى الأرض، يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس إلحافاً﴾[18].

---

(١٨) سورة البقرة: الآية ٢٧٣.

إنهم لا يستطيعون أن يسعوا، فربنا يكلف أناس يسعون بدلاً عنهم، ويوصلون لهم الحاجة التى عندهم، كيف يعرفونهم؟.

يعطونهم بطارية صغيرة على (قدرهم) مثل التى عند رسول الله التى يقول فيها: **﴿تعرفهم بسيماهم﴾**[18]، معهم أيضاً البطارية، يعرفون بها الناس بسيما النـاس.

﴿ إن فى ذلك لآيات للمتوسمين﴾[19].

وأحياناً تكون لهم أحوال عجيبة، فيذهب الواحد منهم لرجل مثل هذا، ثرى جداً وغنى جداً ويعطيه، فيتعجب مَن حوله.. كيف يعطى لهذا الغنى والثرى؟.

لكن واقع الأمر أن هذا الثرى فى هذه اللحظة فى ضيق شديد، وقد تعود على البذل والإنفاق، وربنا لا يتخلى عنه فى مثل هذه اللحظات، فيهىء له الله بعض الصالحين الذين يخلصونه من هذه الورطات.

لكن الغنى الشحيح مَن يسأل عنه؟.

لا أحد لأنه يعطى بالربا ويأخذ بالربا، وكثير وكثير مثل هذه الأعمال والأمثلة فيها كثيرة.

واحـد منهم دخل مطعم فى أرمنت من بلاد الصعيد، وكان أيامها الذى يأكل فول وطعمية بقرش صاغ، فدخل وأكل هو ومَن معه وأخرج جنيه، وأعطاه للرجل صاحب المحـل، فقال له الذى كان معه: يا سيدنا الشيخ.. نحن اثنان فقط أكلنا، وتعطيه جنيه.. لماذا؟!.

فقال لا شأن لك، فبعد أن مشى الشيخ، عاد الذى كان معه، وسأل صاحب المحل.. ما حالتك؟.

---

(١٨) سورة البقرة: الآية ٢٧٣.

(١٩) سورة الحجر: الآية ٧٥.

قال: أنا والله.. الله لطف بى اليوم.. فى الليلة الماضية وضعت زوجتى وليس معى أى نقود، وكنت متحيراً ماذا أفعل؟.

فالذى ينظر لظاهر الأمر يقول إنه رجل مسرف.. أكْل بقرش ويدفع أربعة أو خمسة.. لكن جنيه!.

إنما نيته وقصده مساعدة أخيه فى وقت شدته، وفعلها بهذا الأسلوب لكى لا يجرح مشاعر أخيه، لأنه لو قال له خذ جنيه، لن يأخذه، ولكنه تصرف بهذه الطريقة اللطيفة هذه..

وهكذا الأمر يا إخوانى جماعة المؤمنين، فإن المؤمن دائماً وأبداً يحسن الظن فى إخوانه المؤمنين.

ربما أنا أزاول عملاً من الأعمال، وهذا العمل يمكن فى نظرك لا يصح أن آخذ عليه أجر، لكن أنا أرى أن عندك شىء من الشح، ينزل عليك بلاء أو ابتلاء فأخذت منك حاجة لكى أعطيها لبعض الفقراء لأنه:

«لا يرد البلاء إلا الصدقة والدعاء»[٢٠].

فالذى يرى ظاهر العمل يقول: كيف يأخذ منه؟.

وأنا آخذ منه لأدفع عنه البلاء الذى نزل عليه، وأدفع عنه الضُر الذى نازل به، الذى يعرف هذه الحقيقة يفرح لأنه يأخذ أكثر مما ينفق.

أما الذى لا يعرف هذه الحقيقة ويحكم بالظاهر، هذا يخطىء فى حق نفسه، وحق إخوانه المؤمنين وهو لا يدرى.

إذاً دائماً المسلم لا يحمل أمور إخوانه إلا على خير محاملها، فيحسن الظن بإخوانه المؤمنين، ويعلم أن تصاريف القلوب والنيات لا يعلمها إلا علام الغيوب.

---

(٢٠) رواه الطبرانى عن أبى أمامة رضى الله عنه.

وقد قال فى ذلك النبى المحبوب ﷺ: «**إنما الأعمال بالنيات**»[٢١].. يعنى الذى يعرفها رب النيات، ونحن ليس لنا بها شأن، لا نحكم على هذا العمل، أنه باطل أو هذا رياء، أو هذا سمعة.. إنما الذى يحكم على الكل، هو الله عز وجل.

أنا لى الظاهر، والله يتولى السرائر.

هذا يا إخوانى النهج الذى أمرنا به الله، والذى حثنا عليه سيدنا ومولانا رسول الله، والذى ربّانا عليه الصالحون رضى الله عنهم وأرضاهم فى كل وقت وحين.

لكن الظن هو الذى يحدث المشاكل، فقد أصبح المؤمن الآن، إذا أراد أن يشترى حتى ولو من صادق أمين، يشك، هل غشنى فى الثمن أو فى البضاعة أو فى الصنف أو فى الوزن أو فى الكيل؟.

وحتى لو أقسم له بأغلظ الأيمان، فهو غير مصدق، وهذا لا يجب، بل أنا كمؤمن آخذ الأمر وكلى ثقة واعتماد على الله عز وجل.

وإذا هو غش، فإنه يغش نفسه، وإذا خدع فهو يخدع نفسه، وأنا ببركة ثقتى فى الله ورجائى فى الله، واعتمادى على الله.. الذى انتقصنى.. سيعوضنى الله فيه أضعافاً مضاعفة فى نفس السلعة..

مثال آخر: السلف الصالح كان الرجل الذى عنده بنت متدينة، عندما يرى رجلاً متديناً يقول له: أنا أريد أن أزوجك ابنتى هذه.

هذا كان يحدث أيام النبى، والأيام التى بعده، أما الآن فلو حدث مثل هذا لقالوا إنه ما عرضها إلا إذا كان فيها عيب.. لأنه أصبح سوء الظن متوفراً عندنا.

---

(٢١) متفق عليه من حديث عمر بن الخطاب رضى الله عنه.

وفى عهد النبى لم يكن هكذا.

فهذا سيدنا سعيد بن المسيب خطب معاوية ابنته لابنه يزيد، وكان يعرف أن يزيد غير منضبط قليلاً، فقال: لا.

وفى هذا اليوم رأى فى الدرس الذى كان يعقده، رأى تلميذاً حزيناً فسأله عن سبب حزنه؟.

قال له: إن زوجتى ماتت وليس عندى أحد يخدمنى، ولا أجد ما أتزوج به.

قال له: يا بنى عندى البضاعة التى تلزمك، أنا أزوجك ابنتى.

فقال له: وأين أنا وأين أنت، أنت العالم الكبير وأنا التلميذ الفقير المسكين؟.

قال له: لا شأن لك.

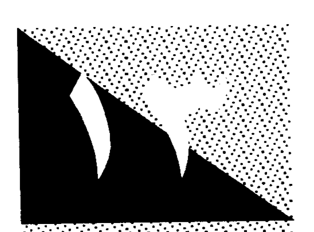
وفوراً عقد العقد وعاد للمنزل وبعد صلاة العشاء ذهب إلى بيته واصطحب ابنته، وذهب إلى بيت تلميذه، وطرق الباب، فقال مَن؟.

– ومن آداب الإسلام عندما أطرق أنا على أحد، لا أقول له أنا.. أقول أنا فلان.. هذا أدب الإسلام..

فقال: أنا سعيد، ففتح له فدفع امرأة معه لداخل البيت، وقال: هذه امرأتك، وقد كرهت أن تبيت بمفردك بعد أن عقدت عليها، فخذها بارك الله لك فيها، وهكذا كانت أخلاق السلف الصالح يا إخوانى، وقد أسست على الثقة، والمودة، والصدق والوفاء وغيرها من الفضائل التى ندعوا الله عز وجل أن يعيدها لنا، وينشرها بيننا، إنه على كل شىء قدير وبالإجابة جدير.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.





ملامح المجتمع الإسلامى

* ★ ولاية الله للمؤمنين
* ★ أسباب تفكك المجتمع المسلم
* ★ تراحم المؤمنين
* ★ آداب الخلاف فى الإسلام
* ★ بصيرة العلماء العاملين
* ★ فقه الدعوة إلى الله

هذا اللقاء الدينى تم فى مسجد الرضوان بقرية البسقلون مركز العـدوة محافظة المنيـا يوم الخميس ٢٩٩٣/٧/٨ بعـد صلاة المغرب.

ملامح المجتمع الإسلامى

ولاية المؤمنين لبعض يا إخوانى تحدد ملامح المجتمع الإسلامى.

إسمعوا معى، اونظروا هذه الملامح لو انطبقت علينا ماذا يكون شكل أحوالنا؟ ولاية المسلمين لبعض معناها أن كل رجل من المسلمين يعتبر كل رجل كبير من المسلمين من المغرب أو من روسيا أو من ألبانيا، يعتبره فى مكانة أب له، يوقره ويحترمه من أجل الإسلام ويعتبر كل صغير من أولاد المسلمين فى أفريقيا أو فى آسيا أو فى استراليا ابن له، فيرحمه من أجل الإسلام لقوله ﷺ: «**ليس منا من لم يوقر كبيرنا** -أى كبير المسلمين فى أى مكان- **ولم يرحم صغيرنا**»[1]. -أيضاً فى أى مكان-.

بالله عليك مجتمع كل كباره يوقرون ويحترمون ويبجلون، وكل صغاره يرحمون.

يمشى النبى يوماً، فيجد طفلاً يبكى، وكان يوم العيد فقال له:

«لماذا تبكى يا بنى، ولا تلعب مع الصبيان؟.

قال له: أنا يتيم.

فقال له: أما ترضى أن أكون لك أباً وعائشة أماً وفاطمة لك أختاً؟».

هذا هو نظام المسلمين، فعندما يأتى يتيم إلى قرية من قرى المسلمين يجد له بدل الأب ألف أب، وبدل الأم ألف أم، وبلد الأخ ألف أخ وألف أخت، هل يحس بمعنى من معانى اليتم يا إخوانى؟.

---

(١) رواه البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه.

ولاية المؤمنين لبعضهم تعنى إذا كان فى وسطهم أو فى محلتهم جاهل، باللطف وبالرفق علموه، وليس بالعنف حاسبوه لأن الذى يحاسب هو الله رب العالمين، وإذا كان فيهم فقيراً أعانوه، وإذا كان فيهم مستقرض أقرضوه.. هل هذا يحدث الآن؟.

أبداً مع أن القرض يزيد على الصدقة بثمانى عشرة حسنة.

الصدقة بعشر أمثالها، والقرض بثمانى عشرة، كما قال رسول الله ﷺ لأن الصدقة قد تقع فى يد غنى، لكن القرض لا يطلبه إلا محتاج.. لكن أين هو؟.

«**من ذا الذى يقرض الله قرضاً حسناً**»[2]، وهل أحد يقرض الله؟.

قال: نعم.. الذى يقرض أخيه المسلم. كأنه أقرض الله عز وجل، وأين الذى يقرض القرض الحسن فى هذا الزمان؟.

إذا جاءهم غريب مسلم آووه وضيّفوه لقوله ﷺ:

«**مَن كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فليكرم ضيفة**»[3].

فيجب إكرام الضيف. لأن هذا نظام الإسلام، ولو كان الضيف قادماً من الصين أو الهند، لأن النسب الذى بينى وبينه: «**لا إله إلا الله محمد رسول الله**».

إذا وقع فيهم عاصِى فى المعصية، بالرفق ينهوه، وستروه، ولم يفضحوه، هذا نظام المؤمنين: «**مَن ستر مسلماً ستره الله فى الدنيا والآخرة**»[4].

ستره أى لا يشنّع عليه، ولا يفضحه، ولا يقول فلان عمل أو فعل كذا.

---

(٢) سورة البقرة: الآية ٢٤٥.

(٣) أخرجه أحمد والشيخان والترمذى عن أبى هريرة رضى الله عنه.

(٤) أخرجه أحمد ومسلم وأبو داود والترمذى وابن عساكر عن أبى هريرة رضى الله عنه.

سيدنا أبو الدرداء رأى جماعة من الجهلة يقولون له: أخوك فلان فعل كذا وكذا ماذا تفعل؟ أتهجره؟.

قال: لا.. لم أهجره.. أرأيتم إذا وقع أخيكم فى بئر ماذا كنتم فاعلين؟.

قالوا: نمد يدنا لنخرجه.

قال: كذلك أخاك، إذا وقع فى الذنب هل تمد يدك لتخلصه من الذنب أو تتركه فى حضن الشيطان يحتضنه؟ ماذا تفعل؟.

«كن أقرب إلى أخيك عندما يكون قريباً من إبليس».

لكى تخلصه من هذا الذنب، ومن هذه الورطة.

وأيضاً لو فضحه، يشمت فيه عدوه، لكن يستر على أخيه المؤمن، وينبهه فيما بينه وبينه، قال ﷺ: **«مَن ستر مسلماً ستره الله فى الدنيا والآخرة»**(٤).

وقال أيضاً: **«مَن ردّ غيبة أخيه المسلم. ردّ الله عنه النار يوم القيامة، والله فى عون العبد، ما كان العبد فى عون أخيه»**(٥).

(ولاية الله للمؤمنين)

هذا الكلام والحمد لله يا إخوانى، كنا نراه من فترة، كان فى بلد مثل بلدنا، الذى يبنى تقف البلد كلها معه، وليس العائلة فقط، لأن البلد عائلة واحدة.

والذى عنده فرح، البلد كلها تشاركه، والذى عنده ميّت البلد كلها معه، لا لتعزيه، وإنما تتلقى العزاء معه، لماذا؟.

(٤) أخرجه أحمد ومسلم وأبو داود والترمذى وابن عساكر عن أبى هريرة رضى الله عنه.

(٥) رواه ابن حبان عن أبى الدرداء رضى الله عنه.

لأنهم يعيشون كرجل واحد، إذا اشتكى عضو منه اشتكىٍ كله -أى عندما توجعه عينه، يوجع الجسم كله، فالجسم كله يحس بالألم.. لِمَ؟.

لأنها من الجسم.

هذه يا إخوانى ولاية الله لعباده المؤمنين، فمعنى ولاية المؤمنين لبعضهم، أن كل واحد يسعى لنفع جماعة المؤمنين.

فالزارع ينشط ليوفر القوت لإخوانه المؤمنين، والتاجر يحضر البضاعة التى يحتاجها إخوانه المؤمنين، لا يغشهم، ولا ينتهز الفرصة، ولا يحتكر البضاعة عليهم، التاجر الذى مس قلبه شغاف الإيمان، وولاية الرحمن..

- عندما حدثت المجاعة، فالجماعة الذين ليس فى قلوبهم بعض الإيمان قالوا نأخذها منك وهى ألف جمل محملة بالدقيق، نأخذها بالضعف.

قال: لا.. إنه يوجد مَن أعطانى أكثر.

قالوا: نأخذها بضعفين.

قال: لا.. إنه يوجد مَن أعطانى أكثر.

قالوا: مَن هو؟!.

قال: أشهدكم أنى قد جعلتها صدقة على فقراء المسلمين.

فقد شعر بإخوانه، وعمل فى حسابه أنه تاجر لنفع إخوانه، وليس لنفع نفسه فقط، ليس فى المؤمنين من يبلغ درجة الكمال فى الإيمان، إلا وكان حرصه فى المقام الأول أن ينفع إخوانه المسلمين فى كل زمان ومكان، وبعد ذلك نفسه، لأن صفات المؤمنين:

﴿ ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ﴾(٦).

لو كان عندنا هذه الصفة، كيف تحدث المشاكل؟.

---

(٦) سورة الحشر: الآية ٩.

عندما تأتى فرصة عمل سوف أؤثر أخى وهو يؤثرنى، والثالث يؤثر الرابع.. وهكذا يظهر فضل الإيمان، والتقوى لجميع بنى الإنسان.

لكن أنا الآن أريد أن أمشى من سكة لا يعرفها، وأريد أن أرى مَن أدفع له ألف جنيه وهو لا يصل إليه، كى آخذ فرصة أخى المؤمن.. وأدّعى بعد ذلك الإيمان..!

لا.. الإيمان تربية كما قال الله: **﴿والمؤمنون والمؤمنات، بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة﴾**[٧].

فكل العبادات بعد ولاية المؤمنين بعضهم ببعض، كأن المعول الأول والبلسم الأول، والشفاء الأول هو أن يحس المؤمنون أنهم رجل واحد، وعائلة واحدة، وأسرة واحدة، هذا نظام الإسلام الذى جاء من أجله الإسلام.

حتى كانت المرأة تجير على جيش الإسلام وكيف هذا؟.

دخل الرسول ﷺ مكة فاتحاً ومعه جيش، وهناك أحد الأعداء (كان الرسول أباح دمه من أجل الإيذاء الذى آذى به المسلمين).. ماذا يفعل؟.

ذهب للسيدة أم هانىء بنت أبى طالب، والتى هى بنت عم رسول الله ﷺ واستجار بها، فنزلت من وراء الستر، وقالت يا رسول الله.

قال: نعم.

قالت: إنى أجرت فلاناً، يعنى لا أحد يقربه بسوء.

فقال لها: «**أجرنا من أجرت يا أم هانىء**».

امرأة تجير على الجيش، قال نعم: «**المؤمنون رجل واحد يسعى بذمتهم أدناهم على أعلاهم، وهم يد على من سواهم**»[٨]

(٧) سورة التوبة: الآية ٧١.

(٨) أخرجه الشيخان عن على رضى الله عنه.

فكلهم رجل واحد.

إذاً عندما ينظر أخته زوجة فلان واقفة فى المواصلات، وهو جالس ويظل جالساً يكون هذا عيب بل إن: ﴿**رحماء بينهم**﴾[٩].

كذلك تكون غير موجودة.

وزوجة فلان أو فلان أصبحت أخته، وأخته تستغيث به فى أى مكان.

وعندما ضربها الرجل فى بلاد الروم، قالت: «وامعتصماه»، أى أين أخى المعتصم.

قال أين المعتصم هذا؟ ثم لطمها باللطمة الثانية، فبلّغه من رأى وقال للخليفة: امرأة تستغيث بك.

فقال: إذاً هيّا بنا، وجَهِّز جيشاً.

فقال له المنجمون لا ينفع خروج الجيش فى هذا الوقت، لأنك سوف تُهزم، لأننا رأينا النجوم، ورأينا أن هذا الوقت وقت هزيمة.

فقال: إذاً أين النصر؟.

قالوا: النصر زمن نضج العنب والتين.

فقال لهم: وما للعنب والتين، وما نحن فيه كذب المنجمون ولو صدقوا.. وقال هيا وأخذ جيشه فى البرد، وبلاد الروم ثلج، وكانوا يخافون أن يمشوا فى الثلج.

ومشى فى الثلج لكيِ يغيث المرأة المسلمة أخته التى استغاثت به، وذهب ودخل البلد، وقال لها: مَن الذى ضربك؟ فأتوا به.

فقال: اضربيه كما ضربك.

قالت: لا.. عفوت عنه وحسبى أنى شرفت بلقائك يا أمير المؤمنين.

---

(٩) سورة الفتح: الآية ٢٩.

فعفت عنه لكى يعرف أن دين الإسلام هو دين العفو ودين السماح ودين الرحمة ودين اللين ودين الرأفة، ودين النصر.

المسلم الذى يرى أخاه المسلم يمشى فى الحقل ووجد حمارة نزلت حقل أخيه، هل يقول ليس لى شأن؟.

إذاً فأين ولاية الإسلام؟.. وهل إذا كان بعيداً عن حقلى ينتهى الأمر أو عن جوارى ينتهى الأمر؟.. كيف هذا؟.

ليس هذا نظام المسلمين، وهذا هو الذى أضاع الدنيا الآن.

المسلم عندما يرى عوج يهم ليصلحه، وفى كل عصر يكون فى المجتمع بعض المعوجين، ولكنهم كانوا فى العصر الأول قليلين، وغير مستطيعين تنفيذ أهدافهم، لأن المسلمين كانوا متكافئين ومتحدين، لكن الآن كل واحد يقول أنا مالى، وهذا كثّر المرجفين وكثّر المنافقين، وطمعوا فى المؤمنين.. هذا حاصل يا إخوانى لضعف المؤمنين.

أما المؤمنون فهم غير ذلك.. المؤمنون متكافئون.. «**المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً**»[10]، واحد فقط فى الحقول يحرسها كلها، فالأمر غير محتاج لأن يحرس كل واحد حقله، لأن هذا مؤمن، وهؤلاء مؤمنون كلهم.

واحد فقط فى البلد يحرس البلد كلها، وهذا نظام الإيمان الذى علمه للناس النبى العدنان ﷺ.

فولاية المؤمنين لبعضهم وصلت لأمر غريب وعجيب فى عصر الحبيب.

وصلت لدرجةأن الرجل كان يأتى له ضيف، ولا يكون فى بيته شيء فيقول لزوجه: اذهبى لبيت فلان، وانظرى القدر الذى على النار، واحمليه إلينا، فتدخل البيت وليس فيه أحد، وتأتى بالقدر تحملها إلى بيتها من أجل ضيفها.

(١٠) رواه الشيخان من حديث أبى موسى رضى الله عنه.

وتأتى المرأة الأخرى، ولم تكن موجودة فتقول لها ماذا حدث؟.

تقول: جاءنا ضيف.

تقول: لو جاءكم ضيف ثانى فلتفعلى معه ما فعلت اليوم، وتستحسن صنيعها.

وكذا الرجل يأتيه الضيف، ويطلب اللبن وليس عنده ناقة حلوب أو شاة حلوب فيذهب إلى منزل أخيه، ويحلب ناقته بدون استئذان، وعندما يأتى أخوه يفرح ويسرّ ويقول: بارك الله فيك، وإن وجدت مثل هذا الأمر فعد، ولا تشاورنى.

لِمَ؟ لأنهم يرون أنهم كلهم رجل واحد، وأسرة واحدة.

(أسباب تفكك المجتمع المسلم)

عندما ضاعت المعانى، والشح ظهر فى النفوس حدث الذى نراه الآن.

والذى نحن فيه، ومن أين هذا يا إخوانى؟.

لأننا مشينا وراء أعداء الله، وفكرنا أنهم على هدى، ونسينا شرع الله مع أنه هو الهدى الوحيد فى هذا الكون، لأنه من الله عز وجل..

«**مَن ابتغى الهدى فى غيره أضله الله**»(١١). كما قال سيدنا ومولانا رسول الله ﷺ.

نقول الهداية من أمريكا أو من لندن.. من قال هذا الكلام؟.

النبى ﷺ قال: «**من ابتغى الهدى فى غيره أضله الله**»(١١)، فالذى يبحث عن الهداية أو حل المشاكل فى غير كتاب الله.. لا يجد، والذى

(١١) رواه الترمذى عن على بن أبى طالب رضى الله عنه.

هم فيه ربنا قال فيه: ﴿زخرف القول غرورا﴾[١٢]، لكن لما تدخل في الداخل، ترى الحقيقة، تجدهم كلهم يعيشون فى جهنم والعياذ بالله، فلا يغرّنك الزخارف والمطارف الظاهرة..

انظر قليلاً تراهم كمثل واحدة ترتدى جلباباً، ماشاء الله، وجسمها كله من الداخل قيح وصديد، فالمعجبون بها رأوا الجلباب، وقالوا ما أجمل هذه الزينة؟ والذى ينظر داخل الجلباب، يقول أعوذ بالله، ماهذا القيح والصديد؟.

وكذلك الذى يرى أمم الغرب من الظاهر، يقول هؤلاء هم الذين يعيشون حقيقة، وهم كذا وكذا.. والذى يكشف هذا الظاهر يجدهم يعيشون فى جهنم وبئس القرار، وهم أنفسهم يقولون هذا الكلام لا غيرهم.

فولاية الله يا إخوانى للمؤمنين أمرها شديد وعتيد، واعلموا أن هذه هى التى عليها النجاة يوم الوعيد، قال ﷺ:

«إذا كان يوم القيامة، نادى منادٍ من بطنان العرش.. يا عبادى.. أمّا ما كان بينى وبينكم فقد غفرته لكم، وأمّا ما كان بينكم وبين بعضكم، فتواهبوه فيما بينكم، ثم ادخلوا الجنة برحمتى»[١٣].

معنى هذا الكلام أن أهم شيء أن تسامحوا بعض، وأن ترضوا عن بعض، وأنا أرضى عنكم مادمتم راضين عن بعض وأنا أسامحكم مادمتم سامحتم بعض لكن الذى يوقفنا هناك أننا نشكوا بعض لماذا؟.

لأننا لم نمشى بالحسنى هنا فى الحياة الدنيا.. فولاية الله للمؤمنين يا إخوانى أمرها شديد وهذا الأمر الأول، الذى ينظر فيه المؤمن الذى يطلب النجاة يوم الوعيد إن شاء الله يريد أن يخرج من هنا ومعه خلو طرف

---

(١٢) سورة الأنعام: الآية ١١٢.

(١٣) أخرجه الطبرانى فى الأوسط عن أنس رضى الله عنه.

من جميع المؤمنين والمؤمنات -خلو طرف يعنى إننى لم أتكلم فى حق هذا كلمة، ولم أقصّر فى حق هذا- كيف؟.

يعنى يُلقى عليه السلام ويزوره إذا مرض، ويمشى فى جنازته إذا مات، ويعينه إذا احتاج، وينظر إلى بنيه ويتفقدهم إذا غاب عنهم وسافر بعيداً.

فينظر إلى أولاده وماذا يريدون؟ لأن أباهم غير موجود فليست هذه فرصته لكى يخون أخاه لأنه غير موجود، مثلما يحدث الآن، وهذا ليس من صفات المؤمنين أبداً.. وليس من صفات المحسنين ولا المسلمين، بل هو يتفقد إخوانه إذا غابوا، هل هم محتاجون إلى شىء أم لا؟ ويؤثرهم على أولاده، لأن أباهم غائب وليس موجود.

(تراحم المؤمنين)

فمن صفات المؤمنين أنهم بناء واحد يشد بعضه بعضاً، ومن هنا نكون أخوة متكافئين، متعاونين، العالم يأخذ بيد الجاهل.. كيف؟.

بالرحمة وبالرأفة، فإذا وجده مالكياً يفتيه على مذهب الإمام مالك، وإذا وجده حنبلياً يفتيه على مذهب الإمام ابن حنبل كسنة السلف الصالح، وإذا وجده شافعياً، يفتيه على مذهب الإمام الشافعى.. فأنا شافعى، ولكن عندما أحضر هنا أصلى مالكياً معكم، ولذا صليت معكم المغرب والعشاء ولم أترك سكتة بعد الفاتحة، لأن هذا مذهب الإمام مالك وأنتم مالكية هنا.. فمعظم الصعيد مالكية، وهذه الفكرة التى نعرفها عنهم، أما عندنا هناك لما أصلى على مذهب الشافعية، فأقرأ الفاتحة، وأنتظر قليلاً حتى يقرأوا الفاتحة هم الآخرون، هكذا علّمنا الإسلام وأمرنا الإيمان، لكن الذى يريد أن يمشى مذهبه على الكل رغماً عنهم، فلا ينفع هذا الكلام. انظر إلى الناس المؤدبين، فهذا الإمام مالك الذى قالوا عنه لا يفتى

ومالك في المدينة، ربنا منحه العلم من الصغر، وهـذا السر قد ظهر عندما كانت تغسـل امرأة أختها المسلمة، وجاءت عند الفرج وقالت: طالما عصيت الله.. فيدها أمسكت فى الفرج، فاحتـار علماء المدينـة وقالوا ماذا نفعل؟ نريد أن نغسّل هـذه المرأة المتوفية، هل نقطع هذه اليد ويكون جسماً أجنبياً فى جسم المرأة أم نأخذ جزءاً من جسم المرأة لكى نخلص اليـد، لأن اليد تمسك بالجسم، ماذا نفعل؟.

إحتار العلماء وسيدنا مالك كان عنده اثنا عشرة سنة، فسمع الحكاية، وقال: أنا عنـدى رأى.. أنا صـغير لكن عنـدى رأى، فقالوا ما رأيك؟.

قال: هذه وقعت فى حد من حدود الله، فتقيمون عليها الحد، وستنقبض اليد بإذن الله، لأنها قذفتها، والقذف حده مائة جلدة.

فجلدوها مائة جلدة، ففكت اليد بإذن الله، فظهر الإمام مالك وعلا نجمـه، وبان شـأنه حتى كان فى مجلسه لا يستطيع أحد أن يرفع رأسه إليه من شدة هيبته، وكانوا يقولون فيه:

يأبى الجـواب فـلا يراجع هيـبـةً
والحـاضـرون نـواكـس الأذقـان
عـز الـوقـار وسـلطـان التـقـى
فـهـو المطاع ولـيس ذا سـلطـان

عندما ذهب له الخليفة أبو جعفر المنصور -وهذا شىء نريده كلنا، فنحـن نريد أن نمسك السلطان لكى يوافق على ما نريده بالعنف- قال: يا إمام.

قال: نعم.

قال: أنت كتبت كتاب الموطأ فى الفقه.

قال: نعم.

قال: ما رأيك أن تكون المملكة كلها تمشى على هذا الكتاب، وأكتب منه نسخ وتمشى عليه كل المملكة، والمملكة من المغرب إلى الصين، وليس من محافظة أو محافظتين، بل من المغرب إلى الصين، وكلها مملكة واحدة.

قال له: لا يا أمير المؤمنين، لأن أصحاب رسـول الله ﷺ تفرقوا فى البلاد ومع كل واحد منهم فقه أخذه عن رسول الله، فكل واحد منهم معه فقهه، والذى مع هذا غير الذى مع هذا، فلو أخذ الناس بمذهب واحد لشقـقت عليهم لأنه لا يسع الناس كلهم، لأن الإسلام قال فيه الملك العلام:

﴿ **لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً** ﴾(١٤)، لكى يسع الكل.

وهنا سأل سائل عن حكم اختلاط الرجال بالنساء فى الطواف بالحج، ولمس بعضهم لبعض، فقال الشيخ غفر الله له:

الحاج يسأل عن لمس المرأة فى الحج، فقال الرجل نعم.

فقال الشيخ: سنتحدث عنه فى الحج وغيره.

الحاج نفسه فيـه من غرائب قدرة الله عـز وجـل، أنه يسلب الشـهوة من حجاج بيت الله، عندما يصلون إلى هناك، فيأتى على الشهوة ويقبضها، ولذلك تكون معه زوجته، ولا حركة ولا سكون ولا شىء أبداً، كأنها لوح خشبى بجواره.

وهناك شىء أريد أن أقوله.

كلما زاد علم العالم زاد يسره، وكلما قل علم العالم ضيق على غيره، لأن الدين واسع والوسعة فيها اليسر.

عنـدما أتى واحـدا اسـمه خالد الزندى، وكان واليـاً على مكة، ويريد أن يجعل طريق للنساء فى الطواف، وطريق للرجال، غضبت السيدة عائشة رضى الله عنها، وقالت: إن هذا لم يحدث فى عصر رسول الله ﷺ، بل كان

---

(١٤) سـورة المائدة: الآية ٤٨.

النساء يطفن مع الرجال فى وقت واحد، ويلمس بعضهم بعضاً ويراهم النبى ﷺ فلا يمنعهم ولا يأمر من يمنعهم، وعلى هذا فليس فى لمس الرجل للمرأة أو المرأة للرجل شىء فى الطواف مادام حسن النية متوفراً.

أما إذا كان هناك سوء قصد، فإنه يبطل الطواف بل يتعرض صاحبه لمقت الله عز وجل.

يمكن يدى تلمس النساء فى الطواف، ولذا فإنه من حكمة الله أن يسلب الشهوة عند الطواف، أما من يبقى عنده بقية من الشهوة، فهذا يا أخى هو المنافق الذى نزع الله الإيمان من قلبه وتظاهر بالإسلام، فيه حالات مثل هذا، لكن يكون فاعلها منافق والعياذ بالله، لكن المؤمن فى هذه الحالة لا يوجد عنده أى أثر ولو قليل جداً جداً من الشهوة، ولذا يمكن أن يتكىء على المرأة ولا يدرى هل هى رجل أم حائط، أم شىء ولا ينتبه لذلك.. لماذا؟.

لأنه مشغول بالله ومستغرق فى دعاء الله عز وجل، فالمشغول بالله، كيف ينشغل عنه بسواه.

(آداب الخلاف فى الإسلام)

هذا يا إخوانى أدب علماء الإسلام فى كل زمان ومكان.. عارف أن شرع الله واسع وكله من دين الله، فأنا آتى إلى الصلاة، فالذى يقف ويديه فى جانبه صحيح، ووارد عن رسول الله، والذى يديه على صدره صحيح ووارد عن رسول الله، والذى يديه على سرته صحيح ووارد عن رسول الله.

إذاً عندما أقول الذى لا يضع يديه على صدره صلاته باطلة أكون مغفلاً وجاهلاً بدين الله، لأنى أريد أن أجمع الناس على طريقة واحدة، وهذا شىء لم يأمر به الله، ولم يأمر به رسول الله لأنه قال:

«**أصحابى كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم**»[١٥].

لأن كل واحد له نظام معين، وله جهد معين، وكلهم على علم صحيح، فالذى يمشى مع هذا أو مع هذا.. كلهم على صواب، لأنهم كلهم لا يختلفون فى الأصول، والإختلافِ لا يوجد إلا فى الفروع، والفروع الأمر فيها على السعة، وسّعها الله لتسع جميع عباد الله فى كل أرجاء الكون، فكل واحد يأخذ منها الذى يناسبه.

فالشاب الذى يخاف على نفسه الفتنة لا يسلم على النساء لأنه لو سلم عليهن تحركت عنده الشهوة، والسلام لا يبطل الوضوء فقط، إنما الإمام مالك، قال: النظرة تبطل الوضوء، كيف يصلى إلى الله والشريط بداخله ملىء بفلانة وغيرها؟.

والرجل الذى لم يعد عنده شهوة وبلغ من العمر أشده، ويسلم على هذه أو هذه لا شىء عنده بل يسلم عليهن مثلما يسلم على الرجل، لا ينقض عنده الوضوء.

فهذا صحيح، لأن هذا له موضعه، وهذا له موضعه، والكل وارد عن رسول الله وكلهم أخذوها من كتاب الله، فمثلاً من أين أتيت بها يا شافعى؟.

قال: المس هنا يعنى اللمس، لأن الله قال: ﴿**أو لامستم النساء**﴾[١٦]

وأنت يا أبا حنيفة، قال: اللمس معناه فى اللغة الجماع، فمن معانيه اللمس، ومن معانيه الجماع لأن السيدة مريم قالت: ﴿**ولم يمسسنى بشر**﴾[١٧].

---

(١٥) رواه الطبرانى والبيهقى والديلمى عن ابن عباس رضى الله عنه.

(١٦) سورة المائدة: الآية ٦.

(١٧) سورة مريم: الآية ٢٠.

والمس هنا ليس اللمس العادى.. لا.. فقد أنجبت -فهذا أخذ بمعنى، وهذا أخذ بمعنى، وهذا صحيح وهذا صحيح.. إذاً فأين الخطأ؟..

الخطأ فى الذى يقول هـذا فقط هو الصواب، فكل من قال هذا الرأى هو الصواب والخلاف فى غيره، نقول له أنت المخطأ.

لكن مَن يقول رأيى صواب فى نظرى ولا أخطىء رأى غيرى، نقول له هذا هو الأصح، لأن هذا نظام الإسلام والإيمان الذى أمرنا به رسـول الله ﷺ والخطـأ فى هـذا الموضـوع أن أقول إن رأيى وفقط هو الصواب أو أقول العالم فلان ولا غيره.. فلان رجل من الأمة والثانى من الأمة.. والذى تزكيه جائز غيرك لا يزكيه.

فالأمة أمرها على السعة فكما تأخذ عن فلان عليك أن تقرأ عن فلان وتأخذ عن فلان، لماذا تقفل على نفسك فى القراءة عن فلان فقط؟.

هذا لا ينفع، بل تقرأ للكل وتأخذ من الكل، لأن الشرع جاء للكل، وكل رجل منهم أخذ على قدره، وعلى قدر ورعه، وعلى قدر جهده وعلى قدر فقهه.

وكلّهم من رسـول الله ملتـمس
رشفاً من البحر أو غرفاً من الديم

هذا هو النظام الذى أعلم به إخوانى المؤمنين، لا أعلمهم علمى فقط، أعلمهم الذى فيه معنى هذا الكلام.

أنا قلت إننى شافعى، لكن إذا ذهبت إلى جماعة مالكية، فإننى أشرح لهم فقه السـادة المالكيـة حتى لا يتشتتوا، فلو قلت من فقه الشافعية ثم من فقه المالكية لا يعرفون مَن الأصح؟.

وإذا ذهبت لجماعة حنفيه، أشرح لهم فقه السادة الحنفية وأفتيهم بفقههم.

والذى يفعل غير ذلك يثير فتنة، وقد قال ﷺ: «**الفتنة نائمة لعن الله مَن أيقظها**»[18]. ربما يقول البعض نحن لا نعرف مَن الأصح؟.

الشيخ فلان يقول كذا والشيخ فلان يقول كذا.. أقول له: ما مذهبك؟.

يقول: شافعى.

أقول له: الرأى فيها كذا.. السائل الثانى: ما مذهبك؟.

يقول: حنفى.

أقول له: الرأى فيها كذا، والذى لا يعرف مذهب نقول له مذهبك من يفتيك.

وانتهت المسألة.

لكن الذى يحمل الناس على مذهب واحد يا إخوانى يكون قد ارتكب شططاً.. وأثار فتناً، وجعل فى الصدور إحناً، وكل هذا ليس فى شرع الله وإنما الأمر فيه قول الله: ﴿**إن الذين فرّقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم فى شىء**﴾[19].

والذين فرّقوا هنا، الذين يقولون نحن الأصح، وغيرنا الخطأ، وخارج عن الإسلام، لكن الأئمة الأربعة لم يتفرّقوا ولم يقل واحد منهم إن رأيى هو الأصح والآخر خطأ، بل قال أنا صح والثانى صح والثالث صح والرابع صح، لأننا كلنا من رسول الله ﷺ.

فالذى يأتى بجهله يقول إن المذاهب الأربعة تفرق بين المسلمين، نقول له أنت جاهل، لأن المذاهب الأربعة تقول، إن كل مذهب أتى بما يلائم

---

(١٨) أخرجه الرافعى فى أماليه عن أنس رضى الله عنه.

(١٩) سورة الأنعام: الآية ١٥٩.

المسلمين، والدليل أن الشافعى نفسه أخذ من مالك، وعلّم ابن حنبل وأخذ من تلاميذ أبى حنيفة، يعني كلهم واحد.. هو نفسه فى العراق عمل مذهب، ولما جاء مصر ووجد أحوال أهل مصر غير أحوال أهل العراق، ألغى المذهب الأول وعمل مذهباً جديداً يناسب أهل مصر ويناسب حالهم، ويناسب زمانهم، ويناسب مكانهم -وهذا غير هذا بالمرة-.

(بصيرة العلماء العاملين)

وعندما أنظر الآن أجد أن المذهب الذى ينفع فى مصر غير الذى ينفع فى أمريكا، غير المذهب الذى ينفع فى روسيا، وكله من أين؟.

من دين الله عز وجل، لكن الذى أفتى به الأمريكى، غير الذى أفتى به الروسى، غير الذى أفتى به المصرى.. لماذا؟..

كلٌ على حسب زمانه ومكانه وعصره، ومدى معرفته واتساع أفقه أفتيه.

هذا يا إخوانى مبدأ العلماء العاملين رضى الله عنهم وأرضاهم، وإليكم المثال:

ذهب رجل للإمام عبد الله بن عباس رضى الله عنهما، يقول له مارأيك فى القاتل الذى يقتل ثم يتوب توبة نصوحاً؟.

قال: يدخل جهنم ويخلد فيها أبداً، فانصرف الرجل، فقالوا له أنت لا تفتى بذلك، أنت تفتى بأن من قتل وتاب توبة نصوحاً يتوب الله عليه، قال: نعم ولكنى رأيت أنه حضر يسألنى ليأخذ فتوى يستند عليها، وينفذ ما يريد أن يأخذ الفتوى من أجله، وينفذ، ويقول أتوب بعد ذلك.

فبعض الجالسين قالوا نريد أن نتأكد من هذا الأمر (وحب الفضول طبيعة فى الإنسان).. فذهبوا إليه فقالوا له: لماذا سألت هذا السؤال أيها الرجل؟.

قال: إن فلان أغاظنى كثيراً، وأريد أن أقتله، لكنى خائف من الله، فأردت أن آخذ فتوى من ابن عباس لكى أقتله، وارجع أتوب، لكنه لم يفتنى بذلك.

مثل هؤلاء، وعلى مثل هؤلاء، كان هؤلاء العلماء.

تعالوا انظروا إلى الشافعى وسفيان الثورى الذين فى هذه الأيام يجرحونهم، ويقولون نحن أعلم منهم، فقد كان الشافعى وسفيان جالسين فى الحرم وشاهدوا رجلاً.. فقال سفيان: مارأيك فى هذا الرجل -يمتحنون الفراسة التى فى صدورهم، لأنهم أهل فراسة- أى هذا الرجل ما عمله؟.

قال: حلاق.

قال: لا.. إنه جزار.. فنادوا عليه وقالوا: يا رجل ما عملك؟.

قال: كنت أعمل جزاراً والآن حلاقاً.

فهذا صاحب فراسة، وهذا صاحب فراسة، هؤلاء هم العلماء الذين يأتيهم الواحد يستفتيهم، فينظرون إليه، ويعطونه الفتوى على قدره.

ثم يأتى واحد آخر يسأل نفس السؤال، فينظر إليه، ويعطيه فتوى أخرى، مثلما فعل النبى ﷺ، سأله واحد: مارأيك فى القبلة فى الصيام.. فنظر إليه فوجده شاباً، ونفسه تتحرك.

فقال: «**تفطر الصائم**».

وجاء رجل عجوز، وقال: مارأيك فى القبلة للصائم؟.. فنظر إليه فوجده عجوزاً.

فقال له: «**لا عليك مادمت مالكاً لإربك**»[٢٠].

---

(٢٠) رواه البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه.

فهو هنا أفتى على حسب الحالة، فالذى يأتى ويقول القبلة لا تفطر الصائم مطلقاً، نقول له أنت أخطأت، أنت تعطى فرصة للشاب أن يذّل ويضّل.

والذى يقول إن القبلة تفطر الصائم مطلقاً، نقول له أنت أخطأت لأنك نسيت حظ الشيخ الكبير، وقد أعطاه له البشير النذير ﷺ.

(فقه الدعوة إلى الله)

إذاً يا إخوانى مَن الذى يصل إلى مقام الفتوى؟.

الذى أعطاه الله نوراً فى قلبه، يستطيع أن يتعرف به على أحوال السائلين فيعطى كل سائل على قدره، فيريح صدره، ويجعله فى شرع ربه، غير متبرم به، ولا متضرر منه، لأنه يعطيه على قدر قواه، مثل الطبيب، لو كانت الجرعة التى يعطيها من المضاد الحيوى للطفل، كالتى يعطيها للرجل الكبير، ماذا يكون موقف هذا الطبيب؟.

يكون جاهلاً، لأنه هل الرجل الكبير الذى جسمه متين يعطيه جرعة مثل الذى جسمه نحيف؟.. لا.. مع أن المضاد الحيوى واحد.. لكن الذى يحدد الجرعة هو الذى يشاهد الحالة أمامه، وهو يعطى لكل واحد على حسب قدرته.

فالمضاد الحيوى هو الحكم الشرعى الذى يجعل عندى مضاد من المعاصى الظاهرة والباطنة، فالذى يعطيه للطفل غير الذى يعطيه للشيخ الكبير، غير الذى يعطيه للشاب، غير الذى يعطيه للمرأة، غير الذى يعطيه للرجل المستقيم وبين يدى الله فى الصلاة، غير الذى يعطيه للقريب من مجالس الفسق والفجور، غير الذى يعطيه للعاصى الذى تلبس بالمعصية، فكل واحد له حكمه، هذه حالة، وهذه حالة، وهذه حالة وهكذا.

هذا يا إخوانى الفقه في دين الله عز وجل، الذى به يكون الإنسان نوراً لأهله ونوراً لإخوانه، ونوراً لأهل مكانه، ونوراً لأهل زمانه.

فإذا كان بينهم يحنون إليه ويتشوّقون إلى مجالسه، ولا يريدون أن يخرجوا من بين يديه.. وإذا مات بكوا عليـه، وترحمّـوا عليـه، لأنه ييسّر لهم الدين بالطريقة الرشيدة التى كان يفعلها سيد الأولين والآخرين ﷺ.

ليس فى العلم فقط بل فى النصيحة وفى المعونة، وفى البر، وفى التقوى.

«ماجعلت الحكمة فى شىء إلا زانته».. لو أخى المؤمن أخطأ وأنا رجل لست عالماً، ولكنى أريد أن أنبهه، فإذا نبهته أمام واحد أكون فضحته، ويكون فى صدره حزازة من جهتى، فكيف أنبهه إذاً؟.

بطريقة لطيفة إسلامية، حكيمة حتى إنه يحفظ هذا الجميل لىّ مدى الحيـاة، وإذا متّ يترحم علىّ لأننى نبهتـه إلى خطـأ وقع فيـه يغضب الله عز وجل، حتى ولو كان الذى أخطـــأ زوجتى أو ابنى أو ابنتى، هذا نظام الإسلام، أما الناس الذين لم ينتبهوا وهذا الكلام ممكن أن يكون موجوداً حتى الآن، فلو ابنته أخطأت، وكان خطأ فادحاً لا تأخذه بها شفقة، لازم يذبحها ويدخلها النار.. لماذا؟ وهل هذا نظام شرع الله؟ وهل هذه النصيحة التى أمرك بها الله؟.

وهل هذه الطريقة التى هداك إليها سيدنا رسول الله؟.

ومن الممكن أن تكون أنت السبب.. جاءنى واحد يشكو إلىّ يقول زوجتى فعلت المحرم، قلت له وأنت أين كنت؟.

قال: كنت مسافراً ومكثت سنتين.

قلت له: أنت السبب، فلماذا تريد أن تقتلها؟.. لو أنك نفذّت شرع الله مثل ما سيدنا عمر حكم، عندما كان سائراً وسمع المرأة جالسة على السرير وتتناجى بقولها: «لولا التقى والخوف من الله أراقبه، لتحرّك من هذا السرير جوانبـه».

فلم يأخذها على فورها فى الصباح ويقول لها أنت زانية، بل نادى السيدة حفصة ابنته، ونادى السيدة عائشة، وجمع أمهات المؤمنين (أى عمل لجنة نسائية) وهنّ أهل الخبرة، وسألهن: كم تستطيع المرأة أن تصبر على فراق زوجها بدون ضرر؟.

فقلن: شـهرين.

فقال: وكم تستطيع أن تصبر مع الضرر؟.

قلن: ثلاثة.

قال: وما الحد الأقصى الذى تستطيع أن تصبر عليه؟.

قلن: أربعة أشهر.

قال فوراً لوكيله: أرسل إلى كل الجهات ألا يمكث جندى فى الميدان أكثر من أربعة أشهر بما فيهم الرواح والذهاب.

هـذا هو الشرع يُرجع الفتوى لأهـل الخبرة، وأنا هنـا لكى أنصح لابد أن أرى القضية وأسبابها أولاً، وأنظر من أين جاءت؟ ولا أتهور وأعالجها بالروية والحكمة النبوية المحمدية.. هذا نظام الإسلام والذى أذنب لو أتى هذا الذنب رغماً عنـه، فأنا أسمح له، وأعلمه طريقـة التوبة، علّه يتوب ويرجع إلى الله، فيخرج إلى الله وقد تاب الله عليه.

أما التى أخطأت ولم تتب، وتسرعت وقتلتها، فقد أصبحت من الخالدات فى جهنم..

مَن السبب؟.. أنا أليس كذلك؟.

لـكن لو أننى أعطيتهـا فرصـة للتـوبة وتابت إلى الله لـكان أفضـل، لما رجموا الزانية ونزلت الدماء على سيدنا خالد وسبّها وقال لها يا زانية..

فغضب رسول الله وقال: «**لقد تابت توبة لو وزّعت على أهل المدينة لوسعتهم**»[٢١].

إذاً حتى فى هذه الأمور، الإنسان يحتاج للتروى والتدبر لكى ينصح بما يرضى الله وينصح بحكم الله عز وجل.

واحد يتاجر ويتعامل بالربا أقول له أنت كافر وأنت ألعن من الكافر،

لأن ربنا قال للجماعة الذين يتاجرون فى الربا: ﴿**فأذنوا بحرب من الله ورسوله**﴾[٢٢].. لا.. لا أقول له ذلك، وإنما أقول له أنت لك طريق فى التوبة، لكن بشرط أن ترجع عمّا أنت فيه، وأوضحها له، وأبينها له، وإن لم ترجع حكمك كذا وكذا.. فأفتح له أولاً يا إخوانى باب التوبة، فالمسلم لا يتسرع فى حكم أبداً، إنما يتروى ويتدبر ويفتح الباب للرجوع لحضرة الكريم الوهاب عز وجل.

والذى لا يصلى هل أقول له أنت كافر وتذهب إلى جهنم أو سقر.. سيقول لى انت مالك، لما أقول لك ارحمنى لا تسمع ولا ترحمنى.. لكن لا.. أقول له تعالى أنت أخطأت فى حق نفسك وحق الله عز وجل: «**والله عز وجل يبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل، ويبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار**»[٢٣]، فلو تبت يغفر لك ما مضى، ولو تبت وأخلصت، يبدل الذنوب التى مضت حسنات، قال ﷺ فى هذا الأمر كله:

«**بشّروا ولا تنفروا، وإنما بعثتم ميسّرين ولم تبعثوا معسرين ولا منفرين**»[٢٤].

---

(٢١) أخرجه مسلم من حديث بريدة بن الحصيب.

(٢٢) سورة البقرة: الآية ٢٧٩.

(٢٣) أخرجه مسلم من حديث أبى موسى رضى الله عنه.

(٢٤) رواه أحمد والشيخان والنسائى عن أنس رضى الله عنه.

نسأل الله عز وجل أن يوفقنا لاتباع هداه، وأن يوفقنا للطريقة السليمة لنبلّغ دعوة الله، وأن يوفقنا فى كل أحوالنا لاتباع منهج الله، حتى نصل إلى غاية الرضا الذى وضعه لنا الله، وننال الأجر الكريم الذى هيأه لنا الله.. آمين.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.



أسرار الحيــاة الإنسانية الإيمانية

- ★ النور المحمدى
- ★ ليل القرب
- ★ حقائق القرآن فى قلوب أهل الإيمان
- ★ حياة شهداء المحبة الإلهيـة
- ★ النفس الأمارة بالسـوء
- ★ القلب الحقيقى
- ★ حكم الدين فى معاملة أهل الكتاب

هـذه الأسرار العاليـة ذكرت بمنزل الحاج عبد التواب على رشوان بالبسقلون مركز العدوة ـ محافظة المنيا بالسهرة مساء الخميس ١٩٩٣/٧/٧م

أسرار الحياة الإنسانية الإيمانية

قال الإمام أبو العزائم رضى الله عنه:

سقونى الراح فى ليل التدانى
بكأس النور من بحر المعانى

ما الراح؟.. وما الليل الذى فيه التدانى والقرب؟.

وما الكأس الذى يوضع فيه شراب الحب؟.

الليل يا إخوانى هنا إشارة إلى جسم الإنسان، وهيكل الإنسان، فإن جسم الإنسان كالليل وروح الإنسان وحقيقة الإنسان هى النهار: **﴿ألم تر إلى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكناً﴾**[1].

مد الظل الذى هو الجسم، أى مدّه بالحياة وبالحركة، وبالقوة، ولو شاء لجعله ساكناً بالموت.. فما الذى يحركة؟.

﴿ثم جعلنا الشمس عليه دليلاً﴾[1].

والشمس هى الروح دليل عليه، وعندما تشرق عليه تظهر فيه الحياة والحركة النورانية.. وما الذى أعلمنى أنه الجسم: **﴿ثم قبضناه إلينا قبضاً يسيراً﴾**[1].

ساعة النوم، فالشمس تغيب قليلاً ساعة النوم، لكن يكون ساكناً سكون فيه حركة، هذا هو الليل الخاص بالإنسان، وشمسى ليل، لأنه إن لم تنوره الروح يميل إلى الضلالات، ويميل إلى الجهالات، ويميل إلى الظلمات، ويميل إلى المعاصى والسيئات.. ما الذى يحفظه يا إخوانى؟.

---

(١) سورة الفرقان: الآيتان ٤٥، ٤٦.

الروح إذا أشرقت عليه

﴿ **وآية لهم الليل نسلخ منه النهار، فإذا هم مظلمون**﴾[٢].

فالجماعة الذين ليس عندهم روح، وهم الكفرة، والفجرة، يعيشون فى ظلام تام لأنه لا يوجد شىء ينير الجسم، ويحفظه، ويهذبه، ويشدّه إلى الله عز وجل.. فالجسم عندما يتهذّب بالإيمان، وبنور الإيمان، وبإشراق روح الحنّان المنّان على هيكل هذا الإنسان.. تجده لا يمتد إلى المعاصى حتى لو برزت له وتزينت له وتظاهرت له وأغرته، لكن الإيمان الذى فيه من روح الله التى به، يجعله يبتعد عن الذنب، ويكون كما قال ﷺ: «**المؤمن كالفالج الياسر**»، والفالج الذى عنده شلل فلا يستطيع أن يفعل شىء حتى لو فكر فى معصية هل يستطيع أن ينفذها؟.

لا.. لأن جميع أعضائه لا تطاوعه. فكذلك المؤمن حتى لو فكر فى المعصية وزينت له المعصية، إلا أن الله عز وجل يجعل أعضائه لا تطاوعه على فعل تلك المعصية من أين هذا؟.. حفظ من الله عز وجل:

﴿**فالله خير حافظاً وهو أرحم الراحمين**﴾[٤].. من الذى يحفظه؟.

الله عز وجل وليس نفسه.. إياكم يا إخوانى أن يظن أحدكم أنه يبعد نفسه عن المعصية بحوله وطوله وتفكيره وذكائه، كلا، بل لا يستطيع، فإنه لاحول لنا عن معصية الله، إلا بمعونة الله، ولا نستطيع أن نقوم بأى طاعة لله، إلا بتوفيق من الله.

مَن منا يستطيع أن يفعل طاعة من غير أن يوفقه الموفق عز وجل، ويعينه المعين سبحانه وتعالى؟.

هذا هو السر يا إخوانى، فالجسم ليل لأنه مظلم ليس به نور، ولأنه له ظل.. فكل واحد يمشى جسمه يكون له ظل.

---

(٢) سورة يس: الآية ٣٧.

(٤) سورة يوسف: الآية ٦٤.

أما الجسم الوحيد الذى ليس له ظل، جسم مَن؟.

جسم سيدنا رسول الله فقط، فقد كان إذا مشى لا يرى له ظل.

والذى ليس له ظل.. اللمبة.. النور.. لأنه كان نوراً.

أبرزته يد العناية كوناً
وهو نور فى صورة آدمية

نور ولكنه فى صورة بشرية، وعندما يمشى لا يوجد له ظل، ولا الذباب يقف عليه، فالذباب كان لا يستطيع أن يقف عليه أبداً، وعندما كان يتكلم كان يخرج النور من بين ثناياه ﷺ، فعندما يشرق على القلب نور الله، وسر الله، الذى خص به عباده المؤمنين، والتى هى الروح:

﴿ فإذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين﴾[٥].

كان السجود لماذا؟ هل من أجله أم من أجل النفخة والسر؟.

فلو أن السجود كان يقيناً
لأبيه لم يهبطا من عليّه

فلو كان السجود لجسم آدم، فلماذا نزل من الجنة؟.

فالسجود كان لمن؟.

كان لروح الله التى نفخها فى آدم عليه السلام.

فإبليس لم ير هذا النور، فلم يسجد، والملائكة الذين رأوا النور سجدوا..

هو رأى الجسم الظاهر فقط، أى الظلمة فقال: لا..

---

(٥) سورة الحجر: الآية ٢٩.

لـو أبـصــر الـشــيـطـان طـلـعـــة نـوره
في وجــه آدم كـــان أول مَن ســجــد

أو رأى الـنـمـــروز بـعـضِ جـمـــالـه
عَبْـدَ الجليلِ مع الخليل ومـا جَحـد

لــكـــن نـــور الله جَـــلّ فـــــلا يرى
إلا بـتــخـصـيـص من الله الـصـمـد

لا أحد يستطيع أن يراه إلا الذى يطلعه عليه الله، ويريه له، فالجماعة المؤمنين سر الروح التى بهم من رب العالمين، يجعـل الجوارح هينـة لينـة فى طاعة الله، والآخرين لأنه لا توجد هذه الروح عندهم، فقلوبهم قاسية، وأعضاؤهم غليظـة وجافيـة على طاعة الله عز وجل، لا يستطيع أن يعمل، لأنه ليس عنده الروح التى تزيّن هذه الأعضاء، وتشحمها وتجعلها هينة لينة فى طاعة الله:

﴿ الله نزّل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً مثانى﴾[٦].

ماذا يفعل هذا؟.

﴿تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم﴾[٦].

وما بال الآخرين، لا يوجد عندهم هذا؟.

﴿ ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله﴾[٦].

فما الذى يليّن هـذه الأشياء لذكر الله ولطاعة الله؟.. النور الذى ينزل فى قلوبهم.. من أين يا إخوانى؟.

من الله.. فالجاهل الذى لا يعلم هذه الحقيقة يقول: أنا أفعل كذا لله، وأنا أصلى كذا لله.. وأنت ماذا تفعل يا جاهل لو حَبس عنك النـور؟.

---

(٦) سـورة الزمر: الآية ٢٣.

لكن هو الذى أعطاك النور، وليّن لك الأعضاء، وليّن لك الجوارح، وجعلها هيّنة، ولينة فى طاعة الله عز وجل.

(ليل القرب)

فكذلك تصبح الجوارح بعد ما يحل النور فيها، وتهتدى إلى خالقها وبارئها، أصبحت ليل، لكن ليل للقرب والتداني، وأصبحت هى المركبة التى أركبها فتوصلنى إلى الله، لأن هذه هى التى أؤدى بها الصلاة، والعين التى أقرأ بها كتاب الله، واللسان الذى ينطق بالخير لعباد الله، والأذن تسمع الخير من العلماء بالله، واليد تمتد بالصدقة إلى الفقراء من خلق الله، والقدم تحملنى إلى الأماكن التى يحبها الله فأصبحت كلها توصلنى إلى الله عز وجل.

سقونى الراح فى ليل التداني.. ما الراح يا إخوانى؟.

هو النور الصمدانى، والنور الذاتى الروحانى الذى حبّبه الله فى قلوب المؤمنين ويسّره، فاشتاقت قلوبهم إلى الله عز وجل، ولانت جوارحهم إلى الله سبحانه وتعالى.

(حقائق القرآن فى قلوب أهل الإيمان)

وما الكأس الذى يشربون منه؟..

هو النور، بكأس النور من بحر المعانى، الكأس هو قلبى وقلبك، فالقلب هو الكأس الذى يشرب أنوار الله، وعلوم الله، وأسرار الله، والذى فيه كل أنواع الخشية والحب والصفاء لحضرة الله عز وجل، ولا يوجد جزء آخر فيك يا أخى فيه هذه المعانى. فربنا عندما يريد أن ينزّل عليك نوراً، أين ينزله؟.

هل على العين أو على المخ ؟.

بل على القلب.. إذن فالذى ليس له قلب ليس له هذا الماعون، أى ليس معه كوب، فكيف يصبّ فيه الخير؟.

إن هذا يقول الله له، ليس لك فى هذا الخير نصيب: **﴿إن فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب﴾**[7]، فالذى له هو المؤمن، والذى ليس له هو الكافر، فهم يعيشون من غير قلوب إيمانية، فكيف يعيشون؟.

بالنفس، لا يوجد عندهم قلب، ما الذى يموت فىّ وفيك؟.

النفس، لكن القلب لا يموت، ومن الذى يذوق الموت؟.

النفس: **﴿كل نفس ذائقة الموت﴾**[8]، **﴿الله يتوفى الأنفس حين موتها﴾**[9]. فهو يتوفى الأنفس، لكن القلوب لا تموت، فالقلب يأخذ الحياة الباقية، فلا يموت ولا يفوت من بعدها أبداً، يحيا بالله، ويصير حيّاً بجمال الله، وبكمال الله، إلى ماشاء الله.

لأنه من أين؟ من الله.. والله عز وجل باقي، فيأخذ صفة الباقى عز وجل فيك فهذا هو الكأس النورانى، لأنه نور، ولأنه من النور، وهو الذى يتلقى من الله الإلهامات، والفيوضات، والأنوار، والتنزلات، والتجليات التى يتذوقها الصالحون والمؤمنون، والمسلمون، والعارفون فى كل وقت وحين.

هذا القلب أو هذا الماعون أو هذا الكأس، إذا كان مغسولاً جيداً ونظيفاً، تكون الأشياء التى تنزل فيه لا تتلوث، فكأنها طاهرة على طول، ليس كذلك فقط بل الذى فيه يظهر على الخارج، لأنى أستطيع أن أرى الذى داخل الزجاج، وإذا كان هذا القلب أو الكأس فيه بعض القاذورات أو الأوساخ عندما تنزل المياه أليس تعكّرها؟.

---

(٧) سورة ق: الآية ٣٧.

(٨) سورة آل عمران: الآية ١٨٥.

(٩) سورة الزمر: الآية ٤٢.

فمن أجـل ذلك جعـل الله عز وجـل كلامه لا ينزل إلا فى القلوب التى تطهرت لله عز وجـل: **﴿وإنه لقرآن كريم فى كتاب مكنـون لا يمسه إلا المطهـرون﴾**[10].

لا يمسه أى لا يمس المعـانى والأسرار والعـلوم والأنوار التى فى الكتاب إلا الجماعة المطهرون.

لكن لو أخذوا على قدر الظاهر، فالمصحف موجود، وعندنا مكتبات المسيحيين ويبيعـون المصحف، هـل المسيحى الذى يبيـع المصحف يلمسه أم لا؟.

يلمسه، لكن هل يستطيع أن يلمس مافيه من أنوار الله؟ أو يتذوق الذى فيـه من أسرار الله، أو يفقـه الذى بداخـله من عـلوم الله؟.. لا يستطيع..

إذن، لا يمسـه أى لا يمس حقائقـه، ولا أسراره، ولا علومه ولا أنواره إلا المطهرون الذين طهرهم الله، بنور من عنـده، وبعلم من عنـده.

وهذا يا إخوانى الحال الذى يقع عليه عباد الله الصادقون.

فالقرآن ظاهر فى قلوبهم على حقيقته.. معانى روحانية، وأسرار ربانية، وإلهامات قدسية، وعلوم وهبية، وتجليات ربانية، فالقرآن يكون فى صدره بهذه الحالة، وليس كلمات فقط لأن القرآن عنده شىء آخر.

نسأل الله أن يجمّلنا بالقـرآن، وأن يشرح صدورنا بنزول القرآن، وأن يطهّر قلوبنـا بنـور القـرآن، وأن يجعلنا من عبـاد الله المطهرين، وأن يتنزل علينا بالرضا واليقين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وسـلم.

---

(10) سـورة الواقعة: الآيات ٧٧: ٧٩.

(حياة شهداء المحبة الإلهية)

سؤال: هل هناك حياة لغير الشهداء بعد الموت؟.

الإجابة: قال ﷺ: «**أكثر شهداء أمتى أصحاب الفرش، وربّ قتيل بين الصفين لا أجر له**»(١١).

كيف يأخذ الشهادة أصحاب الفرش، وهم نائمون، ورب قتيل بين الصفين لا أجر له؟.. هذا يأخذها بأجر نيته.. فالرجل الذى وهب عمره كله لطاعة الله، ولم يشغله بحظه وهواه، هذا عندما يموت، يموت بسيف المحبة الإلهية، قتيل الغرام فى ذات الواحد العلام، قتيل العشق فى الذات الإلهية، قتيل الحب للحضرة الربانية، هذا حى حياة القلب.

فربنا عندما ذكر الموت لم يذكر القلب، لأن القلب يعيش حيّاً دائماً، وإلا كيف يجيب على سؤال الملكين؟.. وكذا نعيم الجنة الذى يتمتع به.

«**فالقبر إما روضة من رياض الجنة، أو حفرة سن حفر النار**»(١٢).

فالروضة كيف يتمتع بها إن كان قد مات!. والجحيم كيف يحس بعذابه إن كان قد مات أيضاً! فهو حيّ، لكن حياة أخرى روحانية، لا يعلمها إلا الله، وفى ذلك يقول الله عز وجل: ﴿**لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى ووقاهم عذاب الجحيم**﴾(١٣).

---

(١١) رواه أحمد فى مسنده عن ابن مسعود رضى الله عنه.

(١٢) رواه الترمذى عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنه.

(١٣) سورة الدخان: الآية ٥٦.

(النفس الأمّارة بالسوء)

سؤال: مادام الإنسان لا يعمل الشر من نفسه، فلماذا يحاسب عليه؟.

الإجابة: لقد قلت إنه لا يفعل الخير بنفسه.. إنه لا يفعل الخير إلا بتوفيق الله ولكن لم أقل إنه لا يفعل المعصية بنفسه، لأن المعصية هى من النفس، فالجماعة المؤمنين ربنا حفظهم من نزغات النفس وقال: **﴿إن عبادى ليس لك عليهم سلطان﴾**(١٤)، لكن الشانى نفسه موجوده.

ما الذى يمنعه من المعصية؟.

إنه ليس عنده نور، لأنه يعيش فى ظلمة على طول، فالنفس هى التى تعمل بِمعنى أصح، كمثل من يعيش فى مكان موحش مظلم أو بيت مهجور من الذى يعيش فيه؟ الحيات والثعابين والعقارب وكذلك قلب الكافر ما الذى يعيش فيه؟ حيات المعاصى وثعابين الأحقاد، والأحساد، والشيطان يوسوس لهم ويزين لهم.

﴿ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطاناً فهو له قرين﴾(١٥).

قرين، يعنى ملازم له، ماشى معه، لكن المؤمن ليس عنده هذا الأمر.

ولكن إذا حدث شيئاً من المعاصى، تكون النفس هى التى توسوس له، والنفس ربنا أمرنا أن نجاهدها، ونكابدها، ونظل فى انتباه لها إلى يوم القيامة، إلى أن تسافر وتهاجر إلى الله عز وجل.

حتى عندما توسوس له، قال أيضاً:

﴿إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون﴾(١٦).

---

(١٤) سورة الحجر: الآية ٤٢.

(١٥) سورة الزخرف: الآية ٣٦.

(١٦) سورة الأعراف: الآية ٢٠١.

فالنور الذى معهم يذكرهم، فإذا هم مبصرون، لكن الآخر ما الذى يذكره؟ لا شيء، فلا عنده جهاز إنذار مبكر ينذره، ويقول له حاذر إنها معصية.

(القلب الحقيقى)

سؤال: فى أى مكان يوجد القلب الذى تتحدث عنه؟.

الجواب: القلب الذى نتكلم عنه ليس هذا القلب الذى فى الجسم، فهذا به أذين وبطين يستقبلون الدم ويضخونه، وهو موجود معى ومع الكافر ومع الجاموسة ومع الحيوانات.. إذن ما معنى القلب؟.

القلب يعنى الحقيقة النورانية المجهزة لتلقى الحقائق الإيمانية، والعلوم الإلهية، لا يعلمه ولا يعلم عن أمره شيئاً إلا الله عز وجل، فهو غيب من غيوب الله.

أما القلب الجسمانى فليس هو القلب الذى فيه الإيمان، لأنه لو كان هو القلب الذى فيه الإيمان، كنا عندما نعطى قلب المسلم لكافر يتحول الكافر لمسلم هل يحدث هذا؟ لا.. أو العكس أيضاً لا..

إذن ليس هذا هو القلب الذى فيه الإيمان، ولا القلب الذى فيه الحب أو الكره، أو البغض أو الحسد، وهذا ليس فيه غير ضخّ الدم.

أما القلب الحقيقى فهو حقيقة نورانية ذاتية لا يعلمها إلا الله، ولا يطّلع عليها إلا مَن صفّاه وصافاه الله، فيراها بعين من الله فيه، وهى التى يسمونها (عين القلب): **﴿فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور﴾**(١٧).

(١٧) سورة الحج: الآية ٤٦.

فالقلب هو الروح، وهو السر وهو كل المعانى الغيبية فى الإنسان، فقلب الشيء يعنى حقيقته، وهو حقيقة الإنسان، التى هو بها إنسان، والتى ساعة أن تخرج يقولون: إن الإنسان قد مات، فهو القلب وهو الروح، وهو الفؤاد، وهنا قال رجل من الحاضرين:

- ما المقصود بقوله ﷺ: **«التقوى هاهنا، وأشار إلى صدره»**[١٨].

قال له الشيخ: إنه يقّرب الأمر لهم ويشير إليهم إلى صدره بقوله: التقوى هاهنا ويشير إلى صدره (صدره هو).

فالنبى يقول: **«التقوى هاهنا»**.. يعنى الذى يريدها يأتى إلى هنا، فقال هاهنا ولم يقل هنا، والراوى قال أشار إلى صدره، يعنى الذى يحب أن يأخذ علوم التقوى يأتى إلى هنا -إلى صدره هو ﷺ-.

فما القلوب التى لا تفقه؟.. هى الخاصة بالكافرين، فلهم حقائق قدرها الله لهم، لكن لم يمكنهم منها غضباً من الله عليهم.. لأن هذه القلوب أعطاها لهم يوم الميثاق الأول لكى تقوم عليهم الحجة وسمعوا كلام الله، ورأوا جمال الله، وردّوا على الله، وبعد ذلك سلّط الصدأ على صدورهم لكى تقام عليهم الحجة، فكأنهم سمعوا وردّوا، وعرفوا، لكن عندما جاءوا فى هذه الدنيا، فالقلوب تاهت، لأن هذه القلوب لو كانت موجودة الآن، كانوا آمنوا: **﴿إنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور﴾**[١٩].

فالقلوب موجودة فى الكافرين ولكنها ليست تعمل: **﴿وحُصّل ما فى الصدور﴾**[٢٠].

(١٨) رواه أبو يعلى عن أنس.
(١٩) سورة الحج: الآية ٤٦.
(٢٠) سورة العاديات: الآية ١٠.

ما الذى داخل الصدور؟ إنهم لا يستطيعون معرفته حتى لو كشفوا بالأشعة..

لأنها معانى أخرى، ووضع آخر، فهى معانى قرآنية غيبية لا يعلمها إلا الله.. مثل العقل.. أين العقل؟.

هذا الذى فى الرأس هو المخ، لكن العقل الذى فيه الكلام والذاكرة، وما ينشغل به الإنسان ويريد أن يحدث هذا فى علم الله لا يعلمه إلا الله.

الإمام الغزالى قال: « الروح بالنسبة للإنسان، مثل الشمس ولها شعاع فى جسم الإنسان، مثل الشمس، لكن كل هذا تقريب للحقائق، أما حقيقة الروح: ﴿ **قل الروح من أمر ربى**﴾[21].

واستطرد الشيخ رضى الله عنه فى الحديث عن الحياة البرزخية مخاطباً السائل فى المجلس.. أليس الذى انتقل من الدنيا يحاسب؟.

والملكين يسألونه.. ويتعذب أو يتنعم.. كيف يحس بهذا الكلام وهو ميت يا أخى؟ هو ليس ميّت وإنما هو حىّ.. لكن حياة من نوع آخر لا نعلمها، والرسول ﷺ قال لنا كذلك: «**ما من مسلم يقف عند قبر أخيه المسلم، كان يعرفه فى الدنيا ويسلم عليه؟، إلا ردّ الله روحه فرد عليه السلام، واتئنس به مادام واقفاً عند قبره**»[22].

ألسنا نقول: السلام عليكم دار قوم مؤمنين.. والسلام سنة، والرد فرض.. أى لازم يرد السلام.

هذا نظام القرآن، والنبى ﷺ خاطب الكفار: «يا أبا جهل، يا فلان ابن فلان إنى وجدت ما وعدنى ربى حقاً فهل وجدتم ما وعدكم ربكم حقاً؟!..

---

(٢١) سورة الإسراء: الآية ٨٥.

(٢٢) أخرجه ابن عبد البر فى الاستذكار والتمهيد والسيوطى فى شرح الصدور عن ابن عباس رضى الله عنهما.

فقال سيدنا عمر: أتنادى قوماً قد جُيِّفُوا، قال: «**إنهم أسمع لما أقول منكم، ولكن لا يستطيعون الجواب**»[٢٣].. لكن سامعين.. لذلك، ليس الميت الذى فى القبر يا أخى بل الميت هو الحى فى الدنيا ولم يعرف الله.. أى الكافر.. والله قال للنبى ﷺ: ﴿**لينذر من كان حياً، ويحق القول على الكافرين**﴾[٢٤].

فالحى هنا يعنى المؤمن لأنه حى بالإيمان وبمعانى القرآن وبنور حضرة الرحمن.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

(حكم الدين فى معاملة أهل الكتاب)

أجاب فضيلته على سؤال آخر؛ عن حكم الدين فى معاملة أهل الكتاب، وفرض الجزية عليهم.

فقال: أعاشرهم، وأخالطهم، لكن الجزية عندما أذهب لأحارب جماعة أعلنوا الحرب علىّ، ماذا أفعل؟.

أقول لهم: اختاروا واحداً من ثلاثة، إما الإسلام أو الجزية أو الحرب.. هؤلاء الذين أعلنوا الحرب علىّ..

لكن الذين يعيشون معى؛ النبى قال فيهم: «**مَن خاصم ذمياً أو معاهداً أو ظلمه أو انتقصه، فأنا حجيجه وخصيمه يوم القيامة**»[٢٥].

---

(٢٣) متفق عليه من حديث عمر بن الخطاب رضى الله عنه.

(٢٤) سورة يس: الآية ٧٠.

(٢٥) رواه أبو داود عن عدة من أبناء أصحاب رسول الله ﷺ عن آبائهم.

أى أنا الذى آخذ له حقـه، منَ الذى يظلمه أو ينقصه أجـره، أو ينقصه الذى له من الحق.. أما عن معاملَتهم فلهم ما لنا، وعليهم ما علينا.. وكلكم تحفظون الحديث الوارد عن رسول الله ﷺ عندما كان جالسـاً ومر اليهـودى المحمـول فى جنـازة فقـام ووقف فـقـالوا: يا رسول الله إنه يهـودى، قـال: «**أليـست نفـسـاً**»[٢٦]، أى ما دامت نفساً لازم تقف لها تعظيماً لها لأنها خلق من خلق الله عز وجل.. فالكفر عليه، لكننى أعظمه لأنه خلقه وسواه الله وصوره الله عز وجل، فهؤلاء يا إخوانى أهل ذمتنا لهم ما لنا، وعليهم ما علينا، نخـالطهم ونعـاشـرهم، لكن لا يكون لهم منّـا حب من خـالص قلوبنـا.. نعاملهم من أجـل أمر الدين، لكن لا تصل الأمور إلى أن أصاحبه مثلما أصاحب المسلم، فآكل معه وأشرب معه وأذهب معه، وأبيت معه.

ولكن لا أسوى بينه وبين المسلم فى هذه الناحية، فأنا آكل عنده لقول الله تعالى: ﴿**وطعام الذين أوتوا الكتاب حلّ لكم**﴾[٢٧].

وأضيّفه لأنى أريد أن أؤلفه وأدعوه للإسلام.

سـؤال: عن الجنازة.

قال رضى الله عنه وأرضاه:

الأفضل عند تشييع الجنازة، السكوت لكى يتفكّر المشيّعون فى أمر هذا الميت وما سيؤول إليه، لكن إذا تكلّموا مثلما يحدث الآن.. فالأئمة قالوا: سوف نحضر لهم شـيئاً حتى لا يتكلموا، يقولون لا إله إلا الله أو يقرأون سـورة الواقعـة أو يس، أو ما يتيسر من كتـاب الله، لكى لا ينشغلوا بالكلام لأن الـكلام الممنوع هنـا فى هـذه الفـترة، إذا كنا نستطيع أن نمسك أنفسنا. لأن سيدنا رسول الله ﷺ كان يأخذ نفسه بالأقوى، ويأمر غيره باليسر

---

(٢٦) متفق عليه.

(٢٧) سـورة المائدة: الآية ٥.

وقال لنا: «**سيروا على قدر ضعفائكم**»[٢٨]، أما من يريد أن يأخذ الناس بالأقوى فإنه يشق عليهم.

إذن فالأفضل الصمت إلا إذا وجدنا الناس اشتغلوا بالأحاديث عن العظة والاعتبار.

فالأفضل هنا أن نشغلهم بذكر الله أو الاستغفار أو تلاوة القرآن أو أى عمل يعظهم ويذكّرهم بالموت وبالدار الآخرة.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

---

(٢٨) أخرجه الشافعى فى مسنده والترمذى وحسّنه وابن ماجه والحاكم عن أبى هريرة رضى الله عنه.



قيمة الوقت في الإسلام

★ المؤمن ابن وقته
★ أمانات الله للإنسان
★ الحفاظ على الأمانات
★ الإسلام والعقل
★ حفظ الجوارح
★ أمانة العمر
★ التبذير المنهي عنه
★ الحفاظ علي العمر
★ العمل لله عز وجل
★ محاسبة النفس
★ عبادة التفكر
★ ضرورات الحياة

هـذا الدرس كان بالمسجد الكبير بقرية بلهاسة مركز مغاغة محافظة المنيا بعد صلاة المغرب يوم ١٩٩٣/٨/٤م

قيمة الوقت فى الإسلام

الحمد لله على هداه، والشكر لله عزّ وجلّ على ما شرح به صدورنا لكلام الله، ونسأل الله عزّ وجلّ أن يزيدنا هدىً على هدى، ونوراً على نور، حتى نكون من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه... والصلاة والسلام على سيدنا محمد بن عبد الله، الذى ابتعثه الله عز وجل رحمة للعباد فأخرجهم به من الظلمات إلى النور، ووضّح لهم سبيل الهدى والرشاد. فما من شاردة ولا واردة تهم الناس فى دينهم أو معاشهم، أو بيوتهم أو حياتهم، إلا ووضّحها وبيّنها بأجلى بيان عليه أفضل الصلاة وأتم السلام.

وبعد...

فى الحقيقة، الموضوع الذى كان يتكلم فيه الحاج/ فؤاد -بارك الله فيه- لفت نظرى، وهو موضوع الساعة. فنحن نسمع من بعض إخواننا الذين يذهبون إلى الدول الأوربية، عندما يتحدثون عن هؤلاء القوم، أن أهم مميزاتهم المحافظة على الوقت، وكل شىء عندهم بحساب، ويحاول كل منهم ألا يضيّع وقته إلاّ فى عمل نافع له فى دنياه، وقد ظنوا أن هذا الأمر، وهو تقدير الوقت وقيمته، مأخوذ من الحضارة التى هم فيها، أو ناتج من العلم الذى وصلوا إليه، وإن كان الأمر فى الحقيقة أنها بضاعتنا نحن:

﴿ هذه بضاعتنا ردّت إلينا ﴾[1].

لأنه لم يهتم أحد بالوقت، بل ولم يوضح قيمة الوقت مثل الإسلام وأهل الإسلام وكتاب الإسلام.

---

(١) سورة يوسف: الآية ٦٥.

لكن ما بال المؤمنين فى هذا الزمان نراهم -ونحن منهم- الواحد منهم لا يبحث عن الوقت الذى سينال فيه الرضا، أو ينال فيه المقت! مثل هؤلاء فرّطوا يا إخوانى في دينهم، وبعد ذلك فى أنفسهم وفى حقوق أنفسهم، حتى أن أحدهم سيأتى ساعة خروج الروح ويقول كما قال الله عزّ وجلّ:

﴿ يا حسرتى على ما فرّطت فى جنب الله ﴾[٢].

فيتحسّر على الأوقات التى ضيّعها ولم يستغلّها فى طاعة الله عز وجل.

المؤمن ابن وقته

أى همّه كله اغتنام الوقت الذى هو فيـه، وليس هو مثـل الجاهلين الذين يقولون: «احيني اليوم وأمتنى غـداً»، وكل هم الواحد منهم أن يعبّ من الشهوات، ويملأ معدته من الملذات، ولا يستعد ليوم الميقات، وعندما تكلمه فى ذلك يقول: «وقتها يحلّها حلاّل». وهذا كلام الجهال.

أما المؤمنون بالله، فهم المقتفون أثر سيدنا رسول الله ﷺ الذى يقول:

« **الكيّس مَنْ دان نفسه** »[٣].

ودانها أى يحاسبها أولاً بأول، كى لا تضيّع نفساً فى شىء لا نفع فيه ولا فائدة فيه.

« **الكيّس من دان نفسه، وعمل لما بعد الموت**»[٣].

فهو يستعد ليوم الحساب.

أما الثانى الذى يمشى على هوى نفسه، فقد وصفه بالأحمق. والأحمق الناقص العقل الذى تصرفاته قريبة من تصرفات المجانين، ولذا قال فيه:

(٢) سـورة الزمر: الآية ٥٦.

(٣) أخرجه أحمد وابن ماجه والترمذى والحاكم من حديث شدّاد بن أوس رضى الله عنه.

« والأحمق من أتْبع نفسه هواها وتمنّى على الله الأمانى»[٣].

وهو الذى نقول عليه: «يمشى على هواه»، فيلبّى لنفسه طلباتها ومشتهياتها سواء من حلال أو من حرام، لأنه لا يراقب الله، ولا ينتظر اليوم المعلوم، ولا يستعد للأجل المحتوم، ولا يتزود للقاء الحىّ القيوم. هذا يا إخوانى الإنسان الأحمق، وهو لم يستفد ذرة من دين الله عز وجل الذى اتّبعه، وآمن به، وصدّق بنبيه.

أمانات الله للإنسان

لأن المؤمن أحرص الناس على وقته، وأحرص الناس على عمره، وأحرص الناس على أنفاسه. فوقتى أنا وأنت هو حظّى ونصيبى من العمر الذى تفضل ربنا علىّ وعليك به، فالأيام التى سنعيشها فى الدنيا، كم هى؟.

لا أحد يعرفها إلا الله عز وجل، الذى لا يغفل ولا ينام.

متى ستنتهى؟ ومتى أسافر؟.

أيضاً هذا من علم الغيب.

﴿ وما تدرى نفس ماذا تكسب غداً وما تدرى نفس بأى أرض تموت﴾[٤].

إذن علمها عند من؟.

﴿ إن الله عليم خبير﴾[٤].

هو العليم، وهو الذى يخبر الملائكة الموكلين بالأرواح بلقاء الكريم الفتاح عز وجل.

---

(٣) أخرجه أحمد وابن ماجه والترمذى والحاكم من حديث شدّاد بن أوس رضى الله عنه.
(٤) سورة لقمان: الآية ٣٤.

فالعمر أمانة، ربنا سبحانه وتعالى أعطاها لى ولك، وهو من الأمانات التى قال فيها الله:

﴿ إنا عرضـــنا الأمانة على الســـموات والأرض والجبـــال، فأبين أن يحملنهـــا وأشفقن منها وحملهـــا الإنســـان﴾[٥].

لم يقل وحمّلناها، لأنه لو حمّلها هو للإنسان، كان يتعين أن يُعين الإنسان عليهـا وتنتهى المشكلة، لكن الإنســان هو الذى حملهـا باختياره وإرادته.

﴿ وحملها الإنسان إنه كان ظلوماً جهولاً ﴾[٥].

ظلوماً! جهولاً! متى؟.

إذا ضيّع الأمانة. مثل ما قال النبى ﷺ:

« السمع أمانة والبصر أمانة »[٦].

هذا الجسم كله -الذى أعطاه لى الله- أمانة عندى. لذلك أنا لو قتلت نفس، سيحاسبنى عليها ويدخلنى جهنم.

أليست ملكى؟.

قال: لا، هـذه أمانة عنـدك تحافظ عليهـا، فلا تعرّضها إلى التهلكة، ولا تضرها بشرب الخمر أو الحشيش أو الأفيون، حتى لا يحاسبك عليها الله عـز وجـل. لأنهـا ليست ملكك أنت، بل إنهـا أمانة عندك، فلا تطعمها ولا تسـقيها إلاّ ما أباحه الله عز وجـل لك، وحـدده الشرع الشريف لك. وإذا خالفت تكون خائناً للأمانة التى وكلّك الله عز وجل بها.

وكذا الزوجة عندك أمانة، والأولاد عندك أمانة، والمال الذى معك أمانة.

---

(٥) سـورة الأحزاب: الآية ٧٢.

(٦) رواه أبو داود من حديث أبى هريرة رضى الله عنه.

﴿ **إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوماً جهولاً** ﴾[٥].

الحفاظ على الأمانات

فالأمانات كثيرة، وربنا أعطاها لنا وأمرنا أن نحافظ عليها، وعرّفنا الطريقة الصحيحة للحفاظ عليها، حتى لا يفرط الإنسان فى أمانات الله، التى كلفه بحملها والمحافظة عليها الله عز وجل. ومن ضمنها العمر، والنفس، والقلب، والجسم، والروح، والمال، والعقل، والزوجة والأولاد. ومن ضمنها كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

الأمانات كثيرة جداً، نريد أن نوضح كيف نحافظ عليها قدر الاستطاعة؟.

فالحفاظ على العقل معروف، وهو أننى لا أحضر لنفسى ولا أدخل جسمى شيئاً يحجب عقلى ويشله عن وظيفته التى كلفه الله عز وجل بها.

وما الذى يشلّ العقل ويعطله؟.

الخمرة بأنواعها وأصنافها، والمخدرات بأنواعها وأشكالها كالجديد الذى ظهر هذه الأيام، وهو الهيروين والكوكايين، والحبوب التى يشترونها من الصيدليات.. (حبوب الهلوسة).

كل هذه حرّمها الله، لماذا؟.

من أجل العقل. حتى أن العرب فى الجاهلية، العقلاء منهم حرّموا على أنفسهم مثل هذه الأشياء. فهذا رجل منهم شرب الخمر، وبعد شربها لم يدر، فلما أفاق قالوا له: ابنتك مختبئة منك فى مكان بعيد. قال: لماذا؟

---

(٥) سورة الأحزاب: الآية ٧٢.

قالوا له: لأنك راودتها عن نفسها وأنت مخمور. قال: ابنتى! وأقلع من يومها عن الخمر، لأن الخمر تدعوه لعمل الفحشاء فى ابنته.

وسيدنا أبو بكر رضى الله عنه حماه الله فلم يشرب الخمر فى الجاهلية. لماذا؟ لأنه كان رجلاً رزيناً وعاقلاً، وقالوا له: لمَ لم تشرب الخمر فى الجاهلية؟ قال: لأنى لا أرضى لنفسى أن أعيش بغير عقل كالبهيمة.

الإسلام والعقل

فالإنسان، ما الفرق بينه وبين البهيمة؟.

العقل. فلو ذهب عقل الإنسان، فإن الناس تتحاشاه، ومن يره فى الطريق يبتعد عنه خوفاً منه، لأن الإنسان المجنون، ليس عليه ملام فى شرع ولا فى قانون، ولا فى شىء أبداً.

فالإسلامَ حرّم هذه المخدرات والمسكرات كلها، لأنه أمر الإنسان أن يحافظ على هذه الجوهرة الربانية، وهى العقل، ويشّغلها كما أمر الله فى آية:

﴿ ويتفكرون فى خلق السموات والأرض ﴾[7].

فهو يفكر بها فى السماء والأرض، ويفكر بها فى المرجع إلى الله والمصير يوم لقاء الله، ويفكر بها فى الموت، ويفكر فى البعث، ويفكر فى النشور. هذه الأشياء التى أمره أن يفكر فيها، وما الذى نهاه عنه؟.

قال له: لا تفكر به للتفريق بين المسلمين، أو إثارة الخلافات والأحقاد بين الموحدين، أو للسطو على الناس الآمنين بالسرقة، أو الغش فى البيع والشراء -إذا كنت من التجار- لإخوانك المؤمنين.

---

(٧) سورة آل عمران: الآية ١٩١.

إياك أن تفكر أو تشغل العقل فى التفكير فى الشرور، فإنه جوهرة نورانية، وقد سلّمك الله هذه الأمانة لتستعين بها فى الوصول إلى مراضى الله عز وجل فى الدار الآخرة.

إذن فيم أفكر به؟.

فيما وضّحه لى الله، وبينه لى سيدنا ومولانا رسول الله ﷺ.

حفظ الجوارح

والذى يعاون العقل الجوارح، وهى العين، والأذن، واللسان، والأيدى، والأرجل. ومن أجل القيام بوظيفتها، أمرنى أيضاً أن أحكم تغذيتها من حلال، وأباعد بينها وبين أى غذاء حرّمه الله عز وجل، أو حرّمه رسول الله ﷺ.

فكلما غذّيتها من حلال تجدها بذاتها مندفعة إلى طاعة الله عز وجل، ومتجهة إلى صراط الله المستقيم. ولو تغذّت من حرام تجدها تميل بطبيعتها إلى الحرام والمعاصى، والذنوب والآثام، وتحاول أن تكبح جماحها فلا تستطيع، لماذا؟ مثل الدابة التى شردت من الإنسان وهو ممسك بلجامها، فهو يجذب اللجام، ولكنها مصرة على ما فى رأسها، لماذا؟ لأنها تغذت من الحرام.

إذن ما العقال الذى يعقل الجوارح عن الذنوب والآثام؟.

هو أن أحفظها من المطعم الحرام. فإذا أحكمت هذا الأساس فهى من نفسها سترعوى. فلو فتحت العين للنظر إلى ما حرّم الله لغضّت. ولو تهيأ مجلس للخوض، فاللسان أيضاً سيبتعد عن الخوض، لكى لا يكون مع الخائضين. ولو كان الإنسان يسمع شيئاً يغضب الله، فستجد الأذن تتأذى

وتشمئز وتجعله يغـادر المكان فوراً، لأنهـا لا تحب سـماع ما حـرّم الله ورسـوله ﷺ.

إذن الحفظ للجوارح أنّى أغذّيها من الحلال.

أمانة العمر

والعمـر، أليس عمرى وعمرك سنين؟ ونحن نعرف هذا. حينما يولد الواحد منّـا، يسجلون له تاريخ الميلاد، ويعدّون أياماً وشهوراً وسنين، وحينما يحضره الموت يكون لهذا سبعين سنة، وهذا عاش خمسة وستين سنة، أو أكثر أو أقل، وهكذا. هذه السنين من عملنا نحن، ونحن الذين نحدّدها. فالإنسان هو الذى جعل لنفسه سنين وشهوراً وأياماً وأسابيع، وكل هذا مرتبط بدورة الشمس والليل والنهار ودورة القمر.

وإذا كان ربنا عز وجل ليس عنده فى ملكوته شمس ولا قمر، فكيف يحسب أعمارنا؟ بالأنفاس التى نتنفسها.

فكل واحد منا له أنفاس محدودة، لآجال معدودة، عدّها عليه الملك الكبير عز وجل، فهو يعد عليك أنفاسك.

كم عدد هذه الأنفاس؟.

قالِ بعض العلماء: إن الواحد منا له فى كل يوم وليلة أربعة وعشرون ألف نَفَس، وكل نفس من هـذه الأنفاس سيحاسبك عليه الله عز وجل،. فيم صرفته؟ وفيم أنفقته؟ من ساعة سنّ التكليف.

دقـات قلب المـرء قـائلة لـه
إنّ الحيـاة دقـائق وثـوانى

فاعمل لنفسك بعد موتك ذكرها
فـالذكـر للإنسـان عـمـر ثانى

فأعطاك هذا العمر، وقال لك هذه أمانتك ونحن نعدّ عليك وإياك أن تضيّع نفساً منه في غير طاعة الله عز وجل.

التبذير المنهى عنه

﴿ ولا تبذر تبذيراً. إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفوراً ﴾[8].

إننا نفهم (ولا تبذر تبذيراً) في المال فقط، ولكنه في كل شيء، فلا تبذر في الصحة، ولا تبذر في مالك، ولا تبذر في شبابك، ولا تبذر في عمرك. وهذه هي الأشياء التي قال فيها النبي ﷺ:

« اغتنم خمساً قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وغناك قبل فقرك، وصحتك قبل سقمك، وحياتك قبل موتك، وفراغك قبل شغلك»[9].

كل هذا تبذير، وأكبر تبذير فيهم هو التبذير في العمر، لأن الله طالبك في الإنفاق بقوله:

﴿ والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً ﴾[10].

ما هو القوام هنـا؟.

لا يبخل ولا يكون مبذراً. وعلى هذا فلو أنفقت قرشاً واحداً في الشر يصبح تبذيراً وتصبح مسرفاً. وكذا لو أنفقت قرشاً في غير رضا الله عز وجل، فهذا إسراف، ولو ضيّعت مالك كله في الخير هل تكون أسرفت؟ كلاّ، لقول رسول الله ﷺ: «**لا سرف في الخير**»[11].

---

(٨) سورة الإسراء: الآية ٢٧.
(٩) رواه الحاكم والبيهقي عن ابن عباس رضى الله عنهما.
(١٠) سورة الفرقان: الآية ٦٧.
(١١) أخرجه أبو داود.

ولذا لما جاء سيدنا أبو بكر وأحضر كل ما عنده، وقال له ﷺ: ماذا أبقيت لأهلك؟ قال له: أبقيت لهم الله ورسوله. ماذا قال له ﷺ؟ وافق ولم يعترض عليه ولم يقل له الذى فعلته خطأ أو إسراف.

لأن الإنسان لو أنفق كل ما لديه فى الخير لا يكون مبذراً ولا مسرفاً، ولكن لو أنفق قرشاً واحداً فى الشر يصبح مسرفاً.

فكل قرش أشترى به سيجارة يعدّ إسرافاً وتبذيراً، لأنه ليس له فائدة تعود علىّ أو تنفعنى، بل تؤثر على الأنسجة والخلايا فى الرئتين، وتضيق صدرى، وتتلف صحتى ونفسى، ولهذا فكل قرش أنفقه فيها يعتبر تبذيراً وإسرافاً فى نظر الله عز وجل. وأما الذى أنفقه فى الخير فليس بإسراف.

لكن التبذير الشديد يكون فى العمر، فالمال يأتى ويذهب، وقد يكون غير موجود اليوم ويكون موجوداً غداً، لكن العمر واليوم الذى مضى متى يرجع؟! وقد قال ﷺ:

« ما من يوم تشرق شمسه إلاّ وينادى عليك: يا ابن آدم أنا يوم جديد وعلى عملك شهيد، فاغتنمنى فإنى لا أعود إلى يوم الوعيد»(١٢).

الحفاظ على العمر

إذن ماذا أعمل كى لا يضيع عمرى؟.

أنفّذ الحديث الذى قال فيه رسول الله ﷺ:

« إن صحف إبراهيم كلها عبرٌ وأمثال، وحكم ومواعظ، ومما جاء فيها: على العاقل أن يكون له أربع أوقات (أى يقسّم وقته على هؤلاء الأربع) **وقت يناجى فيه ربه، ووقت يحاسب فيه نفسه، ووقت يتفكر فيه**

---

(١٢) ابن حبان.

فى آلاء الله عز وجل، ووقت يسعى فيه على معاشه ويقضى فيه حاجاته»(١٣).

إذن المؤمن الذى لا يريد أن يضيع عمره يقسمه يا إخوانى أربعة أقسام: وقت لله، ووقت للنفس لحساب النفس، ووقت للفكر يشغل العقل فيه بالتفكر فى مخلوقات الله عز وجل، والوقت الرابع لحاجته الضرورية.

العمل لله عز وجل

فالوقت الأول، وعليه المعول، قال فيه الله عز وجل:

﴿ وما خلقت الجن والإنس إلاّ ليعبدون ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين﴾(١٤).

أى لابد أن أتذكر دائماً، أن الله عز وجل لم يخلقنى فى الدنيا إلاّ لطاعته وعبادته، وكل الأشياء التى سخرها لى من الشمس والقمر، والنجوم والأرض، والأشجار والنباتات، والحيوانات والحشرات سخرها لى. لماذا؟.

لأتفرغ لعبادة الله عز وجل، ولأستعين بها على رضاء الله سبحانه وتعالى، ولا أشتغل بهذه الأشياء عن طاعة الله. وهذا الهدف الأول الذى يضعه المسلم فى فؤاده وفى قلبه، فيجعل هذا العمل فى طاعة الله.

وليست العبادة معناها الصلاة فقط، بل أى عمل تعمله لله يصير عبادة، حتى لو كان أكل أو شرب أو نكاح. قالوا: «**يا رسول الله: أيأتى أحدنا**

---

(١٣) أخرجه ابن حبّان عن أبى ذرّ رضى الله عنه.
(١٤) سورة الذاريات: الآيات ٥٦ : ٥٨.

شهوته ويكون له أجر؟ قال: نعم! أرأيت إن وضعها فى الحرام أيكون عليه وزر؟ قالوا: نعم. قال: كذلك إذا وضعها فى الحلال كان له أجر»(١٥).

فطالما يعمل العمل لله، فكل عمل يعمله الإنسان لله صغيراً أو كبيراً أصبح طاعة وعبادة لله عز وجل. ولذلك لم يقل وما خلقت الجن والإنس إلاّ ليصلون، بل قال: ﴿**إلاّ ليعبدون**﴾. والعبادة شىء والصلاة شىء آخر.

فالعبادة معناها أن يكون العمل لله، وأى عمل لله حتى ولو أحلق شعرى لله، أو أريح جسمى برهة حتى أقوم لأمر الله، يصبح النوم عبادة لله عز وجل.

وعندما أسير إلى أى مكان، أو فى أى مكان، إطاعة لله يصبح ذلك العمل عبادة لله. وبذلك يستطيع المؤمن أن يجعل حياته كلها عبادة لله عز وجل.

محاسبة النفس

أما الأمر الثانى، فلابد للمؤمن من أن يجعل له وقتاً يحاسب فيه نفسه. فإذا كان من الضعفاء أمثالى، ففى كل ليلة قبل أن ينام، أى لا ينام إلاّ إذا أتمّ جرْد كشف اليومية الخاص به هذا اليوم. فإذا كان من أهل الصفاء سيراجعها على الكرام الكاتبين. أما إذا كان لم يصل إلى هذه المنزلة فيراجعها على الذاكرة، أى يفتكر ويتذكر ماذا فعله هذا اليوم؟ وما الذى تلفظ به؟.

فيحاسب نفسه عليه، فإن وجد خيراً، حمد الله تعالى على ذلك، ويقوم بشكر الله. وإن وجد غير ذلك، يستغفر الله ويتوب ويندم، والمهم الندم وليس الاستغفار، لأن الاستغفار عبادة، ولكن قال ﷺ:

---

(١٥) أخرجه أحمد ومسلم عن أبى ذر رضى الله عنه.

«النــدم توبة»[١٦].

أى أن التـوبة لا تتم إلاّ إذا ندمت، وحـزنت على مـا فـعلت، وتأثرت وعزمت على ألاّ أعود إلى هذا الأمر مرة أخرى، ثم بعد ذلك استغفر.

ولكن لو أن واحداً أذنب، فقالوا له: استغفر مائة ألف مرة، فاستغفر مليون مرة ولكنه لم يندم على ما عمله، هل يغفر ذنبه يا إخوانى؟ لا. إذن ما أساس المغفرة؟ الندم، أى أنه يندم على ما فعل، فيكون الندم أولاً، وبعده الاستغفار.

ومن هنا نقول: مَن استغفر ولم يندم لا ينفع استغفاره. فاستغفاره يصبح عبادة. لكن أصل التوبة الندم، أى لابد وأن يحسّ بالذنب والتقصير، ويشعر بأنه فرّط فى حق نفسه وحق الله عز وجل.

فإذا تحرك هذا الشعور بين جوانبه، يكون هذا إعلاناً لله عز وجل وإقراراً بالذنب. ومتى أقررت بالذنب غفر الله عز وجل لك هــذا الذنب، لأن كل ما يريده منك أنك تقر بهذا الذنب لحضرته وليس للناس، فيراجع الإنسان نفسه ولو كل ليلة مرة واحدة.

والإنسان الذى يحاسب نفسه بهذه الكيفية، يأتى يوم القيامة ويطبق عليه القرار الإلهى:

﴿ إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب﴾[١٧].

فلا يحاسـبوه. ومثــال ذلك: إذا ذهبت إلى تاجـر يتّقى الله فى عمــله وفى تجـارته، وطلبت منه كيلو لوبيـا مثـلاً لحين تعـود، وذهبت ورجـعت فـوجدته وزن اللوبيا وجهّـزها لك، وقال لك: انتظر لأعيــد وزنه أمامك. فإنك تقول له: لا يا أخى، أنا لا أخـوّنك، فإذا خوّنتـك أنت فأين الأمانة؟

---

(١٦) رواه أحمد وابن ماجه عن ابن مسعود رضى الله عنه.
(١٧) سـورة الزمر: الآية ١٠.

أنت رجل ذمتك معروفة، وأنت داخل فى قول رسول الله ﷺ: **«التاجر الصدوق الأمين مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين»**[١٨].

والإنسان الذى يقوم بعمله لوجه الله خير قيام، رئيس عمله لا يحاسبه، وإن كان يحاسب الباقين. لماذا؟ لأنه يرى أنه رجل مجتهد فى عمله.

وكذلك الأمر يا إخوانى مع الله عز وجل، وهو أكرم الأكرمين، وأجود الأجودين. فالذى يحاسب نفسه هنا فى الدنيا فى كل طرفة يطرفها، وفى كل حركة يتحركها، وفى كل سكنة يسكنها يحاسب نفسه عليها فى هذه الحياة، هل يحاسبه الله عز وجل يوم القيامة؟.

لا. هذا ليس له حساب، وإنما يوفون أجورهم بغير حساب. فيدخلون الجنة قبل أن تنصب الموازين، وقبل أن ينصب الصراط، وقبل أن توزع الكتب، لأن الله عز وجل يخرجهم من القبور إلى القصور، وليس لهم شأن بالحساب ولا الميزان ولا الصراط، لأنهم حاسبوا أنفسهم حساباً دقيقاً فى الدنيا، كما قال سيدنا عمر رضى الله عنه وأرضاه:

«حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم».

فلابد للمؤمن يا إخوانى أن يكون له وقت يحاسب فيه نفسه، ولو كل ليلة مرة، أما الرجال الأقوياء، فالواحد منهم يحاسب نفسه كل لحظة. فلا تمر عليه لحظة إلاّ ويحاسب نفسه عليها، ولا يعمل عملاً، ولا يتحرك حركة إلاّ وحاسب نفسه عليها حساباً شديداً وعتيداً، لأنه يخشى الله عز وجل، وهؤلاء هم العلماء الذين يخشون الله ويراقبونه فى السر والعلانية.

---

(١٨) رواه الترمذى عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه.

عبادة التفكر

وهذا التفكر عبادة سيدنا رسول الله ﷺ، التى عليها أساس الحياة الإيمانية. فنحن كلنا والحمد لله نصلى ونصوم ونقرأ كتاب الله، وبعضنا وفّقه الله للحج، والذى عليه زكاة يخرجها لكن هذه الأعمال كلها فى تفاوت فى درجات العاملين لها، فليسوا مثل بعضهم البعض كما قال ربنا:

﴿ هم درجات عند الله ﴾(19).

هذه الدرجات كيف تأتى؟.

على حسب حضور القلب عند العمل. فالذى يصلى وعقله وقلبه فى البيت أو فى الغيط، غير الذى يصلى وقلبه وعقله يتفكر فى كلمات القرآن التى يقرأها، وغير الذى يصلى ويستحضر الموت وأنه جائز أن تكون آخر صلاة له ويصلى صلاة مودّع، وغير الذى يصلى ويفكر فى الحساب والعرض على الله عز وجل، وغير الذى يصلى ويفكر فى الخاتمة وهل يصبح من أهل الجنة أم من أهل النار؟.

درجات ودرجات، وكلها مبنية على حسب التفكر. فالتفكر هو التيار الذى يشحن القلوب، ويهيؤها لحضرة علام الغيوب عز وجل. فكلما يفكر الإنسان فى هذه الأحوال، ويحاول أن يؤدى الطاعة على هذه الهيئة، تصبح طاعته أكثر تقى، وأكثر خوفاً، وأكثر رجاءً فى الله عز وجل، مثلما وصف ربنا عباد الله الصالحين فى كتابه:

﴿ يدعون ربهم خوفاً وطمعاً ﴾(20).

فأثناء الدعاء، وأثناء الصلاة، يتقلّب القلب بين الخوف من غضب الله، أو الخوف من عذاب الله، أو الخوف من الجحيم الذى جهّزه الله، أو الخوف

---

(19) سورة آل عمران: الآية ١٦٣.
(20) سورة السجدة: الآية ١٦.

من الحســاب يوم لقــاء الله، أو الخوف من ســوء الخاتمة والعيــاذ بالله. وكل هــذه أنواع من أنواع الخــوف الذى يتــوارد على قلوب الخائفين، وهم بين يدى رب العالمين عز وجل.

وكذا هو طامع فى رضا الله، أو طامع فى النجاة يوم لقاء الله، أو طامع أن يأخذ الكتاب بيده اليمنى، أو طامع فى أن يكون من الذين يدخلون الجنة بغيـر حسـاب، أو طامع فى أن يكون من الذين لا خـوف عليـهـم ولا هـم يحزنون، أو طامع فى فضل الله وفى كرم الله وفى عطاء الله. وكل هذا يأتى من التفكر.

ما الذى جعــل المعــاصى زادت فى مجتمعنا فى هــذا الوقت، وخاصة بين شبابنا وبين فتياتنا؟.

لأن أحــدهم لـم يفـكر فى المـوت، ولا يفـكر فى وجـود جنـة أو نار، أو فى وجود يوم سيحاسبه فيه الله على ما قدمت يداه، لكنه لو فكر فى هذه الأمور لا يقع فى الذنب أبداً.

ما الذى يمنع الإنسان من الوقوع فى الذنب؟.

الخـــــوف.

﴿ ولمن خاف مقــام ربه جنتــان ﴾[٢١].

فالذى يخاف مقام الله له جنتان اثنتان.

وهذا الخوف من أين يأتى؟.

من التفكر فى هذه الأمور.

لذلك التفكر يا إخوانى عبادة أصلية فهو فرض علينا جماعة المؤمنين مثل الفرائض الخمس، ومثل الصلوات الخمس، وليست سنة ولا نافلة.

---

(٢١) سـورة الرحمن: الآية ٤٦.

لأنها عبادة أصلية، لابد لنا من نصيب فيها، وقد قال فيها ﷺ:

«لا عبـادة كالتفـكر»(٢٢).

أى لا عبادة أبداً فى النوافل التى نعملها، كالذى يقرأ القرآن كل ثلاثة أيام مرة، أو الصائم الدهر كله، أو الذى يقوم الليل كله.

كل هذه الأعمال لا تساوى شيئاً بجانب تفكر لحظة فى مخلوقات الله، أو لحظـة تفكر فى المـوت، أو لحظـة تفكر فى الحسـاب، أو لحظـة تفكر فى الجنـة والنـار، أو لحظـة تفكر فى حسن الخاتمـة أو سـوء الخاتمـة. لأن التفكر هو الذى يبعث القلب على الحضور فى العبادة لله عز وجل.

وهذه العبادة كم أجرها؟.

قال ﷺ:

« ساعة تفـكر تعـدل عبـادة سـنة »(٢٣).

والساعة يعنى اللحظة. أى لحظة تفكر تساوى عبادة سنة، ليلها قيام ونهارها صيام لله عز وجل.

فلابد للمؤمن من أن يكون له نصيب فى هذه العبادة –عبادة التفكر– سواء كان ماشياً فى الطريق، أو راكباً أو قاعداً. ولو أقبل على هذه العبادة وسـار فيهـا بعض الشىء، فسيجد حياته كلهـا تفكر وتذكر فى عظمة الله عز وجل، فكلما تمر أمامه حادثة يأخذ منها العظة، لأنه يتفكر فى كل ما يقع أمامه، وكل أمر من الأمور يأخذ العظة منه، لأن جهاز التفكر الإلهى عنده يعمل، ويكون ماشياً وينطبق عليه قول الله عز وجل:

﴿ فاعتبروا يا أولى الأبصـار ﴾(٢٤).

---

(٢٢) أخرجه ابن ماجه والطبرانى عن أبى ذر.

(٢٣) أخرجه السيوطى فى الجامع الصغير عن ابن عباس وأبى الدرداء.

(٢٤) سـورة الحشر: الآية الثانية.

فهو دائماً يعتبر، وكلما رأى شيئاً يعتبر منه، فيبتعد عن المعاصى وينزجر عنها، ويستكثر من الطاعات ويزيد منها، لأنه طالب لرضاء الحميد المجيد عز وجل.

وهذه العبادة نريد أن نعلمها لأولادنا وبناتنا، فدائماً ونحن جالسين معهم فى المنزل نفكرهم ونذكرهم، وننمى عندهم ملكة التفكر، ونضرب لهم أمثال، ونحكى لهم عظات من السلف الصالح وقصصهم، والأنبياء وحياتهم فهم محتاجون لهذه الأشياء فى مسيرتهم الدنيوية، لأن أمامهم التليفزيون وأمامهم المجلات، وهم لغفلتهم يعتقدون أن هذه هى الحياة التى يجب أن يحتذوها، وما دروا أنها المعنية بقول الله:

﴿ ما هى إلاّ حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلاّ الدهر ﴾(٢٥).

هذه والعياذ بالله – حالة جماعة الكافرين، لكن يا إخوانى الكارثة أن العدوى أصابت المؤمنين والمؤمنات، ولأجل هذا كثرت المعاصى والمخالفات.

ما الذى يردّهم إلى حضرة الله؟.

إننا نفكرهم بهذه الأمور ونعظهم.

وبم نعظهم؟.

نفكرهم بالموت، ونعطيهم الأمثال.

فإذا كان معه مال، نضرب له الأمثال بالذى كان معه مال، ومال به المال إلى الهاوية والضلال، ولم ينفعه يوم لقاء الله عز وجل، ونفكره بالحساب، وماذا سيدور فيه؟ وبالموت وماذا سيجرى عليه فيه؟ لأن الإنسان إذا تفكر فى هذه المعانى، تمنعه يا إخوانى من المعاصى وتدفعه إلى طاعة الله عز وجل،

---

(٢٥) سورة الجاثية: الآية ٢٤.

وترقّيه أثناء الطاعة، ويصبح من أهل المقامات العالية الذين يمتدحهم الله ويثنى عليهم فى كتابه:

﴿ **الذين هم فى صلاتهم خاشعون** ﴾[٢٦].

ولا يخشعون إلاّ إذا استحضروا عظمة الله، واستحضروا لقاء الله، واستحضروا الموت، واستحضروا الخاتمة. هذه المعانى هى التى تجعل الإنسان يخشع وهو فى الصلاة.

لكن الذى يصلى ويتفكر فى البيع، فهو يصلى ولا يعرف هل قرأ الفاتحة أم لا؟ أو قرأ التشهد أم نسيه. فهو يصلى ولا يدرى كم صلّى؟ ثلاث أو أربع ركعات، إلاّ إذا كان فى جماعة فصلّى مثلهم، وحتى لو أخطأ الإمام لا يدرى، فهو مع الجماعة بجسمه فقط. لماذا؟ لأنه يفكر فى أمر دنيوى.

لكن ما الذى يجعل الإنسان يخشع؟.

إذا كان يفكر فى أمر من أمور الآخرة، أو أمر يستحضر فيه مظهراً من مظاهر عظمة الله عز وجل. لذا لابد للإنسان أن يغذى عقله، ويغذى قلبه، ويغذى روحه بالتفكر فى آيات الله الواحد الأحد الفرد الصمد، ليعتبر وينزجر. ولابد للمؤمن أن يكون له قدر أو قبس من هذه العبادة فى كل يوم وليلة.

ضرورات الحياة

وبعد هذا فالوقت الأخير لنفسه ولحاجاته الضرورية. ومادام هو قائماً بالأوقات السابقة، فحتى السعى على معاشه يصبح عبادة.

وإن من الذنوب ذنوباً لا يكفرها إلاّ السعى على المعاش. وحتى المبيت يكون كما قال ﷺ:

---

(٢٦) سورة المؤمنون: الآية ٢.

« من بات كالاً من عمله بات مغفوراً له »[٢٧].

أى فاليوم الذى يبيت فيه مجهداً من العمل فى السعى على المعاش، يبيت فيه وقد غفر الله عز وجل له ذنوبه. وكذا العمل الذى يعمله لأولاده، حتى ولو يداعبهم أو يلاعبهم، كل هذا يصبح عبادة لله عز وجل، لأنه يتأسّ فيه بسيدنا ومولانا رسول الله ﷺ.

وكذلك الوقت الذى يزور فيه مريضاً، أو يشيّع فيه جنازة، أو غيرها من أصناف البرّ، يصبح كله لله عز وجل، لأن هذه الأوقات ليس فيها وقت للهو، ولا وقت للعب، فالدنيا للمؤمن كلها طاعة لله عز وجل إذا كان المؤمن ليس عنده وقت للهو ولا للعب.

فالمؤمن فى هذه الحياة الدنيا، إنما يفعل ما أُمرَ به سيدنا ومولانا رسول الله ﷺ:

﴿ فإذا فرغت فانصب وإلى ربك فارغب﴾[٢٨].

فإذا فرغ من العمل، ومن ضروراته، ومن متطلبات أهل بيته، فإنه فوراً يتجه إلى الله عز وجل، ولا يضيّع وقتاً فى غير طاعة الله وفى غير عبادة الله وفى غير ذكر الله، حتى لا يندم يوم لقاء الله ولا ينفعه الندم فى ذلك اليوم.

ولهذا فالإمام الشافعى رضى الله عنه وأرضاه يقول: صحبت الصوفيه سنتين، فاستفدت منهم كلمتين:

الأولى: (الوقت كالسيف إن لم تقطعه قطعك).

فالوقت سيمر حتماً، فإذا مرّ فى طاعة الله عز وجل تصبح قِطَعته إلى الله، وإذا مرّ فى الغفلة والحجاب، والمعاصى والملاهى يصبح قَطَعك عن القرب من الله وعن نيل رضاء الله عز وجل. وأنت منذ ولدتك أمك،

(٢٧) رواه ابن عساكر عن ابن عباس رضى الله عنه.
(٢٨) سورة الشرح: الآيتان ٧، ٨.

تعمل على هدم عمرك، فكل يوم يمر عليك، فقد مر يوم من عمرك وقد قربت يوماً من الدار الآخرة ومن لقاء الله عز وجل.

والحكمة الثانية: (نفسك إن لم تشغلها بالحق شغلتك بالباطل).

فهى طالبة أن تنشغل فى أى شىء، فإذا لم تُجلسها فى مجلس علم، فإنها تريد أن تجلس فى مجلس غيبة أو نميمة. وإن لم تجلسها مع كتاب الله، تجدها ترغب أن تجلس مع التليفزيون وترى أشياء قد نهى الله عنها، أو أشياء تغضب الله، أو أشياء تشغل عن ذكر الله وعن الصلاة. وإذا لم تعد بها مريضاً أو تشيّع بها جنازة، فستشغلك بأى أمر من الأمور الفاسدة أو الهابطة التى نهى الله عنها.

وبذلك يا إخوانى تصبح حياة المؤمن غير موجود فيها اللهو ولا اللعب، لأن هذه هى الحياة الدنيا. والدنيا من الدناءة والأمور الدنيئة، والمؤمن ينزّه وقته عن الأمور الدنيئة. قال ﷺ:

«علو الهمّة من الإيمان».

فالمؤمن همته عالية ويرغب ألا يشغل نَفَساً من أنفاسه إلاّ فى العبادات العالية، والأعمال الراقية، والأحوال السامية، التى ترضى الله عز وجل.

نسأل الله سبحانه وتعالى أن ينفعنا بما علّمنا، وأن يرزقنا العمل بما علّمنا، وأن يوفقنا لطاعته ورضاه، وأن يرزقنا الخشية والسكينة فى كل نفَس من أنفاسنا فى هذه الحياة، وأن يجعلنا من عباده الذاكرين الشاكرين، ويوفقنا لطاعته أجمعين، حتى نخرج من الدنيا لحضرته فرحين مستبشرين، وننعّم فى الآخرة فى جوار سيد الأولين والآخرين، ونكون فى الموقف العظيم من الفائزين، وفى الجنة من الناظرين إلى وجه ربنا الكريم.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.



حقيقة التوبة وأنواعهـــا

- ★ الذكر الحقيقى
- ★ حسنات الأبرار سيئات المقربين
- ★ أصناف التوبة
- ★ توبة أهل الفنـاء
- ★ الحاجة إلى التوبة

ألقيت هــذه المعانى العالية بمنزل الأخ/ السيد منسى بيلهاسة مركز مغاغة بالسهرة مساء يوم ١٩٩٣/٨/٤م



حقيقة التوبة وأنواعها

أنشد المنشد قول الإمام أبو العزائم رضى الله عنه:

اذكــر الله إن نـســيـت ســـواه
قـــل بـقـلـب فـى الـذكـر يـا الله

لا تـعـلّق بـالـقـلـب غـيـــر إلـه
قـــد تجـلـى لـلـعـــالمين هُـــداه

ذكـر أهـل الـصـفـا شـهـود حـضـور
غـــافـل الـقـلـب شـــغـلـه ألْهـــاه

يـعـبـــد الله كى ينـــال جنـــاناً
أو عـــطـــاءً والله جـــلّ عُـــلاه

ذلـك الحـق يـعــرف الحـق قــوم
قـد صــفـاهـم لـه فـنالـوا رضـــاه

رب خُذنـا إلـيـك بـالحـب جــذباً
وامـنـحـنـا بـالجـــذب بـاب رضـــاه

رب واشــرح صـــدورنـا يَسّر أمـــوراً
وامـنـحـنـا بـالجـــذب مـــا نـهـــواه

وقوله رضى الله عنــه:

كـلـى ذنـوبٌ أعطنـى الـغـفـــران
واقـــبـل مـتـــابـى وامـنح الـرّضْوان

زكّ إلـهـى النّفس فـضـلاً بـالـهـدى
طـهّـــر إلـهـى الـقـلـب ثـم أمـــان

هبّنا إلهى العفو فضلاً بالرضا
حتى نرى الغفار والرحمن
إنى استجرت بحبّ قلبى المصطفى
طه الذى قد فَهّم القرآن
أنت الشفيع المرتجى ووسيلتى
أنت الغيّاث لمن أتى حيّران
فاشفع لأدخل جنة الفردوس فى
روحٍ وريحان نرى المنّان
أنت الشفيع وأنت نور قلوبنا
أنت الغيّاث لعائذٍ حيران

فقال عفا الله عنه:

كلى ذنوبٌ فامنح الغفران
واقبل متابى وامنح الرضوان

لا تحسبوا أن هذا الكلام يقوله الصغار فقط، أبداً بل يقوله الصغار والكبار وكبار الكبار. فمثلما يقول الصغير: كلى ذنوب، فالكبير يقول: كلى ذنوب، والقطب يقول: كلى ذنوب، والغوث يقول: كلى ذنوب. حتى النبى ﷺ كان يستغفر ويتوب فى اليوم مائة مرة. إليس كذلك؟.

يقول ﷺ: «**إنى أتوب إلى الله فى اليوم مائة مرة**»[1]. وقد وضح ذلك فى حديث آخر، فقال ﷺ: «**إنى ليغان على قلبى فأستغفر الله فى اليوم والليلة مائة مرة**» [رواه مسلم عن الأغرّ المزنى].

فنحن ليس مهماً أن يأتى على قلوبنا الغيّن. والغيّن أى الغطاء، لكن ما الذى يغطّى على قلبه ﷺ؟.

---

(١) رواه البخارى والطبرانى عن أبى هريرة رضى الله عنه.

لقد احتار سيدى أبو الحسن الشاذلى رضى الله عنه وأرضاه فى هذا الأمـر، فنحن يغطى على قلوبنا الدنيـا والمصالح، والفلوس والأهـواء. لكن ما الذى يغطى على قلب رسول الله ﷺ ؟.

إنها الأنوار والجمال والكمال، فلا يرى ما حوله من الجمال الذى فيه. مثل الرجل الذى يسأل: كيف سـها رسـول الله ﷺ ؟ فقام الرجل الصالح وقال له:

يا سائلى عن رسول الله كيف سها؟
والسـهـو من كل قلب غـافل لاهى
قـد غـاب عن كل شىء سره فسـهـا
عـمّا سـوى الله فـالتـعـظيـم لله

الذكر الحقيقى

فقد سها عن غير الله، مثلما نقول: ﴿**واذكر ربك إذا نسيت**﴾[٢].

فالذين لا يلحظون المعانى، إذا قرأ القارىء: ﴿**واذكر ربك إذا نسيت**﴾ يقـولون لا إله إلا الله، لا إله إلا الله. أمـا الإمـام أبو العـزائم فيـقـول: ليس المقصـود بالذكر هنـا، الذكر بعـد الغفلة أو النسـيان أو السـهو، لكن الله عز وجل يريد أن يوضح لنا أن الذكر الحقيقى لا يكون إلاّ إذا نسيت غيره وتفكرت فيه فقط. فهذا هو الذكر الحقيقى.

ولذلك إذا ذكرت وأشركت معه غيره لا يصح، لقوله سبحانه: «**أنا أغنى الأغنياء عن الشرك**»[٣].

(٢) سـورة الكهف: الآية ٢٤.
(٣) مسلم وابن ماجه ومالك من حديث أبى هريرة رضى الله عنه.

إذن كيف يكون الذكر الحقيقى؟.

اذكر الله إن نسيت سواه، إذا نسيت سواه يصح الذكر.

اذكــــر الله إن نـســـيت ســـواه
قــل بـقـلـب فـى الـذكـــر يـا الله

هذا هو الذكر. ومتى تكون قد ذكرت؟.

إذا لم يكن في القلب إلاّ هو، وهذا ما قاله فى الحديث القدسى الذى يقول فيه: «**أنا لا أقبل دعاءً من قلب لاهى**»[٤].

فالقلب الذى فى لهـو لا يقبـل الله عـز وجـل دعاءً من صاحبـه، لأنه لا يقبل الدعاء إلاّ من قلب اشتغل به عز وجل فقط.

﴿ **إنّ الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون**﴾[٥].

فملك الملوك إذا دخل قرية القلب، يفسدها على الشياطين، ويفسدها على النفوس، فلا يستطيعوا أن يوسوسوا فيه، أو يأتون بالخواطر والأهواء المردية فيه، لأنه قال سبحانه: ﴿**ليس لك عليهم سلطان**﴾[٦].

فإذا دخلت أنوار الحق قريتك، أفسدتها على الشياطين، وعلى الأهواء والحظوظ، ولا أحـد يستطيع أن يمسّـها. والذين كان لهم العـزة فيهـا -وهم النفس والشـيطان- يصبحون هم الذين لهم الذلة ويصبحون هم المهـانون وهم فى الأرض دائماً.

فالذكر الحقيقى هو الذى يذكر فيه الإنسان فى غيبة عمّا سوى حضرة الديان. وهذا الذى يقول فيه الشيخ أبو اليزيد البسطامى رضى الله عنه وأرضـاه:

(٤) رواه الترمذى والحاكم عن أبى هريرة رضى الله عنه.
(٥) سورة النمل: الآية ٣٤.
(٦) سورة الحجر: الآية ٤٢.

«لو قال العبد سبحان الله مرة واحدة بصفاء قلب، خالياً من حظّ النفس، حاضراً مع حضرة الرب، لأغنته فى دنياه وفى أخراه».

لكن مَن الذى يصل إليها؟.

الذى يصل إليها هم الرجال، الذين يقول فيهم رسول الله ﷺ:

«إن من أمتى رجال التسبيحة من أحدهم كجبل أحد»[7].

التسبيحة الواحدة مثل جبل أحد. إذن ليس كل الرجال مثل بعضهم، وهذا التفاوت من أين يأتى؟.

على حساب القلب.

فسيدى أبو الحسن الشاذلى -كى لا تنسوا- لما احتار وتساءل فى نفسه: ما الغيّن الذى يأتى لرسول الله ﷺ؟ رأى رسول الله ﷺ فى المنام، فقال له:

يا سيدى لقد احترت فى الحديث الذى تقول فيه: «**إنى ليغان على قلبى فاستغفر الله وأتوب إليه فى اليوم مائة مرة**».

فقال له: غين الأنوار يا مبارك وليس غين الأغيار، غين الأنوار يا مبارك وليس غين الأغيار.

وما الأغيار؟.

كل شىء غير الله نسميه غَيْر. فأى شىء غير الله، يحجب القلب عن الله، يصبح غيراً.

(٧) أبو الشيخ فى العظمة.

فالأنوار الإلهية، أو سواطع أنوار العزة، أو لوامع أنوار الجبروت، أو سنا حضرة الحيّ الذى لا يموت، عندما تسطع على القلب والفؤاد، تجعل صاحبه فى غيبة عن العباد، وعن البلاد، وعن الجبال، وعن الوهاد، حتى لو نادوا عليه لا يسمع صوتهم، لأنه مشغول بالله عز وجل بكله.

ومع هذا فصاحب هذا الحال يقول مثل ما نحن نقول: كلى ذنوب فامنح الغفران، أى يا رب اعطنى الغفران. لماذا؟ لأن الذنوب تتفاوت على حسب المقامات، وعلى حسب المنازلات، وعلى حسب الوقائع والمواجهات، حتى قالوا: «حسنات الأبرار سيِّئات المقربين». أى أن الفعل الذى يفعله الأبرار، ويرون أنه حسناً، فالمقربون يتوبون منه.

وليست التوبة كما نفهمها، التوبة من الذنوب التى هى المعاصى الظاهرة فقط، لكن المعاصى الظاهرة التى ترتكبها الجوارح يتوب منها أهل الإسلام. أما أهل الإيمان فيتوبون من النظرة ومن الكلمة ومن الهفوة التى ارتكبوها بأيديهم أو بأرجلهم، أو بأى جارحة من الجوارح.

والذى يتوب من هذه الذنوب، قال له ﷺ: **«إذا تاب العبد أنسى الله الحفظة ذنوبه، وأنسى ذلك جوارحه وأنسى ذلك معالمه من الأرض حتى يلقى الله وليس عليه شاهد بذنب»**[٨].

فإذا ارتقى وأقبل على الأعمال الصالحة، أصبح عاملاً لله. وأيضاً أصحاب رسول الله ﷺ كانوا يعملون ليل نهار، ويأتون آخر الليل بعدما قضوا الليلة فى العبادة — الذى هو مثلى لو قضى ليلة فى العبادة، يأتى آخر الليل ويريد أن يلبسوه تاجاً ويطوفون به البلاد، ويقول فعلت مالم يفعله أحد، فأنا هذه الليلة قضيتها وأحييتها فى ذكر الله، وفى طاعة الله، والنفس تحسّ بهذه

(٨) رواه ابن عساكر عن أنس.

الحكاية، أليس كذلك؟ يريد أن يقول يا من لم تر انظر فأنا الليلة لم أنم وعملت وسويت!! - لكن أصحاب رسول الله ﷺ يقول الله فيهم:

﴿ والمستغفرين بالأسحار﴾(٩).

من ماذا يستغفرون؟.

من رؤية العمل، وهذا هو المقام الأعلى، أو من رؤية التقصير فى العمل، وهذا هو المقام الأدنى.

وحتى الذى يعمل الصالحات، لو صَدَق مع نفسه ووزنها بصنجة الإخلاص، أو بميزان الصدق، يجد نفسه غير آمن على طاعة أو على عبادة. لذا نجده يستغفر ولا يستريح باله، لأن الشأن شأن القبول وليس شأن العبادة، فالمهم هو القبول.

وقد علمنا رسول الله ﷺ أن نقول عقب الصلاة: أستغفر الله العظيم الذى لا إله إلاّ هو الحىّ القيوم وأتوب إليه، أستغفر الله العظيم الذى لا إله إلاّ هو الحىّ القيوم وأتوب إليه.

ولكن مم نستغفر يا رسول الله ونحن خارجين من الصلاة؟.

من التقصير.

هل يوجد أحد منا يستطيع أن يصلى الصلاة المضبوطة التى يريدها الله؟.

كلنا نقصر ونسهو فى الركوع، أو السجود، أو القراءة، أو التشهد. مَن منا لا يسهو؟.

من ذا الذى ما ساء قط
ومن له الحسنى فقط؟

أين هو؟.

---

(٩) سورة آل عمران: الآية ١٧.

كلنا نسهو. فمم نستغفر؟.

من التقصير فى الصلاة، ونقول له: نحن عملنا مافى وسعنا، لكننا غير مستطيعين للتمام، فأنت عفواً تقبلها منا على عيبها، ونحن نتوب إليك من التقصير والهفوات والغفلات التى تحدث فى الصلاة.

والذين هم فى مقام أرقى من هذا، قالوا إنهم يصلون الصلاةِ المضبوطة، ولكن كونى أرى أنى عملت عملاً صالحاً وأعجبت به، فهذا العجب مرض وغرض، يجب أن ينتبه له الإنسان الصادق، ويتوب منه، لأن ربنا عاتب المؤمنين لما أعجبوا بأنفسهم:

﴿ **ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئاً** ﴾[10].

فيما يعاتبهم هنا؟.

إنهم فرحوا بأنفسهم. فإذا فرحت بنفسى، وبطاعتى وعبادتى، فهذا ذنب لابد أن أتوب منه.

وهذا ذنب ليس هيّناً. فصاحب هذا الذنب يرى أن الوقوع فى معاصى الجوارح، أهون من هذا الذنب، وهذا الذنب أشد من معاصى الجوارح فى نظره.

ومن هنا فمن لم يحسّ بقيمة الذنب، تصبح توبته لا تنفع. لأن هذا الذنب بسببه طرد إبليس. ماذا عمل؟ هل زنى؟ أم سرق؟ أم قتل؟.

لم يفعل شيئاً من هذه الكبائر، لكنه فعل أكبر منها، فقد فرح بنفسه وقال: ﴿ **أنا خير منه** ﴾[11].

فرأى نفسه أنه أحسن منه. إذن هذا الذنب ألعن من هذه الكبائر التى أشرنا إليها.

---

(١٠) سورة التوبة: الآية ٢٥.

(١١) سورة ص: الآية ٧٦.

فصاحب الذنب الذى هو فَرِحٌ بعبادته وبطاعته، هـذا يرى أن المعصية فى نظره أكبر وأقبح عند الله عز وجل من معاصى الجوارح.

كيف؟.

لأن معاصى الجوارح يمكن أن يقع فيها الإنسان رغماً عنه. والذى يعمل معصية من معاصى الجوارح أحياناً يفعلها وهو نادم - أى أثناء عملها يكون عنده إحساس بالخطأ والندم، وبعد العمل تضيق عليه الدنيا بما رحبت، وتضيق عليه نفسه، ويظن ألاّ ملجأ من الله إلاّ إليه. لكن الذى فرح بطاعته وعبادته، هذا مسرور وليس قلقاً أو متعباً، وغير حاسس أنه عمل عملاً يغضب الله، بل إنه مسرور، وهـذه الكارثة التى تدخل منها النفس لكى تحبط عمله.

أما أهل الإنكسار، وأهل الخوف من مقت الله الواحد القهار، فيحسون أن هذا ذنب كبير، لابد أن يتوبوا منه إلى الله عز وجل.

مما يتوبون؟.

من الإعجاب بالعمل، ومن الارتياح إلى العمل.

والكارثة الكبرى إذا النفس دفعته إلى المباهاة بالعمل، لأن هذه مصيبة أخرى كبيرة. إذن إذا باهى أنه يعمل كذا وكذا، فهـذه مشكلة كبيرة، إذ كيف يباهى بالعمل؟! لماذا ؟.

لأنى عملت العمل، لكننى لا أضمن القبول، فالقبول على الله عز وجل. والمباهاة حددها لنا سيدنا ومولانا رسول الله ﷺ وقال فيها: **«إنى مباهى بكم الأمم»**[12].

متى؟.

«يوم القيامة»[12].

(١٢) رواه ابن مردويه فى تفسيره والبيهقى عن ابن عمر رضى الله عنهما.

إذن لا توجد مباهاة فى الدنيا، فأنت فيها تجهز نفسك، والمباهاة كلها أجّلها إلى هناك. فإن الدنيا كلها لا يوجد فيها شيء يجعل الواحد منا يباهى به. فالمباهاة كلها أجّلها إلى يوم الدين. لأن هذا اليوم هو الذى سيكون فيه المباهاة الحقيقية أمام الخلائق أجمعين.

إذن مم يتوب الإنسان يا إخوانى؟.

أصناف التوبة

إذن يصبح هناك فرق بين الذى يتوب من الذنب، والذى يتوب من رؤية التقصير فى العمل الصالح، والذى يتوب من الإعجاب بالعمل الصالح، والذى يتوب -وهذه منزلة أخرى عالية وراقية- من الغفلة. فهو يتوب لو غفل ولو لحظة عن حضرة الله عز وجل.

مَن منّا يا إخوانى يحس بهذا الذنب؟.

هل أحد منّا يحاسب نفسه أن هذا ذنب؟.

لا، لكن هؤلاء القوم يحاسبون أنفسهم على أن هذا ذنب كبير.

هفوة العارفين أكبر ذنب
فابذل النفس تُمنح الرضوان

فاللحظة التى يغفل فيها عن الله، يرى أن هذا ذنب كبير، فيتوب إلى الله منه، ويحاسب نفسه قائلاً لها:

كيف أغفل عنه لحظة؟.

أم كيف أنساه طرفة؟.

أم كيف أغيب عن ذكره برهة من الزمن؟ هل هذا يصح؟.

طبعاً هذا يا إخوانى مقام عال جداً، لأن صاحبه يحاسب نفسه على النفَس، فكل نفَس يغيب فيه عن الله طرفة عين يحاسب نفسه عليه، حتى وصل الأمر بإمام من أئمة أهل الشريعة، جمع بين الشريعة والحقيقة -وإن كان ظلمه حسّاده فنسبوه إلى الشريعة فقط- وهو الإمام أحمد ابن حنبل رضى الله عنه وأرضاه، بلغ به الأمر إلى أن قال: «لولا أن رسول الله ﷺ اغتسل من الجنابة ما اغتسلت منها، لشدة حضورى مع الله فى هذا العمل».

إذن لماذا نغتسل نحن من الجنابة؟.

لأنه فى هذه اللحظة، النفس الحيوانية تكون لها الغلبة والسيطرة، فينس الإنسان فى هذه اللحظة ذكر مولاه عز وجل، فيغتسل ويتطهر من جنابة الغفلة، حتى يذكر مولاه على طهارة، ويتوب من الغفلة فى هذه اللحظات، وإن كان قد سمّى فى البداية، لكنه إذا استغرق فى العمل نسى، لتلبسّه بالحالة الحيوانية.

لكن هؤلاء الناس لا يوجد عندهم هذا الكلام، حتى فى هذه الحالة لا يغيب عن الله عز وجل، ولا ينس الله عز وجل.

يقول الإمام أبو العزائم رضى الله عنه فى ذلك:

لست أنساك لحظة يا حبيبى
كيف تنس وأنت باب هباتى
لست أنسك طرفة يا حبيبى
أنت فى القلب بل وكل الجهات

ويقول أيضاً:

أنا حاضرٌ وحبيب قلبى لم يغب
نَفَساً فما هذا الغرام البادى

فأهل الحضور يا إخوانى مم يتوبون؟.

من كل نَفَس يغفلون فيه عن حضرة المذكور عز وجل، وهذا ذنب آخر غير الذنوب التى نتكلم عنها.

توبة أهل الفناء

يوجد حالة أخرى أعلى مما تقدم، ولكن هل تستطيعون فهمها؟ عموماً الذى لا يستطيع فهمها يسلمها لأهلها على كل حال.

هذه الحالة هى التى يسمونها حالة الفناء. فأهل الفناء الذين يفنيهم الحق سبحانه وتعالى عن ذواتهم، وعن شهواتهم، وعن أهوائهم، وعن مراداتهم، وعن نورهم، وعن وجودهم، بيقينهم به عز وجل.

فإذا استحضر أحدهم وجوده فى نَفَس من الأنفاس فى حضرة الحق يتوب من هذا المشهد، لأن هذا المشهد يقول الله عز وجل فيه:

﴿ كل مَن عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام﴾[13].

فلا يرى بقاءً إلاّ بقاء الله، ويستمد بقاءه فى هذه الحالة من الله، وهذه حالة ذوقية يا إخوانى، لا تحْسن العبارات الحديث عنها، وإنما ذكرناها ليعلمها إخواننا بارك الله فيهم أجمعين. فهذا إذا أحسّ أن له كيان، أو له مال، أو له حاجة مع سيده ومولاه، يتوب من هذه النسبة.

﴿ قل إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين﴾[14].

وهذه أيضاً فى الآية الثانية:

﴿ إنا لله﴾[15].

---

(١٣) سورة الرحمن: الآيتان ٢٦، ٢٧.

(١٤) سورة الأنعام: الآية ١٦٢.

(١٥) سورة البقرة: الآية ١٥٦.

أى إنا كلنا، فهو يتحدث عن مملكته، أى إنا بعقولنا وأرواحنا وحقائقنا، وأموالنا وأولادنا وأزواجنا، كل هذا لمن؟ لله.

ذاهبين كلنا إلى أين؟.

لله ﴿ **وإنا إليــه راجعــون**﴾[١٥].

وأيضاً أصحاب المشاهد العالية، كلما تفضلوا عليه بمشهد من المشاهد الراقيــة، رأى أن المشـــهد الذى كان فيــه، كان يحجبه عن أنوار خاصــة من خالقه وباريه، وعن تجليات خاصة يتجلى بها الله لذويه، فيتوب من المقام الذى كان فيه، والحال الذى فيه لله عز وجل.

والعارفون لا ينقطع ترقّيهم إلى الله عز وجــل فى كل أنفاسهم، ســواء فى الدنيــا، أو فى البرزخ، أو فى القيامة، أو فى الجنــة. فلا يوجــد ثبات. ففى الدنيا فى علوّ، وفى البرزخ فى رقى، وفى الآخرة فى ازدهار، وفى الجنة فى ارتفاع دائم.

فى كل نَفَس لهم نور يواجـهـهـم
من حضرة الحق تحقيقاً وتيقيناً

فى كل نفس ماذا يحتاج؟ لتوبة.

توبة من ماذا؟.

على حسب المشهد الذى هو فيه، وعلى حسب الحال الذى هو فيه.

إذن نحن جميعاً مشتركون فى التوبة، ونحن جميعاً حالنا حال التائبين، فى ليل أو فى نهار، فى قيام أو فى قعود، فى معصية أو فى طاعة. فى كل حال من أحوالنا نحن دائماً متجهين بالتوبة لله عز وجل.

(١٥) سورة البقرة: الآية ١٥٦.

فالمؤمن لا يترك باب التوبة أبداً، بل هو واقف طوال أنفاسه على باب التوبة فى حياته الدنيا، ولا يترك باب التوبة إلاَّ غافل عن مولاه أو عابد أضله هواه، أو عارف انقطع عن طريق الله، أو متمكن فى السير ونسى ما هو مقبل عليه بعد هذه الحياة.

لكن المؤمنون فى كل أطوارهم، وفى جميع أحوالهم فى سيرهم وفى سلوكهم إلى الله عز وجل دائماً وأبداً يتوبون إلى الله عز وجل. من أجل هذا حفّظنا الإمام أبو العزائم أن نقول دائماً بعد أى عمل من الأعمال الصالحة، نتوب ونقول:

أستغفر الله من علمي ومن عملي
أستغفر الله من طمعى ومن أملى

أستغفر الله مما قد جنَيت ومن
ظلمى وجورى فى أيامى الأول

أستغفر الله مما قد خفا وبدا
وما تقرّ به نفسى من العمل

أستغفر الله من حسدى ومن نقصى
ومن غرورى ومن حولى ومن حيلى

أستغفر الله من شرك علىّ خفى
ومن فسوقى وإجرامى ومن زَللى

أستغفر الله من وهمى ووسوستى
ومن دسيسة نفسى قد تخيّل لى

أستغفر الله من صوم عجبت به
ومن صلاة بها قد صرت فى وجل

أستغفر الله من كفر بنعمة من
للخير والفضل والإنعام سهّل لى

حتى العارفين الكبار – وليس الظالمون لأنفسهم أمثالنا – فى نهاية الأمر يتبرأ كل فرد منهم مما أفاءه الله عليه من أحوال وصلات وعلى لسانه من أقوال وما جمّله به من خصال، ويجعل ذلك كله فضلاً من الله عز وجل. لأنه لو نسب لنفسه حرفاً واحداً من هذا الكلام، أو شيئاً ولو قليلاً من هذا الحال يكون قد جحد النعمة التي أنعم الله عز وجل بها عليه. فيتوب إلى الله سبحانه وتعالى من نسبة هذه الأشياء إلى نفسه، فلا ينسب هو وإن كان غيره ينسبونها إليه.

فهو يتوب إلى الله من أنهم نسبوا له هذا العلم، أو نسبوا له هذا البيان، أو نسبوا له هذا الحال. لأنه لا يرى فعلاً ولا قولاً، ولا حركة ولا سكنة إلاّ لمحول الأحوال عز وجل.

ما شئت كان وإن لم أشأ
وما شئت إن لم تشأ لم يكن
خلقت العباد على ما أردت
فهذا شقىّ وهذا حسن

الحاجة إلى التوبة

من الذى خلق الخلق؟.

ومن الذى يعرف الخلق؟.

ومن الذى يدبّر الخلق؟.

الله عز وجل.

إذن نحن إن شاء الله نتعهد أنفسنا دائماً وأبداً، بالتوبة إلى الله عز وجل فى كل نَفَس من أنفاسنا، لا ننساها ولا نغفل عنها طرفة من ليل أو من نهار، وقد قال الله عز وجل:

﴿ **توبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون**﴾[١٦].

فلم يستثن أحداً. لماذا؟ قال: لعلكم تفلحون، ولعلّ فى القرآن دائماً بمعنى اللام، لأنه لا يوجد عند ربنا ترجّى ﴿**لعلكم تفلحون**﴾ يعنى لتفلحون دائماً، ﴿**لعلكم تتقون**﴾ ليست لعل بمعنى الترجى، لكن لتتقون.

﴿ **كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم**﴾[١٧].

لماذا؟ لتتقون.

فكل لعلّ فى القرآن فإنما هى للتأكيد دائماً وليست للترجّى.

فهنا لم يستثن ربنا أحداً من التوبة من المؤمنين. لماذا؟ لأن التوبة مقام كمّل الصديقين، ومقام خاصة المقربين، ومقام سيد الأولين والآخرين.

ولا يوجد باب من أبواب العطاء فى كتاب الله إلاّ وبدايته التائبون العابدون. وأيضاً تذهب إلى مقام آخر -أى مقام من مقامات الله أو أى باب من أبواب فضل الله، بدايته ماذا؟ التوبة.

ولأجل هذا يا إخوانى - التوبة لنا جميعاً مثل القوت الضرورى الذى لا نستغنى عنه. هل يوجد أحد منا يستطيع أن يستغنى عن الأكل؟ لا. وهل يستطيع أن يستغنى عن الماء؟ أيضاً لا. أيضاً أرواحنا وقلوبنا ونفوسنا وحقائقنا لا تستطيع أن تستغنى عن التوبة أبداً فى ليل أو نهار.

نسأل الله عز وجل أن يتوب علينا توبة نصوحاً، وأن يدخلنا فى عباده التائبين، وأن يجملنا بجمال التائبين، ويقبل علينا بما أقبل به على سيد الأولين والآخرين، من الفضل الكبير، والفتح العظيم، ويجعلنا فى الدنيا

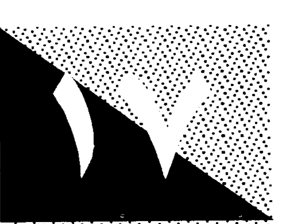
---

(١٦) سورة النور: الآية ٣١..

(١٧) سورة البقرة: الآية ١٨٣.

تائبين، وفى الآخرة شاكرين، وفى الجنة إلى حضرته ناظرين، ويلهمنا بما فيه نفعنا وحياتنا عند الله عز وجل فى كل وقت وحين. ولا يشغلنا بالدنيا عن حضرته، ولا بزخارفها ومطارفها عن أنوار طلعته، ويجعلنا إليه وافدين، وبطاعته قائمين وبسنة حبيبه ﷺ مستمسكين، وعلى أبواب عزته واقفين، ولمحض فضله طالبين.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.



الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر

- ★ واجب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر
- ★ عاقبة ترك الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر
- ★ الطريقة الحكيمة لتغيير المنكر
- ★ من هدى الصحابة فى تلاوة القرآن
- ★ ذكر الله فى النفس
- ★ حكمة تكرار الصلاة
- ★ الفكر والذكر
- ★ نعيم الجنة
- ★ نعيم الجنة المعنوى

هـذا الدرس كان بالمسجد الكبير بقرية نزلة بلهاسة مركز مغاغة محافظـة المنيـا يوم الخميس ١٩٩٣/٨/٥ بعـد صـلاة الظهر



الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

الحمد لله الذى اختارنا جميعاً من خير أمة من بريته، والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد رسول الأنام، والشفيع الأعظم لجميع الخلائق يوم الزحام، وآله العظام، وورثته الكرام، وكل من تبعه بخير إلى يوم لقاء الملك العلام... آمين.

وبعــــد...

الآيات التى سمعناها واستمعنا إليها قبل الصلاة، كلها آيات حكم وعظات، وكلها علم ونور، لأنها كلام الله عز وجل. وسآخذ منها آية واحدة سأحاول توضيحها، وكشف بعض مافيها من لبس يلتبس على الأذهان، لعدم وضوحها من أول وهلة.

ما هذه الآية؟.

ربنــا عز وجــل يقـول لحبيبــه ومصطفاه صلوات الله وســلامه عليــه -وكل أمر لرســول الله ﷺ فهو أمر لأمته بالتبعيــة، فالكلام الذى يخاطب ربنا به النبى ليس المكلف به النبى وحده- وهذا الخطاب للنبى: ﴿ **يا أيهــا النبى اتق الله** ﴾[1].

أليس النبى تقياً؟.

وهل يوجد أحد أتقى منه؟.

كلا. إن لم يكن النبى أتقى الأتقياء، فمن يكون فى هــذا المقــام؟! لكنه يريد أن يقول لنا، ولكن فى صورة النبى. ولنقول نحن إذا كان المولى

(١) سـورة الأحزاب: الآية الأولى.

سبحانه وتعالى يقول للنبى ﷺ هذا الكلام، فنحن إذا قال لى أحد: اتق الله، لماذا أغضب منه؟.

فربنا قالها للنبى ﷺ. ولأجل هذا لما جاء رجل لسيدنا عمر وقال له: اتق الله، فرجل من الذين حوله -الحاشية- قال له: كيف تقول هذا الكلام لأمير المؤمنين؟ قال له: دعه، لا خير فيهم إن لم يقولوها، ولا خير فينا إن لم نقبلها.

واجب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر

فالمؤمنون الذين يرون إخوانهم المقصرين، وإخوانهم المتكاسلين عن طاعة الله، وإخوانهم المبارزين بمعاصى الله، إذا قالوا لهم: اتقوا الله، هل يكونوا مخطئين فى حق أنفسهم وفى حق إخوانهم وفى حق الله عز وجل؟.

إن الذى يستعظم هذه الكلمة يصبح من أهل الجاهلية الأولى، وهؤلاء ربنا ذكر سيرتهم فى القرآن، وقال فى حقهم:

﴿ **وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم** ﴾[٢].

ليست هذه من صفات المؤمنين، فالذى تقول له: اتق الله ويقول: لماذا تقول لى هذا؟ ومن أنت لتقول لى اتق الله؟ أقول له: أنا عبد فقير، لكن كلّفنى العلى القدير عز وجل. ولم يكلفنى بمفردى، بل كلنا. فكل واحد من المسلمين إذا رأى أحداً من المسلمين يجاهر بمعصية، لابد أن ينهاه، فإذا لم ينته يكون مقصراً ويحاسبه الله على ذلك التقصير، ومن رأى أحداً من إخوانه المؤمنين متكاسلاً عن طاعة الله، لابد أيضاً أن يحذره وينذره.

---

(٢) سورة البقرة: الآية ٢٠٦.

فمن رأى واحداً -مثلما نرى فى رمضان الآن- من إخواننا المسلمين وفى النهار ممسكاً بسيجارة، وقال: لا شأن لى به، والثانى يقول: لا شأن لى به، والثالث يقول: لا شأن لى به، فنصبح جميعاً وقد نزل علينا غضب من الله عز وجل.

لأنه كيف يتجرأ هذا ويفطر فى نهار رمضان، وصحته تمام التمام ويمسك سيجارة أمام المسلمين؟.

وحتى لو كان مريضاً أو عنده عذر فعليه أن يتوارى عن الأنظار، ويفطر فى مكان لا يراه فيه أحد. لكن لا يتظاهر بالفحشاء أمام صغار المسلمين وأمام نساء المؤمنين. فإذا رآه الأطفال الصغار ماذا يقولون؟ قال ﷺ:

«إذا بُليتم فاستتروا»[3].

فلابد أن يستتر. حتى لو كان عنده أطفال صغار فى المنزل، فلابد أن يتوارى عنهم. فالأم التى أباح الله لها أن تفطر فى رمضان إذا كان عليها الدورة الشهرية أو عليها النفاس، كيف تفطر؟ تدخل فى غرفة وتغلق عليها الباب حتى لا يراها صغارها، لأنهم لا يدركون فيخرجون إلى الشارع ويقولون أمّنا مفطرة، وهم لا يعرفون السبب.

فلكى نأمن الفتنة، فحتى ولو كان لها عذر، لابد أن تفطِر فى ستر، وتدخل مكان وتغلق عليها. لماذا؟ لحرمة هذا الشهر. فإذا طَهُرت الظهر أو الصبح بعد الفجر وكانت مفطرة، فإنها تصوم بقية اليوم لحرمة الشهر، حتى ولو كانت ستعيده، لكن هذه حرمة الشهر الكريم، والذى سيفطر فيه أو التى ستفطر فيه لا يجب عليه تناول كل شىء كيف شاء، بل يأخذ المتطلبات التى تقيم صحته وتحفظ عليه بقية حياته.

---

(٣) رواه الحاكم من حديث ابن عمر رضى الله عنهما.

فإذا كان يدخّن، فلا يدخن، وإذا كان مدمن شاي أو قهوة فلا يتعاطاهم، لأنه قد أبيح له الفطر الضرورى، الذى به يمشى ويروح ويعود، والذى هو القوت الضرورى فقط. لكن لا يتوسع فى هذه الاحتياجات الأخرى لحرمة الشهر.

عاقبة ترك الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر

وإذا رأيت فى الطريق أحد الأفراد ينزل الحقل الخاص بجارى، ويسرق منه، فما الذى يحدث الآن؟ الكل يقول: ليس لى شأن به ولا يلاحظ أنه بذلك يكون شريكاً معه فى الإثم. لأن الدين يطالبنى أن أنبهه إلى الحق. والحق ثقيل، لكنه مع ثقله مرىء، والباطل خفيف، لكنه مع خفته وبىء ومهلك.

وكذا إذا رأيت جاموسته أو حماره نزلت فى الحقل، أأتركها وأقول ليس لى شأن، فهو ليس حقلى كما يحدث الآن؟ لا، بل لابد أن أخرجها من حقل جارى، وربنا سيوعدنى بمن يخرجها من حقلى إذا نزلت فيه.

لكن أقول: ليس لى شأن، والثانى يقول: ليس لى شأن، حتى أصبحت الأمور الآن لا تطاق كما ترون، قال ﷺ:

«لتأمرنّ بالمعروف ولتنهونّ عن المنكر أو ليوشكنّ الله أن يعمكم بعذاب من عنده»(٤).

يعم الجميع. لماذا؟.

لأننا نرى المنكر ولا نغيّره، ونرى الفاحشة ولا نتكلم، ونرى المعاصى وعن أهلها راضين، فنبيع لهم ونشترى منهم، ونزوّجهم.

(٤) خرّجه أصحاب السنن عن أبى بكر رضى الله عنه.

وهذا ديناً لا يصح، فقد كلّف الله سيدنا جبريل عليه السلام، وقال له: انزل إلى قرية كذا من بنى إسرائيل فاقلبها رأساً على عقب. فنظر إلى الأمر الذى صدر له من ملك الملوك، فوجد أن ضمن أهل هذه القرية ستمائة رجل من الصالحين. فقال: يا رب إن فيهم ستمائة رجل صالح. فقال الله عز وجل: بهم فابدأ، قال: ولم يا رب؟ قال: لأنهم رأوا المنكر ولم يغيّروه، ولم يمنعهم ذلك من مخالطة أهل المنكر ومؤاكلتهم ومشاربتهم»(٥) أى فيعاملونهم كأنهم لم يفعلوا شيئاً.

وهذا الكلام تحذير لنا جماعة المسلمين، حتى إذا رأينا أحداً يعمل عملاً يغضب الله، لابد أن ننبهه.

كيف؟.

هذا هو المهم.

الطريقة الحكيمة لتغيير المنكر

إخواننا الشباب المتحمسون، ينبهون بطريقة عنيفة بعض الشيء، وهذا ليس فى الإسلام.

إذن كيف أنبّه؟.

بطريقة لطيفة، بيّنها ووضّحها لنا نبى الإسلام عليه أفضل الصلاة وأتم السلام. لأنه لا ينفع العنف، ولا ينفع الزجر، ولا ينفع التوبيخ، ولا ينفع التعنّت، ولا ينفع الضرب، ولا ينفع السّب.

ولننظر إلى النبى ﷺ، ربنا قال له فى الآية التى سمعناها:

---

(٥) رواه الطبرانى فى الأوسط والبيهقى فى الشعب عن جابر رضى الله عنه.

﴿ خــذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين﴾[٦].

أى خذ العفو بصفة دائمة، واستمر فى هذا الطريق.

والعفو ما معناه؟.

اللطف والرحمة، والكرم والود. وهــذه طريقة علاج المنكرات لإزالتهـا. ولما نزل تشريعه ﷺ كان فى هذا التشريع أشياء كثيرة يريد ربنا أن يغيرها ويبدلهـا، لكن لم يغيرها فى لحظـة ولا فى يوم. بل توجـد أشـياء غيرت فى شــهور، وأشـياء غيرت فى سنين، أخذت كلها بالتدرج.

ففى الخمر مثلاً: أراد أن يمنعهم، فأول الأمر قال:

﴿ يسألونك عن الخمــر والميسر قــل فيهما إثم كبير ومنافع للنــاس وإثمهما أكبر من نفعهما ﴾[٧].

انظروا إلى هذا الكلام اللطيف، هل يوجد أحد يقول إن الخمر فيهـا خير؟ ربنا قال هذا، قال فيها منافع. ماهى المنافع؟ قال: يوجد أناس تكسب منهـا، فالذى يعصرها، والذى يزرعها (الذى يزرع العنب أو النخل)، والذى يتاجر فيهـا، والذى يبيعهـا، والذى يوزعها. لهم فيها منافع، هى عندنا منافع حرام، لكن أيامها كانت عادية بالنسبة لهم. فقال: فيهـا منافع، وأيضاً فيها إثم، أى شر، لكن الإثم أكبر من نفعها.

وعند ذلك قال أهل الورع وأهل التقى: مادام الإثم أكبر فلنتركها نهائياً. أما الضعفاء أمثالى فقالوا ربنا قال فيها منافع فنظل نشربها لأن فيها منافع. وتركهم أيضاً ربنا.

حتى جاء أحدهم للصلاة فلم يدر ماذا يقول فى الصلاة؟ إذا كان يقرأ القرآن، أو يردد أغنية، لا يدرى لأن الذى عقله غير موجود يمكن أن يعمل

---

(٦) سـورة الأعراف: الآية ١٩٩.

(٧) سـورة البقرة: الآية ٢١٩.

أى شيء. لأن عقله غير موجود، فجاء ربنا وقال لهم: ﴿**لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون**﴾[8].

لم يقل لا تشربوا ولا اشربوا، لكن قال: إذا جاءت الصلاة لا تصلّ وأنت فى حالة سكر، ولا تصلّ وأنت هذيان. معنى هذا أنه لابد أن لا يشرب قبل الصلاة بفترة طويلة حتى يدرى الكلام الذى يقوله. فنحن الآن الظهر، فلو شرب الآن فإنه إذا جاء العصر سيصبح فى حالة سكر، فلا يستطيع أن يصلى. وكذا لو شرب بعد العصر يأتى المغرب وهو فى حالة سكر، وأيضاً لا يستطيع أن يصلى، والعشاء نفس النظام.

فأصبحت الفترة الوحيدة التى يستطيع أن يشرب فيها بعد العشاء، لأنه لا يستطيع أن يشرب فى الصباح فى عمله، وبذلك يكون عز وجل قد قلل الجرعات التى يأخذونها. فبدلاً من أن يشربوا طوال النهار، أصبحوا لا يستطيعون ذلك إلاّ بعد العشاء وهكذا لم يقل لا تشربوها مرة واحدة.

فانظروا إلى حكمة الله فى التدرج، وكيف ينهى عن المنكر بذاته العلية؟.

بعد هذا هم الذين أحرجوا، فجاء سيدنا عمر ومعه جماعة من الصحابة، وقالوا: يا رسول الله نريد أن ينّزل ربنا لنا فى الخمر بياناً شافياً. فنزل البيان الشافى:

﴿**إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه**﴾[9].

فأتى بالأربعة معاً. الخمر ومعه الميسر، الذى هو القمار. والقمار أىّ لعب على نقود أو على منفعة دنيوية، أو لعب حتى على صندوق كوكاكولا.

(8) سورة النساء: الآية ٤٣.
(9) سورة المائدة: الآية ٩٠.

الخمر والميسر والأنصاب، والأنصاب: هى الحجارة التى يعبدونها. والأزلام: الخشب الذى يعبدونه، لأنه كانت عندهم الآلهة صنفين: بعضها مصنوع من الحجارة، وهذه يسمونها الأنصاب، وبعضها مصنوع من الخشب، وهو ما يسمونه بالأزلام.

وهؤلاء الأربعة رجس من عمل الشيطان، وكان من المفروض أن يقول فاجتنبوهم، لكنه قال: فاجتنبوه. ومعناها أن كلهم مثل بعضهم. فشرب الخمر مثل عبادة غير الله، مثل الشرك بالله. ولعِب القمار أيضاً مثل الشرك بالله، مثل عبادة غير الله عز وجل. لأن الأربعة جرم واحد.

هذه يا إخوانى طريقة إزالة المنكر التى وضّحها لنا رسول الله ﷺ. وإذن لا يصح إزالة المنكر جذرياً، أو بالإرهاب، أو بالضغط، أو بالشدة، ولكن باللين وبالرقة وبالرحمة.

حتى لما أرسل ربنا سبحانه وتعالى سيدنا موسى وسيدنا هارون إلى فرعون الذى كان جاعلاً من نفسه إله، فليس مشركاً بالله فقط، بل هو نفسه الإله، ماذا قال لهما:

﴿ فقولا له قولاً ليّناً لعله يتذكر أو يخشى﴾[١٠].

قولا له قولاً ليّناً لطيفاً ورحيماً. ولذلك لما جاء واحد من الشباب المتحمس وذهب للمأمون الخليفة العباسي، وخاطبه بشدة وكلام شديد وجاف، قال له: انتظر يا أخى، أنا لست بأشرّ من فرعون، وأنت لست بخير من موسى وهارون، وإذا كان الله قال لمن هو خير منك فى خطابه لمن هو شر منى:

﴿ فقولا له قولاً ليّناً لعله يتذكر أو يخشى﴾.

---

(١٠) سورة طه: الآية ٤٤.

إذن المنهج القرآني والنبوى فى تغيير المنكر يكون بالنصيحة أولاً، وذلك بأن أكلمه باللين ربما يتذكر ولعله يخشى.

فنحن نريد يا إخوانى الكلام الهيّن الليّن، الذى يرقق القلوب ويجعلها تميل إلى سماع النصيحة. وأما الذى لا يريد أن يسمع، فله طريقة أيضاً فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر. فنحن لو رأينا أحداً معنا، أو جار لنا لا يصلى، لابد أن نأمره بالصلاة، لكن بالطريقة اللطيفة التى تجعله يدخل على رحاب الله عز وجل. فأجالسه ولا أتحدث معه فى شيء، مرة ومرتان وثلاثة، إلى أن يرتاح إلىّ ويحبنى. لأن الموضوع يحتاج إلى صبر طويل، وبعد ما يحبنى سيسمع كلامى. فأقول له: يا فلان أنت رجل كريم الأخلاق، وفيك صفات كذا وكذا، وأذكر بعض صفاته الحسنة -وكل واحد فيه صفات حسنة وكريمة- لكن باقى عيب واحد فيك، ليتك تتخلص منه. سيقول أنا عارف هذا العيب ويخبرنى به.

لكن إذا قلت له: هل ستصلى أم أجلدك؟ فهذا كلام لا ينفع. وأيضاً عندما يتوجه الشاب إلى أمه ويخاطبها بغضب قائلاً: لماذا لا تصلين؟ أنت كافرة، ويوجعها ضرباً. نقول له: مَن الذى أعطاك أمراً بالضرب لأمك أو أبيك؟

أو هذا الأمر ممن أخذته؟ أمن الله أم من رسول الله؟.

ألم يقل الله عز وجل:

﴿ فلا تقل لهما أفٍ ولا تنهرهما ﴾[11]؟.

فكيف تزجرهم وتكلمهم كلاماً شديداً؟ وكيف تضربهم؟. ومن الذى أباح لك هذا؟.

فطريقة الإسلام هذه هى الطريقة الواضحة فى الدعوة إلى الله عز وجل.

(١١) سورة الإسراء: الآية ٢٣.

وحتى لا نطيل عليكم، الآية التى أريد أن أوضحها باختصار:

﴿ واذكر ربك فى نفسك تضرعاً وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو والآصال﴾[١٢].

يأتى بعض إخواننا لرجل جالس فى بيت الله يقرأ القرآن ويُسمع نفسه، فيقول له: أنت مخالف لكلام الله. فيقول: لماذا؟ يقول: ربنا قال: **﴿واذكر ربك فى نفسك﴾**.

ويجد آخر جالساً يذكر الله يريد أن يطرد الشيطان كما كان يفعل سيدنا عمر – فقد كان إذا ذكر الله أو قرأ القرآن، رفع صوته فيسمعونه من بعيد، فيقول له النبى ﷺ: «لمَ ترفع صوتك بالقرآن؟ فيقول: لأوقظ الوسنان وأطرد الشيطان»، فالناس النائمة إذا سمعتنى تستيقظ، ويبعد عنى الشيطان، ونحن كلنا نعرف هذه الحالة، فإذا قرأ الواحد منا بصوت مرتفع ولو قليلاً، يصبح القلب أكثر حضوراً مع الله، لكنه إذا قرأ فى السر تأتى المشاكل والمتاهات، حتى أنه قد يمر على صفحتين أو ثلاث، ولا يدرى ماذا قرأ، لأنه غير حاضر القلب أثناء القراءة.

فمثل هذا لابد أن يقرأ بصوت مرتفع ولو قليلاً، حتى يُسمع نفسه. فهذا سيدنا أبو بكر وهو الأسوة لنا.

﴿ أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده﴾[١٣].

كيف كان يقرأ هو وأصحاب رسول الله ﷺ؟.

كان إذا قرأ القرآن فى بيته فى مكة، تأتى نساء الكفار وصبيان الكفار وعبيد الكفار يقفون خارج الباب ليتمتعوا بسماع القرآن. فهو إذن لا يسمع

(١٢) سورة الأعراف: الآية ٢٠٥.

(١٣) سورة الأنعام: الآية ٩٠.

نفسه فقط، وإنما يُسمع مَن بالشارع. وقد تضايقوا من هذا وذهبوا إليه وقالوا له: ستفتن عبيدنا ونساءنا وصبياننا. لماذا؟ لأنه يقرأ بصوت مرتفع.

ستقول لى جائز هذا الكلام ليسمع الكفار القرآن، فلنذهب إلى المدينة: دخل النبى ﷺ يوماً بيت السيدة عائشة، وبحث عنها فلم يجدها. ولما حضرت سألها: أين كنت؟ قالت: سمعت اليوم رجلاً يتلو القرآن فجذبنى صوته، ولم أسمع تلاوة أحسن منها. فقال لها: أين؟ اذهبى بى إليه. فأخذته وذهبت إلى مكانه، وعندما سمعه قال ﷺ: هذا سالم مولى أبى حذيفة. الحمد لله الذى جعل فى أمتى مثله(١٤).

ورجل مثل هذا فى طلاوة الصوت، وفى حسن القراءة لكتاب الله عز وجل، شد انتباهه ﷺ جداً، فلما عرفه إذا به سيدنا أبو موسى الأشعرى، فقال له لما جاء إليه: «**لقد أوتيت مزماراً من مزامير داود عليه السلام**». فقال له: «**يا رسول الله والله لو كنت أعلم أنك تستمع إلى لحبرته لك تحبيراً**»(١٥) أى كنت أتقنته أو نغّمته جيداً، لكن لم أكن أعرف أنك تسمعنى.

إذن كيف كانوا يقرأون القرآن يا إخوانى؟.

بصوت عال، ليسمعوا الناس حلاوة كلام الله عز وجل، وليطردوا الشيطان، ولتحضر قلوبهم أثناء تلاوة كلام الرحمن عز وجل.

وأيضاً الذى يختم الصلاة لماذا يرفع صوته؟.

لتمشى عوام الناس معه. فالإمام الشافعى رضى الله عنه وأرضاه كان إذا نوى قال: «نويت أصلى الظهر أربع ركعات جماعة لله عز وجل، الله أكبر»، قالوا له: لماذا هذا؟ قال: الذى لا يعرف يتعلم. والذى يعرف يد الله مع الجماعة، يصبح مع الجماعة.

---

(١٤) أخرجه ابن ماجه عن عائشة رضى الله عنها.

(١٥) متفق عليه من حديث أبى موسى رضى الله عنه.

ذكر الله فى النفس

إذن ما المقصود من قول الله عز وجل: ﴿**واذكر ربك فى نفسك تضرعاً وخيفة**﴾ ؟.

يعنى اذكر ربك فى نفسك، وتفكر فى بديع صنع الله، ودقة تصوير الله، ومدى إبداع قدرة الله الموجودة فيك، وأنت لا تدرى قيمتها.

فنحن هنا فى مصر مَن منّا يدرى قيمة المياه؟.

لا أحد. لكن الذى يذهب ليعمل فى السعودية أو فى اليمن أو فى هذه البلاد، إذا ذهب وعاد يقول: نحن عندنا نعمة لا ندرى قيمتها. وأيضاً نعمة الشمس لا نحس ولا نشعر بها، لأنها موجودة دائماً، أما الناس الذين يأتون من المناطق القطبية حيث الشمس لا تشرق إلاّ شهرين فى السنة، ويظلون عشرة شهور بدون شمس، فإنهم إذا جاءوا عندنا هنا يحسدوننا، ويقولون: أنتم عندكم نعمة لا تدرون قيمتها، ألا وهى نعمة الشمس.

فالنعم الملموسة غير محسوسة من كثرتها، وأيضاً النعم التى فىّ، والتى تدل على قدرة الله، وعلى بديع صنع الله عز وجل، فأنا لا أدرى بها، ولا أحسّ بها. فلا أحس بنعمة الصحة إلاّ ساعة المرض، ولا أحس بنعمة العين إلاّ إذا فقدتها، ولا أحس بنعمة السمع إلاّ إذا أتلفتها، ولا أحس بنعمة من نعم الله عز وجل إلاّ إذا فقدتها. لكن مادامت معى هذه النعم، فأنا لا أدرى بها. وقد قال الله عز وجل للمؤمنين:

﴿ **وفى أنفسكم أفلا تبصرون** ﴾[١٦].

فلابد وأن ينظروا فى أنفسهم ليروا قدرة الله، وإبداع صنع الله فى أنفسهم ليشكروا الله عز وجل على نعمه، حتى أن الواحد منهم إذا نزلت به شدة مثل الرجل الذى نزلت به فاقة وفقر شديد، وذهب يشتكى لأحد الصالحين، ويقول له: لقد نزل بى فقر وملمّة شديدة وأنا متعب وغضبان.

---

(١٦) سورة الذاريات: الآية ٢١.

قال له: أترضى أن يأخذوا منك نعمة البصر ويعطوك عشرة آلاف دينار؟ قال: لا. قال: أترضى أن يأخذوا منك نعمة السمع ويعطوك عشرة آلاف دينار؟ قال: أيضاً لا. قال: أترضى أن يأخذوا منك نعمة اللسان ويعطوك عشرة آلاف دينار؟ قال: لا. يأخذوا منك اليدين أو القدمين، قال: لا. قال له: أنت أصبحت معك خمسين ألف دينار وأنت لا تدرى بها.

قال ﷺ:

«إذا أصبحت معافاً فى بدنك، آمناً فى سربك، عندك قوت يومك فقد حيزت لك الدنيا بحذافيرها»(١٧).

ما الذى نريده من الدنيا؟.

حكمة تكرار الصلاة

فإذا تذكر الإنسان نعم الله عليه، يشكر الله عز وجل:

﴿ واذكر ربك فى نفسك تضرعاً وخيفة﴾ ويضرع إلى الله أن يحفظ عليه النعم، يقول له: يا رب أهم شيء أريده أن تحفظ علىّ هذه النعم. ولأجل هذا فرض ربنا علينا الصلاة.

لماذا يا رب فرضت علينا الصلاة؟.

شكراً للنعم المتجددة التى هى معى دائماً، وهى نعمة البصر، ونعمة الكلام، ونعمة الحياة، ونعمة الفكر، ونعمة القدرة. هذه النعم تحتاج للشكر من أجل أن تستمر معى دائماً.

كيف يكون الشكر؟.

---

(١٧) رواه الترمذى وابن ماجه عن عبيد الله بن محصن.

بالصلاة. فهى شكر لله عز وجل على هذه النعم المتجددة. فأضرع إليه سبحانه وتعالى أن يحفظها لى، وأخاف أن يتخلى عنّى فأصرفها فيما يغضب الله. كأن أنظر بالعين إلى الحرام، وأستمع بالأذن إلى الغيبة والنميمة والآثام، أو أسبّ أو أشتم باللسان، أو أسير بقدمى إلى أماكن الحرام. وهذه كلها ابتلاءات لا قبل لنا بها. نسأل الله عز وجل فى كل وقت وحين أن يحفظنا منها، وأن يثبتنا على طاعته وحسن رضاه.

فالإنسان المؤمن يا إخوانى دائماً يتفكر. والتفكر هنا ميدانه واسع، فإذا تفكر الإنسان فى نفسه فيفكر فى عينيه وكيف يبصر بهما؟ وأذنيه وكيف يسمع بهما، ولسانه وكيف يتحرك؟ وطعامه وكيف يهضم؟.

والتفكر فى هذه الأشياء يحتاج إلى وقت طويل، يكفى الإشارة إليه بقول الإمام على رضى الله عنه وكرّم الله وجهه: «يا ابن آدم تبصر بشحمة، وتسمع بعظمة، وتنطق بلحمة. تقتلك الشرقة، وتؤلمك البقة، وتنتنك العرقة، وأنت مع ذلك تواجه القوى عز وجل بالمعصية».

الفكر والذكر

وهذا الذكر هل يحتاج إلى اللسان ليتكلم به؟.

لا. ﴿**ودون الجهر من القول بالغدو والآصال**﴾ فهو غير محتاج للجهر بالكلام، لأنه فكر. والفكر هو لغة العقل. وليس اللسان. فالذكر الذى فى الآية ماذا يقصد به يا إخوانى؟.

إنه التفكر والتدبر فى كيان الإنسان، وفى جسم الإنسان، وفى أعضاء الإنسان التى خلقها وصورها الحنّان المنّان عز وجل لطاعته بها وسخرها لى ولك مادمنا فى هذه الحياة.

لكن الذكر الثانى ماذا قال فيه للنبى ﷺ:

﴿ قل الله ثم ذرهم فى خوضهم يلعبون﴾(١٨).

قل هنا باللسان. وهذا غير هذا، فهذا ذكر وهذا ذكر. وقال لنا:
﴿ يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكراً كثيراً ﴾(١٩).

ما كَم الذكر يا رب؟.

قال: كثيراً.

فأنا لو قطعت العمر كله فى ذكر الله عز وجل لا أستطيع أن أوفىّ ما علىّ بكلمة (كثيراً) لأنه قال: كثيراً، ولو مكثت العمر كله متفرغاً لذكر الله لا أستطيع أيضاً أن أذكر الله بالكيفية التى طلبها الله فى قوله: **﴿اذكروا الله ذكراً كثيرا ﴾**.

وكذا يوجد فرق بين ذكر الله وذكر الربوبية.

﴿ واذكر ربك ﴾.

فحضرة الربوبية هى التى تتولى الخلائق بالخلق والإنعام والرزق والإكرام. وفى هذه الحياة الدنيا، الذى خلق، والذى أبدع، والذى يرزق هو الله عز وجل فى مظهر ربوبيته. لكن مظهر الألوهية هو الذى أمرنا الله عز وجل أن نذكره الذكر الكثير.

إذن يوجد فارق كبير يا إخوانى بين الذكر بالعقل وبين الذكر باللسان. فالذكر بالعقل نوع من أنواع الذكر الراقى، الذى هو التفكر. وهذا ربنا طلبه من رسول الله ﷺ ومنّا فى هذه الآية. والذكر باللسان هو الذكر للحسنات، والذكر للقرب من الله عز وجل، والذى قاله لنا فى قوله:

﴿ يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكراً كثيراً ﴾.

---

(١٨) سورة الأنعام: الآية ٩١.

(١٩) سورة الأحزاب: الآية ٤١.

وأما الذكر الذى هو الفكر فهو ما أشار إليه الله عز وجل فى قوله: ﴿واذكر ربك فى نفسك﴾.

أى واذكر ربك فى نفسك سواء كنت فى بيت الله، أو فى الأرض، أو فى بيتك، لأن نفسك معك دائماً.

﴿ وفى أنفسكم أفلا تبصرون ﴾.

وأيضاً واذكر ربك فى نفسك، بأن تنظر مافيك من آيات الله عز وجل، وهذا الذى قال فيه الإمام أبو العزائم رضى الله عنه وأرضاه:

«تبصرك فيما فيك يكفيك».

فلو أن الإنسان تبصر مافيه من صنع الله، وإبداع الله يكفيه هذا ولا يحتاج لأحد يفكره ولا يذكّره.

﴿ تضرعاً وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو والآصال﴾.

ماذا يعنى هذا؟.

يعنى فى ذهابك وإيابك، وأنت تأكل أو تشرب، كذا وأنت تعمل أى عمل من الأعمال، فتذكر الله فى نفسك عند أكلك مستحضراً قوله سبحانه:

﴿ فلينظر الإنسان إلى طعامه ﴾[٢٠].

فترى هذا المشهد الذى وصفه ربنا عز وجل فى هذه الآية كله جاء حتى الزرع:

﴿ أفرأيتم ما تحرثون ءأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون﴾[٢١].

---

(٢٠) سورة عبس: الآية ٢٤.

(٢١) سورة الواقعة: الآيتان ٦٣، ٦٤.

وأيضاً الشرب:

﴿ **أفرأيتم الماء الذى تشربون**﴾[٢٢].

حتى نومه مع زوجته:

﴿ **أفرأيتم ما تمنــون**﴾[٢٣].

يعنى لا ينام مثل الحيوانات، بل لابد أن يتدبر ويتفكر فى هذا الماء النازل، كيف يتكوّن منه إنسان فيه لحم وعظم وأعصاب وله عينان وله أذنان وغيره.

هــذا معنى: ﴿ **وفى أنفســكم أفلا تبصرون**﴾. هـذا يا إخوانى المعنى الحقيقى لهذه الآية التى ذكر بها الله سبحانه النبى ﷺ وذكّرنا بها.

نعيم الجنة

وقد سأل أحد الحاضرين عن معنى قول الله عز وجل:

﴿ **فيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين وأنتم فيها خالدون**﴾[٢٤].

فأجاب عفا الله عنه:

هذه الآية يا إخوانى، فيها من البلاغة القرآنية، ما يعجز أهل الفصاحة والبلاغة فى كل زمان ومكان. فلو بحثت عن وصف جامع لنعيم الجنان بمختلف أنواعه وأشكاله وأصنافه وألوانه وبحسب درجات الجنان وتنوّعاتها، لن تجد عبارة تصف هذا كله مثل هذه العبارة الكريمة.

---

(٢٢) سورة الواقعة: الآية ٦٨.

(٢٣) سورة الواقعة: الآية ٥٨.

(٢٤) سورة الزخرف: الآية ٧١.

﴿ فيها ما تشتهيه الأنفس﴾.

وكلمة الأنفس غير النفس. فلو قال الله عز وجل فيها ما تشتهيه النفس، كان معنى هذا أن أنفسنا جميعاً تشتهى مطالب واحدة واحتياجات واحدة، ولكنه قال: **﴿فيها ما تشتهيه الأنفس﴾.**

وكلمة الأنفس تبين أن هناك اختلافاً كبيراً، وتفاوت عظيم فى حظ النفوس من نعيم المليك القدوس عز وجل. فنفس تريد الأكل، ونفس تريد الشراب. وحتى الأكل توجد نفس تحب اللحم ونفس تحب الطيور ونفس تحب الجمال، وكله أيضاً فى الأكل، ونفس تحب السمك.

والشراب أيضاً: هناك من يحب البيبسى، والذى يحب الميراندا، والذى يحب التيم، والذى يحب الويسكى -فالويسكى هناك مباح وهو غير الويسكى الذى هنا، والذى يحب الشاى، والذى يحب القهوة. كل واحد له ميل معين لشىء معين. والذى يحب العصائر بأشكالها وأوصافها وألوانها، والذى يحب عصير التفاح أو عصير البرتقال أو عصير المشمش أو عصير المانجو. وكل واحد على حسب هواه، وليس كلنا مثل بعض فى هذه الاحتياجات يا إخوانى، ولكن كل واحد له ميل، حتى الأطفال عندك فى البيت.

﴿ صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض فى الأكل﴾(٢٥).

فتجد الأطفال، هذا يريد أن يأكل هذا الصنف، وهذا يريد أن يأكل هذا الصنف، وتصبح أمهم فى حيرة. لماذا؟ لأنها لا تستطيع أن توفق بينهم. فهذا يريد كذا وهذا يريد كذا وفلان يريد كذا. أليس يحدث هذا؟ لماذا؟.

لأن كل واحد له ميول معينة.

---

(٢٥) سورة الرعد: الآية ٤.

وأيضاً فى اللباس، الذى يحب اللون الأبيض، والذى يحب البنى، والذى يحب الأحمر، والذى يحب الرمادى، والذى يحب الأخضر. كل واحد يحب لوناً معيناً. والذى يحب الناعم، والذى يحب الخشن. كل واحد له ميل معين.

والذى يحب الأكل، والذى يحب الشرب، والذى يحب النساء، أيضاً على اختلاف أنواعهم وأصنافهم. ولا نريد أن نفتّش فى هذا الأمر.

ويوجد الذى يحب مجالس العلم، والذى يحب مجالس الحكمة، والذى يحب مجالس الذكر، والذى يحب الصلاة، والذى يحب تلاوة كتاب الله. وكل هذه الأشياء موجودة فى الجنة، لأن كل شىء موجود فيها.

﴿ فيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين﴾.

فيها الأشياء التى تحبها النفس، وكذا التى تتمتع بها العين. فهناك عين تتمتع بالنظر إلى المأكولات، وعين تتمتع بالنظر إلى النساء، وعين تتمتع بالنظر فى آيات الله الموجودة فى الكائنات، وعين متعتها الوحيدة أن ترى سيد الكائنات، وعين متعتها أن ترى أنوار الجنات، وعين متعتها أن تنظر نور الله فى جميع الجهات والحيطات. فكل عين لها متعتها، مثلما كل نفس لها مشتهياتها.

فالذى يريد المآكل والمشارب يجدها موجودة فى الجنان، ووصفها الحنّان المنّان فى آيات كثيرة من القرآن. مثل قوله سبحانه:

﴿ وفاكهة مما يتخيرون ولحم طير مما يشتهون وحور عين كأمثال اللؤلؤ المكنون﴾[٢٦].

فقد أشار هنا إلى أمهات النعم، وتحتها أصناف وأشكال لا يعلمها إلاّ واهب النعم عز وجل.

---

(٢٦) سورة الواقعة: الآيات ٢٠: ٢٣.

وأشار أيضاً إلى الماء فى قوله سبحانه:

﴿ فيها أنهـار من ماء غير آسن وأنهـار من لبن لم يتغيّر طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين﴾(٢٧).

والخمر أيضاً وصفها فى الآية الأخرى فقال:

﴿ لا فيهـا غَـوْل ﴾(٢٨).

أى لا تغتال العقول، أى أنها لا تسكر.

﴿ ولا هم عنهـا ينزفون ﴾(٢٨).

ورجع وأكمل:

﴿ وأنهار من عسل مصفى ولهم فيها من كل الثمرات﴾(٢٧).

وهكذا فكل أنواع النعيم الحسى، هاهى موجـودة. فالذى يريد الحـور ها هنّ هناك من غير حساب. فإذا لم يعجبه هؤلاء، فإنه يتصور فى خياله وذهنه الصورة الجمالية التى يريد أن يراها فيـهن ويصنع الله له فى الحال صـورة على وفق مافى فـؤاده ومافى خيـاله. ومعنى هـذا أنه إذا لم يعجبـه ما يعرض عليه، يقال له: تخيّل التى تريدها، وتخيّر الشكل والصورة التى تريدها، يبدعها البديع فى الحال والوقت فوراً.

والخـيرات والبركات موجـودة كلهـا، ولا تكلفـك تعب ولا مشـقة ولا عناء، فلا تزرع ولا تحصد، ولا تجنى ولا تشترى، ولا تغسل ولا تنتقى، لأنه بمجرد أن يخطر ببالك هذا الصنف من المأكولات أو من الفواكه، فى الحال تجد أشجار الجنة تمدّك به، وتحضره عندك، وتنزله فى فمك إذا أردت ذلك، أما إذا أردت أن تأكل وهو معلق، فإنه أيضاً يقرب منك، ويتركك تأكل كما تحب وكما تريد. لأن هذا نعيم الحى القيوم للمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات.

---

(٢٧) سورة محمد: الآية ١٥.

(٢٨) سورة الصافات: الآية ٤٧.

نعيم الجنة المعنوى

والذى يحب ذكر الله، يجد هناك كل شىء يذكر الله. فالأبواب تذكر الله، والحوائط تذكر الله، بنغمات تهيم بها الأرواح، فيعيش فى ذكر الله.

﴿ إن أصحاب الجنة اليوم فى شغل فاكهون﴾(٢٩).

ما شغلهم؟ وهل الجنة فيها عبادة وفيها ذكر؟.

نعم، لكن هناك تكون العبادة والذكر تفكهاً وتلذذاً. تفكهاً وتلذذاً بالذكر، وليس تكليفاً. ومعنى هذا أن الذى لا يصلى الصبح ولا الظهر الآن سيحرر له محضراً، لكن هناك الذى لا يذكر لا يحرر له محضر ولا شىء، فهو يذكر بمحض إرادته، ويتلذذ بهذا الذكر.

وأصحاب الذكر، وأهل الذكر، لذّتهم بالذكر أكثر من لذة أهل الخمر بشرب الخمر. يعنى هى لذتهم، وهى هناءتهم، وهى سرورهم، وهى بغيتهم، وهى مشتهياتهم فى جنة الله عز وجل.

وأهل العلم أيضاً هناك لهم مجالس العلم العالية، والحكمة الراقية التى ليس لها حدّ. قال ﷺ:

«يحتاج الناس إلى العلماء فى الجنة كما يحتاجون إليهم فى الدنيا. قيل: وكيف ذاك يا رسول الله؟ قال: يوقفهم الله عز وجل بين يديه ثم يقول لهم: تمنّوا. فيقولون: ماذا نتمنى؟ فيرجعون إلى العلماء ويسألونهم ماذا نتمنى؟ فيخبرونهم»(٣٠).

أى عرفونا ما الذى نتمناه، فيعرفونهم بالأشياء الخافية والراقية التى يليق بهم أن يطلبوها من حضرة الله عز وجل.

---

(٢٩) سورة يس: الآية ٥٥.

(٣٠) خرّجه السيوطى فى الجامع الصغير.

وهكذا يا إخوانى، فلكل قوم نعيمهم، ولكل فئة لذتهم، ولكل نفر بغيتهم، ولكل طائفة مقصدهم. ويوفى الله عز وجل الجميع ما يحبون، وما يطلبون، وما يشتهون، وحتى لا يخافون من فقدان هذا النعيم، أو مفارقة هذه المتع، طمأنهم الله عزوجل بقوله:

﴿ وهم فيها خالدون﴾.

أى أن هذا نعيم الأبد، فلا ينفد ولا يتحول ولا يتغير، وليس ذلك فقط، بل وعدهم بالمزيد تلو المزيد، تفضلاً ومنّةً من الحميد المجيد. وهذا ما أشار إليه سبحانه فى قوله:

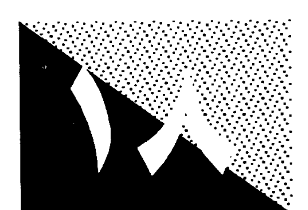
﴿ لهم ما يشاءون فيها ولدينا مزيد ﴾[٣١].

نسأل الله عز وجل أن يسقينا من كاسات حبّه، وأن يصافينا بلباب برّه، وأن يمتّعنا بالنظر إلى جمال وجهه، وأن يذيقنا لذة نعيم الأبد.

وصلى الله على سيدنا محمد قرّة عين المؤمنين، ولذة وصال الموحدين، ونبع شراب أهل اليقين، وآله وورثته والداعين بدعوته إلى يوم الدين... آمين.

---

(٣١) سورة ق: الآية ٣٥.



الرضا عن الله والتسليم لأمر الله

★ حكمة الإبتلاء بالمرض
★ حكمة التداوى من الأمراض
★ أسرار ابتلاء الله للمؤمنين
★ السعادة فى الرضا عن الله

كانت هذه الخطبة بالمسجد الكبير بقرية نزلة البرقى - مركز الفشن - محافظة بنى سويف وذلك يوم ١٩٩٣/٨/٦م

الرضا عن الله والتسليم لأمر الله

الحمـد لله رب العـالمين.. خـالق الدنيـا وديّان يوم الدين. خلق الإنسـان وأبدعـه فى أحسن تكوين، وقوّاه بما يستعين به على طاعة رب العـالمين، وأمدّه بما فيه حياته ليقوم به عاملاً على نهج سيد الأولين والآخرين.

سبحانه سبحانه.. لحضرته هداك، وبنعمته غذّاك، وبعونه وبحوله وطوله قوّاك.وبحلمه أمهلك إلى يوم لقـاءه لينظر ما عملت فى كتابه وشرائعـه، فإن أحسنت فلنفسك، وإن أسأت فعليها، وما ربك بظلاّم للعبيد.

وأشهد أن لا إله إلاّ الله، وحده لا شريك له، حيّ لا ينام ولا يغفل أبداً، قيّوم قائم على كل نفس بما كسبت، عليم يعلم خفيّـات الصدور، وخفايا الضلوع، وما يدور فى أذهان الإنسان.

وأشهد أن سيدنا محمداً عبد الله ورسوله، وصفيه من خلقه وخليله. أكرمنا الله عز وجل برسالته، وزاد فى إكرامنا فجعلنا من أتباعه فى شريعته، ووعد من أطاعه واتبع هديه بعزه ونصرته، وتوعد من عصاه وخالف هديه بالذل فى الدنيا، والتعاسة يوم لقاء حضرته.

اللهم صلّ وسلم وبارك على سيدنا محمد، منير سبيل المهتدين، وموضح طريق المؤمنين، ومبيّن أفضل سبيل للمتقين. صلوات الله وسلامه عليه، وعلى آله الطيبين، وعلى صحابته المرضيين، وعلى من اتبعه بخير إلى يوم الدين... آمين.

وبعـــــد...

فيا إخواني.. ويا أحبابى: استمعنا سوياً إلى آيات من كتاب الله عز وجل من سورة النبأ، ومن سورة البلد، ومن سورة الضحى، ومن سورة الإنشراح.

وكلها آيات تشرح الصدور، وتثلج القلوب، وتنير للنفوس طريقها لرضاء ربها عز وجل. ولا نستطيع أن نأتى ببيانها وتفسيرها فى هذا الوقت القصير، وحسبنا أن نقف هنيهة عند آية منها، نبينها على قدرنا، وعلى قدر ما تفضل الله عز وجل به علينا، لا على قدر بيان الله وكلام الله، فلو كان البحر مداداً ومن بعده سبعة أبحر، يمدونه بالمعانى والعلوم والأسرار، ما نفدت كلمات الوَاحد القهار عز وجل.

فلنأخذ افتتاحية سورة النبأ:

﴿ عم يتساءلون عن النبأ العظيم الذى هم فيه مختلفون﴾(1).

ما هـذا النبـأ؟.

نبأى أنا وأنت، وأزواجنا وأولادنا، وبناتنا وأخواتنا من المسلمين، وإخواننا جميعاً من بنى الإنسان، ما خبرهم؟.

النبأ يعنى الخبر، ما خبرهم وما حكايتهم؟.

ولماذا أرسلهم الله إلى الحياة الدنيا؟ لمَ أوجدنا؟.

بعض العلماء قالوا - استناداً إلى قول الله عز وجل:

﴿ وما خلقت الجن والإنس إلاَّ ليعبـدون﴾(2).

وسيدنا عبد الله بن عباس رضى الله عنهما قال: معناها إلاَّ ليعرفون، يعنى خلق الله الإنسان من أجل معرفة الديان عز وجل. لكن هذا جانب وليس كل الجوانب.

فإذا استقرأنا القرآن، نجد أن القرآن يوضح أن هناك غايات أخرى، وأهداف أخرى عن خلق الإنسان، منها قول الله عز وجل:

---

(1) سورة النبأ: الآيات ١ : ٣.

(2) سورة الذاريات: الآية ٥٦.

﴿ يا أيها الناس إنّا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ﴾[٣].

وهذا هدف ثانى للتعارف بين الناس، وبين بنى الإنسان.

إذن الهدف الأول من خلق الإنسان معرفة الله، والهدف الثانى التعارف بين الناس فى هذه الحياة، والهدف الثالث:

﴿ هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها ﴾[٤].

عمارة الدنيا، أى عمارة الأرض بالزراعة والتجارة والصناعة، وغيرها من دروب وأصناف وألوان التعامل فى الحياة، على أن تكون على وفق شرع الله، وعلى حسب ما بيّن مولانا وسيدنا رسول الله ﷺ.

إذن أنت وأنا -يا أيها الإنسان- كلّفنى وإياك الديّان، بهذه الأشياء الثلاثة: كلفك أن تعرفه، وتتعرف عليه فى نعمه، وتتعرف عليه فى دلائل قدرته، وتتعرف عليه فى بديع إبداع صنعته، وتتعرف عليه إذا استطعت أن تصل إلى مدى حكمته من أصناف الخلائق وأنواعها، وترتيبها، واختلاف أطوالها وأحوالها، وقوتها وألوانها، وأشكالها وأرزاقها. وهذا أمر يطول شرحه، ويحتاج إلى أولى الألباب.

فإذا عرفت الله، وعرفت أنه واهب كل الحياة، وأنه عز وجل هو الذى يتولى الكل بعنايته، بعد أن خلق الجميع بقدرته، وهو الذى يمدّ الجميع بالأرزاق الظاهرة والباطنة من خزائن قدرته، وهو الذى يواليها من حوله وقوته، وهو الذى يلهمها بما فيه حياتها كل حسب حالته وهيئته، رجعت إليه وشكرته، وعبدته ووحدته عز وجل، ولم تشرك به أحداً سواه.

---

(٣) سورة الحجرات: الآية ١٣.

(٤) سورة هود: الآية ٦١.

هذا التكليف يقتضى منك شكر الله عز وجل ظاهراً وباطناً. فأما الشكر الظاهر، فيقتضى أن تقوم جوارحك عاملة على طاعته، وأن تكون سائحة فى الأرض على آداب شريعته. وأن يكون باطنك راضياً بما قدّره سبحانه وتعالى فى الزمان وفى المكان.

الحمد لله كلنا جماعة المؤمنين نقوم بأركان الإيمان، نصلى لله، ونصوم والحمد لله، ونخرج الزكاة، ومن استطاع منّا الحج فإنه يسارع إلى بيت الله. لكننا نحتاج إلى وقفة قصيرة عند تسليم القلوب لحضرة الله عز وجل. علينا أن نرضى عن الله، حتى ندخل جميعاً فى قول الله عز وجل:

﴿ رضى الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشى ربه ﴾[٥].

هو سبحانه رضى الله عنهم، وهم رضوا عن أحكامه وأقداره التى لا حيلة لنا فى ردّها، ولا تصريف لنا فى دفعها.

ومثال ذلك: منّا من أعطاه الله الولد، ومنّا من حرمه الله من الولد، لحكمة يعلمها، ولغاية لا نستطيع أن نبيّنها، ولكنه عز وجل يعلم سرّها وحقيقتها، ومنّا من أعطاه الله الذكور، ومنّا من أعطاه الله الإناث، ومنّا من أعطاه الله من الإثنين. ونحن جميعاً أو معظمنا لا يرضى عن هذه الحالة، فلا الذى عنده الأولاد راضياً، ولا الذى عنده البنات راضياً، ولا الذى عنده الصنفين راضياً، ولا الذى ليس عنده راضياً. عدم رضاءك هذا ماذا سيحل فى هذه المشكلة؟ وماذا سيصنع فى هذه المعضلة؟.

لكن المؤمن عليه أن يسلم الأمر لله، ويحمده عز وجل على حسن عطاياه، فإنه سبحانه وتعالى أبصر بما ينفعنى من نفسى، وأعلم بما يصلحنى من أبواى وأهلى، وإخوانى وأقاربى. وهو سبحانه وتعالى المعطى والمانع. اسمه المعطى واسمه المانع. فلم أرضى عن المعطى إذا أعطى ولا أرضى عن المانع إذا أمسك؟.

---

(٥) سورة البيّنة: الآية ٨.

مع أن إمساكه ومنعه لحكمة عالية وغالية، لا أستطيع فهمها. وربما يعطينى ما طلبت جبراً لخاطرى، فأدرك بعد حين أن اختيار الله لى كان أولى من الطلب الذى توجهّت به لرب العالمين عز وجل.

حكمة الإبتلاء بالمرض

فالمؤمن يرضى بما قضى الله، ويرضى بما قدّر الله.

ومثال آخر: المرض. مَن منّا يرضى لنفسه بالمرض؟.

ومَن منّا يجلب لنفسه الألم والتعب؟.

فالمرض يأتى لنا جماعة المؤمنين، ولكن ليس مثل ما يعتقد الجاهلون. فالذى جعل الناس لا ترضى بقضاء الله كلام الجاهلين. فعندما يرون الرجل يمشى يقولون ليس عنده عِيال، هذا الكلام عندما يسمعه يغيّر حالة الرضا التى عنده، وهذا الكلام يغضب الله عز وجل، وسيؤاخذ الله صاحبه على ما قال.

كيف يعيّر مؤمناً على شيء ليس بإمكانه؟.

وإنما الفاعل له هو الله عز وجل، فهو وحده الذى: **﴿يهب لمن يشاء إناثاً ويهب لمن يشاء الذكور، أو يزوجهم ذكراناً وإناثاً ويجعل من يشاء عقيماً﴾**(٦).

وليس لأحد منّا فى هذا الأمر صغيراً أو كبيراً.

وكذلك إذا مرض، نؤذيه بألسنتنا ونقول إنه مرض لأنه ظالم، أو مرض لأنه فعل كذا، أو لو كان حدث بينى وبينه شيء، أقول هذا المرض انتقام من ربنا أنزله عليه من أجل خاطرى أنا.

(٦) سورة الشورى: الآيتان ٤٩، ٥٠.

سبحان الله! هذا الكلام الذى نسمعه يا عباد الله يجب أن نزيله من قاموس المؤمنين، ومن ألفاظ الموحدين. فإن المؤمن مهما بلغ به الضرّ لا يرضى بأذية أخيه المؤمن، ولا يرضى بضرّ يصاب به أخاه المسلم، وإنما هو كما قال رسول الله ﷺ:

«لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»(٧).

فالمرض إذا جاء للمؤمنين ليس عقاباً من الله، وليس بلاءً من الله. وبلاء يعنى إيذاء، وإنما هو لطف من الله، وكرم من الله، وطهرة من الله للمؤمنين الذين آمنوا بالله عز وجل.

يمكن أن يمرض واحد عندنا قبل الموت، ويطول المرض بعض الشيء ثلاث أو أربع سنوات، فيكثر الكلام، والقيل والقال من الجاهلين ويقولون: كيف يمرض أربع سنوات وربنا لا يريد أن يرحمه ويميته؟ مع أن رحمة الله به هذا المرض. قال ﷺ فى الحديث:

«إذا أحب الله عبداً أمرضه قبل أن يموت»(٨).

لماذا؟.

قال ﷺ فى الحديث الآخر:

«مرض يوم يكفّر ذنوب سنة»(٩).

وهذا للمريض الصابر الذى لا يشتكى ولا يتضرر، ولا يتألم، ولا يقول (اشمعنا) أنا الذى ينزل علىّ كذا ويترك فلان الذى لا يصلى وفلان العاصى.

---

(٧) رواه الترمذى عن أبى هريرة رضى الله عنه.

(٨) ورد بلفظ (الحمىّ رائد الموت)، خرّجه الطبرانى فى الكبير والعسكرى والبخارى فى التاريخ عن عبد الرحمن بن المرقّع.

(٩) رواه القضاعى فى مسنده عن ابن مسعود وابن أبى الدنيا عن أبى الدرداء.

مالك أنت؟.

﴿ **لا يُسأل عمّا يفعل وهم يسألون**﴾[(١٠)].

هل ستحاسبه؟.

وهو لماذا يأتى لك بهذا؟.

هذا هو الخير.

اعلم يا أخى علم اليقين، أن أى ألم يصيب أى فرد من المؤمنين، سواء كان الألم فى نفسه، أو فى ابنه، أو ابنته، أو فى زوجته، أو فى ماله، أو فى جسمه، أو همّ أهمّه، كل هذا الألم فإنما هو طهرة ممن يقول للشىء كن فيكون، قال ﷺ:

«**لا يزال البلاء موكلاً بالمؤمن حتى يمشى على الأرض وما عليه خطيئة**»[(١١)].

هذا البلاء جُنْد من جنود الله، وكّلها بالمؤمنين، لماذا؟.

ليطهّرهم من الذنوب، ويغسلهم من العيوب، ويخفف عنهم غضب الله وسخط الله، حتى يخرج المؤمن من الدنيا وليس عليه سيّئة واحدة يطالبه بها الله عز وجل.

ولو كان البلاء نقمة لأصاب به الكافرين من الأمريكان والإنجليز والألمان، لكنهم ماشاء الله صحة وجمال، وأبدان وقوة، وطول وعرض، وخيرات لا عدّ لها ولا حدّ لها، والذى ينظر إلى هؤلاء الجماعة يتهيأ له أنهم أخذوا الخير ونحن فى الضرّ وفى الشر.

أبداً.

---

(١٠) سورة الأنبياء: الآية ٢٣.

(١١) أخرجه ابن ماجه والترمذى عن مصعب بن سعد عن أبيه.

«أولئك عجّلت لهم طيباتهم فى حياتهم الدنيا».

طيباتهم وخيراتهم أعطاها لهم ربنا أجراً عاجلاً فى الدنيا، حتى يخرجوا من الدنيا وليس لهم حسنة، يطالبون الله عز وجل أن يخفف بها من حسابهم أو عقابهم أو عذابهم.

ولو كان المرض شراً، كان ابتلى الله به فرعون. فلقد حكى نبيكم الكريم، أن فرعون موسى -واسمه الوليد بن الرّيان، حكم مصر ٤٠٠ سنة. أربعمائة سنة، وليست أربع سنوات ولا أربعين سنة. أربعمائة سنة- قال ﷺ:

«لم يشكو فى لحظة واحدة منها وجع رأسه قط».

يعنى لاشىء من الصداع، أو الأنفلونزا، ولا أى مرض أبداً.

لماذا؟.

حتى لا يقول يا رب أبداً. لأن الإنسان إذا أصيب بالضر أو بالألم، يلجأ إلى الله، ويشكو إلى الله بلواه، ويرفع إلى الله شكواه، حتى يرفع الله ما نزل به من ضرّ ومن ألم. وهذا لايريد الله أن يسمع صوته، ولايريد أن يهديه لطريقه وسبيله. فعاش فى هذه الصحة، وفى هذه العافية، حتى لا يرجع إلى الله، ولا يتوب إلى الله. وهذا ما غرّه وأطغاه، وجعله ينادى على الناس أن يعبدوه من دون الله عز وجل.

إذن الألم يا إخوانى، والمرض، والهمّ والغمّ، والمشاكل، هذا ليس ضراً يصيب المسلمين، لأنها جنود وكّلها الله بالمؤمنين لتطهير المؤمنين، ولإثابة المحسنين الذين ليس عليهم ذنوب، ولرفع درجات المقربين.

فإذا كان المؤمن عليه عيوب، طهّره بها المرض، وطهّره بها الألم، وطهّره بها الهمّ والغمّ. وإذا كان ليس عليه ذنوب، رفعه الله درجات ودرجات بهذه الأمراض والعلل، وبهذه الهموم والغموم، لأن هذا أمر الحىّ القيوم، الذى لا تأخذه سنة ولا نوم.

فاسمعوا وعوا إلى قول الله عز وجل.

﴿ قل لن يصيبنا إلاّ ما كتب الله لنـا ﴾(١٢).

فلننتبه جيداً إلى ما تشير إليه الآية. فلو كان المرض ذنباً لقال: قل لن يصيبنا إلاّ ما كتب الله علينا، لأن الذى لى الحسنات والقربات، والذى علىّ الذنوب والأوزار، وربنا قال فى الآية:

﴿ قل لن يصيبنا إلاّ ما كتب الله لنـا ﴾.

وما الذى كتبه لنـا؟.

إما حسنات، أو درجات، أو قربات، أو ميراث عند الله عز وجل.

حكمة التداوى من الأمراض

وليس معنى ذلك أن نترك الداء ولا نبحث عن الدواء. لقد قال ﷺ:

«تداوَوْا عباد الله فإن الله كما خلق الداء خلق الدواء»(١٣).

لكننا نذهب إلى الأطباء، ونبحث عن الشفاء، ونعتقد أن الشافى هو الله، وأن البـارىء هو الله، وأن المعـافى هو الله، وأن مانح الصحة والقوة والعافية هو الله، وتلك أسـباب نطرق أبوابهـا بأمر الله، حتى يحـدث لنـا ما بشّرنا به رسـول الله ﷺ.

فقد مرض سيدنا موسى عليه السلام بأضراسه، واشتكى شدة وجعها وألمها إلى الله عز وجل، فأوحى الله عز وجل إليه أن اذهب إلى أرض كذا

(١٢) سـورة التوبة: الآية ٥١.
(١٣) أخرجه أحمد والأربعة والحاكم عن أسماء بنت شريك.

فذهب إلى هذا المكان وأخذ النبات، ووضعه على أضراسه، فشفى بإذن الله عز وجل. وبعد وقت من الزمن عاد إليه الألم، فاعتقد فى نفسه أنه عرف سرّ الشفاء، فذهب إلى نفس المكان وأخذ من نفس النبات ووضعه على أضراسه، فزاد الألم. فقال: يارب ما هذا؟ ألست الذى أمرتنى أن أتداوى بهذا النبات؟ فأوحى الله إليه: «يا موسى فى المرة الأولى رجعت إلينا فجعلنا الشفاء فى النبات فشفيت بإذننا، وفى المرة الثانية ذهبت إلى النبات، ولم ترفع القلب واللسان إلينا، فنزعنا الشفاء من النبات، فلم يدركك الشفاء».

فالشافى هو الله، فإذا شاء وضع سرّ الشفاء فى قرص إسبرين، وإذا شاء وضع سر الشفاء فى قطرة من ماء عليها بعض الملح، وإذا شاء جعل الشفاء فى راحة عبد مؤمن يضعها على مكان الألم ويقرأ آيات من كتاب الله، أو رقيّات واردة عن رسول الله ﷺ، فيدفع الله الألم بإذن الله. وإذا ذهبت إلى كبار الأطباء، وأساتذة الحكماء، وعندهم أحدث الأجهزة العلمية، ولكن الله لايريد الشفاء، ماذا يفعل الطبيب إذا لم يرد البارىء عز وجل لك أن تطيب؟! وماذا يفعل الحكيم إذا لم يقدر لك العليم أن تشفى بإذن الوهاب الكريم؟.

فعلينا أن نذهب إلى الأطباء، ونأخذ الدواء، ونعتقد أن الشفاء من الله عز وجل، وأن البرء من الله عز وجل، وأن النفع والضر من الله سبحانه وتعالى. قال ﷺ: يقول الله فى حديثه القدسى:

«إذا أحببت عبدى ضيّقت عليه فى معيشته، وأسقمت جسمه، وأحاسبه على ذلك بمثاقيل الذر، حتى لا تبقى عليه سيئة واحدة أطالبه بها، فإذا بقى عليه شىء، شدّدت عليه سكرات الموت، حتى يخرج من الدنيا وليس عليه سيئة واحدة أطالبه بها.

وإذا أبغضت عبدى وسّعت عليه فى معيشته، وأصححت له فى جسمه، وأحاسبه على ذلك بمثاقيل الذر، حتى لا يبقى له حسنة

واحدة يطالبنى بها. وإذا بقى له شيء من الحسنات، خفّفت عليه سكرات الموت، حتى يخرج من الدنيا وليس له حسنة واحدة يطالبنى بها»(١٤).

«ادعــو الله وأنتم موقنون بالإجابة »(١٥).

أسرار ابتلاء الله للمؤمنين

الحمد لله رب العالمين. الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنّـا لنهتدى لولا أن هدانا الله. وأشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، وضّح لنا طرق الخير، وبيّن لنا سبل البرّ، وأمرنا باتباع حبيبه ومصطفاه. وأشهد أن سيدنا ومولانا محمد عبد الله ورسوله، رسول النبيين، وإمام الأولين والآخرين، وقائد الغرّ المحجلين إلى رضوان رب العالمين.

اللهم صلِّ وسلم وبارك عليه صلاة ترفعنا بها إلى درجته فى جنّـات النعيم، وتنفعنـا بهـا بشفاعته يوم الدين، وتجعلنـا بهـا فى الحيـاة الدنيـا من الموفقين أجمعين.. آمين يارب العالمين.

(أما بعـــد)...

فيا إخواني وأحبابى: علينا نحو الله عز وجل مع العبادات أن نرضى بقضائه، ولا نيأس عند بلائه، ولا نندم ولا نشكو عند اختباره، لأنه عز وجل أولى بنا من أنفسنا، وأرحم بنا من آبائنا وأمهاتنا.

ولنعلم علم اليقين أن الله عز وجل ما قدّر لنا جماعة المؤمنين إلاّ كل خير، وإلاّ كل برّ، وإلاّ كل مكرمة، وإلاّ كل سـبيل إلى جنّـات النعيم. فإنه عز وجل قال للدنيـا:

---

(١٤) ورد فى إحياء علوم الدين (طبعة دار الشعب) ص٢٢٨٩ عن ابن عباس على لسان أحد الأنبياء.

(١٥) رواه الترمذى والحاكم عن أبى هريرة رضى الله عنه.

«تمـــرّى ولا تحـــلولى لعبـادى المؤمنين فيغترّوا بك ويركنوا إليـــك عنى» [١٦].

فهو يحب المؤمنين، ولأنه يحب المؤمنين، دائماً يعكّر عليهم صفو الدنيا، حتى يرجعـــوا إلى الله، وحتى يظلّوا منتظمين فى صـــفوف عبـــاد الله، فإن الإنسان –والله أعلم به– قال عنه فى كتابه:

﴿ إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى﴾ [١٧].

إن وجد السّعة فى المال، والسّعة فى الولد، والسّعة فى الصحة ربما يغتر، وربما يبعد عن طريق الله، وربما يزهو بطاعته، ويدّل بها على الله. وهو لأنه مؤمن، حبيب الله –وكل مؤمن حبيب لله، وولى لله، واجتباه الله واصطفاه الله عز وجل، يحب عباده المؤمنين– فإذا أصاب ذنباً، أو ارتكب إثماً، يسارع الله عز وجـل إليـه فيبتليه بشىء يكفّر عنه هذا الذنب وهذا الإثم، كما قال عز وجـل:

«أهل ذكـرى أهل مـجالـستى، وأهل شكرى أهل زيادتى، وأهل معصيتى لا أقنطهم من رحمتى. إن تابوا إلىّ فأنا حبيبهم وأنا أحب التوابين وأحب المتطهرين، وإن لم يتوبوا فأنا طبيبهم، أبتليهم بالمصائب لأطهّرهم من المعائب» [١٨].

فإذا كانوا متطهّرين، فهذه رفعة درجة لهم مع الأبرار والمقربين. وقد كان أصحاب نبيكم الكريم صلوات الله وسلامه عليه، ورضى الله عنهم أجمعين يقولون –عندما سألهم ﷺ:

أمؤمنون أنتم؟ قالوا: مؤمنون ورب الكعبة.

---

(١٦) رواه البيهقى فى شعب الإيمان عن قتادة بن النعمان رضى الله عنه.
(١٧) سورة العلق: الآيتان ٦، ٧.
(١٨) ذكره أحمد فى مسنده.

قال: لكل قول حقيقة، فما حقيقة إيمانكم؟.

قالوا: نصبر عند البلاء، ونشكر عند الرخاء، ونرضى بمُرّ القضاء، ولا نظهر الشماتة بالأعداء». أى حتى مصائب الأعداء لا يشمتون بها.

فقال ﷺ: «مؤمنون ورب الكعبة»[١٩].

السعادة فى الرضا عن الله

ونحن أحوج مانكون لهذه الصفات المعنوية فى قلوبنا، فندرّب قلوبنا، وندرّب أزواجنا، وندرّب بناتنا، وندرّب أولادنا على الرضا بقضاء الله، وعلى التسليم لأمر الله.

فكم من مرة يخرج الرجل منّا فى الصباح متجهاً إلى طريق، فيحوّله المولى عز وجل بغير استعداد إلى طريق آخر، ويجد السعادة فيما أدّاه إليه الله عز وجل.

وكم ولد من أولادنا يريد دراسة معيّنة، ويحوّله الله إلى دراسة أخرى، ويجد السعادة فيما اختاره الله عز وجل.

وكم من رجل اختار لابنه فلانة ليتزوجها، وظن أن الخير كل الخير فيها، وحوّله الله عز وجل إلى زوجة غيرها، فتحقق أن مراد الله هو الخير كله، لأنه أعلم بعباده من عباده بأنفسهم.

وكم من مرة فكّرت فى زراعة أرضك فى ميعاد كذا، فأخّره الله إلى وقت آخر، وظننت أن التأخير يترتب عليه ضياع المحصول. فكان فى التأخير المحصول الوفير بأمر العلى القدير عز وجل.

---

(١٩) رواه مسلم.

فإذا كان الأمر كذلك، وعلمت أن الله هو الفعّـال لما يريد، لمَ تغضب إذا حـوّلك المولى عمّـا تريد؟ ولمَ تحـزن إذا صرفك عمّـا تريد؟ وحزنك لا يقدّم ولا يؤخر شيئاً، وغضبك لا يغيّر من الواقع شيئاً.

فإذا رضيت بأمر الله، حـدث مراد الله ونلت أجر الراضين والصابرين. وإذا غضبت على قضاء الله لم تستطع أن تغيّر من واقع الأمر شيئاً، وفاتك أجر الصابرين وأجر الراضين. فأنت خاسر يا أخى فى هذه الحالة لأنها ليست أحوال المؤمنين.

نسأل الله عز وجـل أن يرضّينا بقضائه، وأن يرزقنـا الرضـا عنـد بلائه، وأن يحققنا بالاتباع الصادق لسيد أنبياءه.

اللهم كن لنا ولا تكن علينا، وأنزل برد الرضا على قلوبنا على كل أمر تريده منّـا، وارزقنا أحوال الشاكرين، واجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه يا أكرم الأكرمين.

اللهم أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل زاهقاً وهالكاً وارزقنا اجتنابه.

اللهم بارك لنا فى أولادنا، وبارك لنا فى أزواجنا، وبارك لنا فى أموالنا، وبارك لنا فى أرزاقنا، وبارك لنـا فى أجسامنا، وبارك لنا فى ديننا، وبارك لنـا فى بلدنا، وبارك لنا فى كل شىء لنا أو حولنا، يا أرحم الراحمين.

اللهم اغفر لعبادك المسلمين والمسلمات، والمؤمنين والمؤمنات، الأحياء منهم والأموات، إنك سميع قريب مجيب الدعوات يا رب العالمين.

اللهم انصر عبـادك المسلمين فى البوسـنة وأذربيجان يارب العـالمين، وفى كل بلد من بلدان المسلمين، واجعل الدائرة على الكافرين، وأنزل عليهم عذاباً من عندك يقضى عليهم يا أرحم الراحمين.

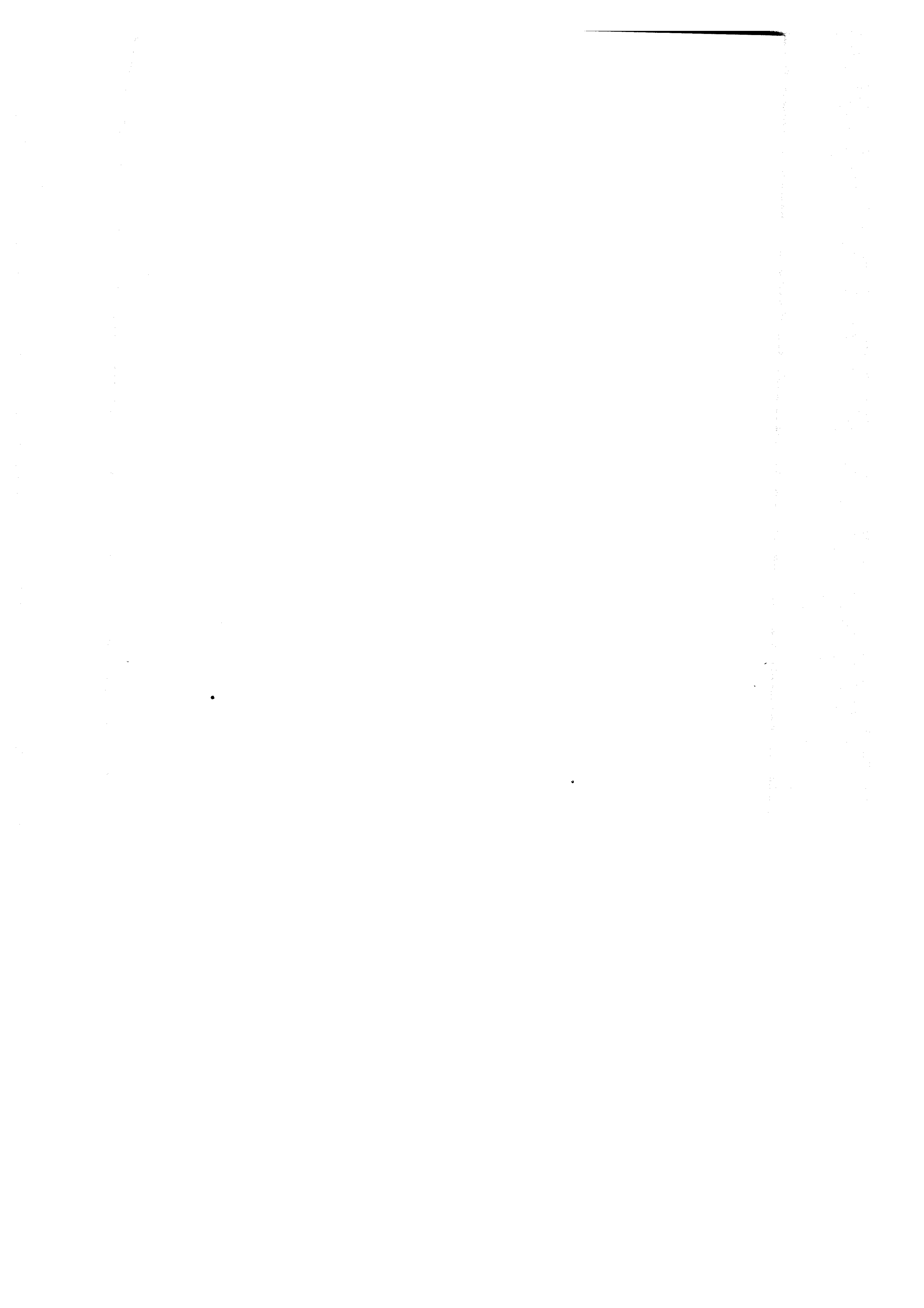
اللهم وفق حكام المسلمين للعمل بكتابك، ولتنفيذ سنة خير أحبابك.

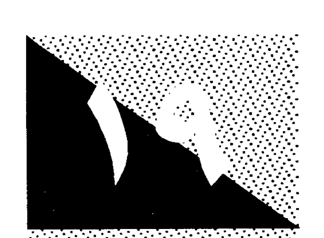
عباد الله: ﴿ **إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون** ﴾[٢٠].

اذكروا الله يذكركم واستغفروه يغفر لكم.

وأقم الصلاة.

(٢٠) سورة النحل: الآية ٩٠.





كبائر القلب

★ الشرك الخفى
★ الخلاص من الشرك الخفى
★ النوع الثانى من الشرك (أمن جانب الله)
★ اليأس من رحمة الله
★ الإصرار على المعصية

ألقى هذا الدرس بعد صلاة الجمعة بالمسجد الكبير بقرية نزلة البرقى – مركز الفشن – محافظة بنى سويف وذلك يوم ١٩٩٣/٨/٦م

كبائر القلب

هناك أشياء يعملها الإنسان مستسهلاً، ظاناً أنها ليست ذنوب، أو معتقداً أنها صغائر ولا تضره. فإذا نظرنا إليها نظرة فاحصة، مستلهمين كتاب الله وسنة رسول الله، وجدنا أنها كبائر.

والكبائر تحتاج إلى توبة نصوح، حتي يتوب ربنا على الإنسان ويقبل منه هذه التوبة. فلا يكفى أن يقول أستغفر الله العظيم فقط.

توجد كبائر يرتكبها الإنسان بالقلب، ولذلك لا يدرى بها، عكس الكبائر الظاهرة. فلو أحدنا قتل فهو يعرف أنها كبيرة من الكبائر. ولو آخر زنا فإنه يعرف أنهـا كبيرة من الكبائر. ومن سرق يعرف أنها كبيرة من الكبائر. ومن عقّ الوالدين يعرف أنها كبيرة من الكبائر، ومن فرّ من ميدان القتال يعرف أنها كبيرة، ومن شرب الخمر يعرف أنها كبيرة، ومن أكل الربا أيضاً يعرف أنها كبيرة، ومن أكل مال اليتيم أيضاً يعرف أنها كبيرة. لكن كبائر القلب كم عددها يا إخوانى؟.

أربعة... نحفظهم جيداً ونأخذ بالنا منهم جيداً.

أولها: الشرك بالله عز وجل.

وثانيها: اليأس من رحمة الله، أو القنوط من رحمة الله عز وجل.

والثالثة: أمن جانب الله وعدم الخوف من مكر الله عز وجل.

والرابعة: الإصرار على أية معصية.

سنكررهم مرة أخرى ونفسرهم مع بعضنا سريعاً، وسوف لا نطيل عليكم: الكبائر التى يفعلها الإنسان بقلبه ولا يدرى أنها كبيرة، لأنه لم يفعلها

بجارحة من جوارحه: أولها: الشرك بالله، وثانيها: اليأس من رحمة الله، والقنوط من رحمة الله، والثالثة: أن يأمن الإنسان جانب الله ولا يخاف من مكر الله ومن عقاب الله عز وجل، والرابعة: الإصرار على المعصية.

الشرك الخفى

هل يوجد أحد منا غير مؤمن؟.

كلنا مؤمنون.

إذن كيف يأتى الشرك؟.

يوجد شرك آخر اسمه الشرك الخفى، الذى يقول فيه ربنا: **﴿وما يؤمن أكثرهم بالله إلاّ وهم مشركون﴾**[1].

وقد فسّرها سيدنا رسول الله ﷺ حيث قال: **«الشرك أخفى من دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء فى الليلة الظلماء»**[2].

ماهذا الشرك يا رسول الله؟.

قال: **«مَن صلى يُراءى فقد أشرك، ومَن حجّ يراءى فقد أشرك، ومن زكّى يراءى فقد أشرك»**[3].

ما معنى صلّى يراءى؟.

يعنى لم يأت للصلاة لله، لكن من أجل الناس. ترى الرجل تقول: إنه حضر ليصلى لله، لكنه يخدع الناس. وهذا يقول فيه الله عز وجل:

---

(١) سورة يوسف: الآية ١٠٦.

(٢) رواه ابن ماجه والحاكم من حديث شدّاد بن أوس رضى الله عنه.

(٣) رواه الترمذى وابن ماجه وأحمد.

﴿ يخادعــون الله والذين آمنــوا وما يخادعـون إلاّ أنفسـهم وما يشـعرون﴾[٤].

فهو يغش نفسه. وهذا نوع من أنواع الشرك الخفى.

نوع ثان: يطوّل فى العبـادة، ويجدّ فيهـا بعض الشىء، حتى أنه يعتقد أنه أفضل من غيره، ويقول لا يوجد أحد مثلى. لماذا؟ يقول: لا أحد يصلى صلاتى، ولا أحد يقرأ قراءتى، ولا أحد يعمل مثلى.

هذه ما اسمها؟.

اسمها الإعجاب بالنفس. أعجب بنفسى، وأفرح بهـا.

مَن أوّل من أعجب بنفسه؟.

إبليس.

هل إبليس كفر بالله؟.

أبداً، لم يكفر.

إذن ما الذى أضاع إبليس؟.

قال: أنا أحسن من هذا، وأنا خير منه.

لماذا قال هذا القول؟.

لأنه ظل يعبـد الله عز وجل ثنتان وسبعين ألف سـنة، حتى قال ﷺ: **«ما فى السموات السبع موضع شبر إلاّ ولإبليس فيه سجدة لله عز وجل»**[٥].

فكثرة العبادة جعلته يغترّ، فظن أنه أحسن من كل الناس. فكان مصيره عند الله عز وجل أن قال له:

﴿ اخرج منهـا مذءوماً مدحـوراً ﴾[٦].

---

(٤) سـورة البقرة: الآية ٩.

(٥) أخرجه أحمد والترمذى وابن ماجه وأبو نعيم عن أبى ذرّ.

(٦) سـورة الأعراف: الآية ١٨.

هل هو وحـده؟.

لا، بل كل مَن يغترّ مثله.

﴿ لمن تبعـك منهم﴾[7].

في ماذا؟.

في الغرور والإعجاب بالنفس.

﴿ لأملأنّ جهنم منكم أجمعين﴾[7].

أنتم مع بعضكم البعض، فيصبحون مع إبليس.

أما المؤمن، فيعبد الله، ويخاف من القبول. هل سيقبل المولى عز وجل منه هذا العمل أم لا؟.

ولذلك علّم النبي ﷺ أصحابه أن يقولوا عقب كل صلاة: «**أستغفر الله العظيم الذى لا إله إلاّ هو الحيّ القيوم وأتوب إليه**».

م نستغفر؟ هل سرقنا أو فعلنا منكرا!؟.

لا، ولكن لا يستطيع أى منا أى يؤدى الصلاة المطلوبة على أكمل وجه. فأنا أقول: يارب أنا أستغفر لك من التقصير، فقد سهوت فى الركوع، وغفوت فى السجود، فإذا لم تغفر لى برحمتك فقد ضعت.

لو حاسبنا بالحساب الدقيق الموزون هل يوجد أحد منا ينجو؟.

كلاّ، بل لو حاسبنا الله على أرجى عمل عملناه بميزان العدل لهلكنا جميعاً.

والنبى ﷺ نبّه إلى هذا، حتى لا يغترّ أحد بالعمل فقال: «**لن يدخل أحدكم الجنة بعمله. قالوا: حتى أنت يارسول الله. قال: حتى أنا، إلاّ أن يتغمدنى الله برحمته**»[8].

---

(٧) سورة الأعراف: الآية ١٨.

(٨) متفق عليه من حديث أبى هريرة رضى الله عنه.

وهناك المثل الذى تحفظونه للرجل الذى ظل يعبـد الله خمسمائة سنة فى جـزيرة، وسـيدنا جبريل يقول: نحن صاعدون هابطـون نتطلّع عليـه -وقد جعـل الله له عين ماء يتوضـأ ويشرب منهـا، وشجرة رمان تخرج له كل يوم صيفاً وشتاءً رمانة ناضجة، يفطر عليها وقت المغرب، ويقوم الليل ويصوم النهار ويفطر على هذه الرمانة، ويتعبد لله، وطلب من الله أن يقبض روحه وهو صائم. فلبى المولى عز وجل طلبه- يقول: نمرّ عليه وهو ساجد ونجد له فى علم الله أنه يوم القيامة يقول الله سبحانه وتعالى:

«أدخلوا عبدى الجنة برحمتى. يقول له: لا، بعملى. يقول سبحانه أدخلوا عبدى الجنة برحمتى. يقول: بعملى. فيقول: أدخلوا عبدى النار، فيسـحبونه إلى النـار، فيستغيث ويقول: يارب يارب، يقـول له: رصـيدك فى الخمسمائة سنة يوضع فى كفة، واحضروا له فاتورة واحدة.

أنت كل يوم لو أن ربنا طالبك بفاتورة واحدة من الفواتير التى عليك، فاتورة النظر أى الكهرباء الخاص بالعين، أو فاتورة الميـاه، أو فاتورة الحيـاة، أو فاتورة العقل. لو طالبك بفاتورة واحدة من هذه الفواتير، من الذى يستطيع أن يسـدّدها؟.

فوضعوا فاتورة واحـدة من هذه الفواتير (الكهرباء) لينظروا كم عليه لله عز وجل؟.

فرجحت كفة البصر بعمل الخمس مائة سنة. حتى لا يركن الإنسان إلى العمل، أو يعمل لكنه لا يعتقد أنه خير من غيره بهذا العمل. هذا العمل يتوقف على القبول، والقبول يقول فيه الله عز وجل:

﴿ **إنما يتقبـل الله من المتقين**﴾[٩]. وأنا لا أعـرف إن كنت من المتقين أو من غير المتقين.

---

(٩) سـورة المائدة: الآية ٢٧.

إذن عليّ أن أعبد الله عز وجل على النهج الذى وصف الله عز وجل به المؤمنين فى كتابه حيث قال:

﴿ يدعون ربهم خوفاً وطمعاً ﴾(١٠).

فالخوف أولاً قبل الطمع فى الجنة. فيخافون أن يُردّ هذا العمل ولا يقبل، وطامعين فى قبول الله وفى رضوان الله عز وجل.

الخلاص من الشرك الخفى

فمن أنواع الشرك الخفى أن الإنسان منا يعتقد أن له شأن وهو الذى يعمل هذه وهذه. ولذلك جماعة المؤمنين قالوا: الواحد منا لا يصح أن يقول هذه منى أو ملكى أو لى هذه، بل لو سئل: من أين لك هذا؟ يقول: من الله عز وجل.

الزراعة هذه أنت اجتهدت فيها فأنتجت، لا يقول باجتهادى لأنه لو قالها وقع فى الشرك الخفى. أو فهمى يفوق كل الفهوم، ولا يستطيع أحد أن يصل إلى هذا الإنتاج.

لا، بل قل: هذا فضل الله، وتوفيق الله، ومعونة الله، وإكرام الله، الذى أثمر هذا الزرع.

وكذا أولادك يا فلان ماشاء الله مهذّبين

فيقول: نعم، أنا الذى أدّبتهم، وأنا الذى أعلّمهم.

أنت!!.

هذا ابن سيدنا نوح، لم يقدر هلى هدايته، وهو مَثلٌ ضربه لك الله عز وجل.

---

(١٠) سورة السجدة: الآية ١٦.

إذن من أين الهداية؟.

﴿ **قل إنّ هــدى الله هو الهـدى** ﴾[11].

فإذا لم يهديه سبحانه، ماذا تعمل أنت؟.

لو أحضرت له شـيوخ العلماء لكى يهـدونه، ولا يوجـد أمـر من الله، أو إرادة من الله، ماذا تعمل معه؟.

من أين تأتى الهداية؟.

من الله.

إذن كل تصاريف الأمور من الله، فلا تنسبها لنفسك. وكل خير أجراه الله على يديك، أو أجـراه الله لك، فلا تقـل: هـذا بسببى، أو بمهـارتى، أو بشطارتى، ولكن قل: هذا بسبب معونة الله وتوفيق الله.

وقد ضرب الله عز وجل المثـل فى ذلك فى القرآن بقارون عندما سئل عن سبب ثرائه وغناه، وكثرة الخيرات التى رزقه بها الله عز وجل، فجحد نعمة الله، ونسب الفضل كله لنفسه، وقال كما أنبأ عنه الله:

﴿ **إنما أوتيته على علم عنـدى**﴾[12].

فكان نتيجة جحوده أن غضب عليه الله عز وجل، وأمر الأرض أن تبتلعه وكل ما يحيط به من أهل ومال وولد، وفى ذلك يقول الله عز وجل:

﴿ **فخسفنا به وبداره الأرض**﴾[13].

وكذلك فرعون مصر، عندما طغى وادّعى الألوهية، ونسب كل فضل فى مصر، وكل خير بمصر إلى نفسه، وقال كما حكى عنه الله.

---

(١١) سـورة البقرة: الآية ١٢٠.

(١٢) سـورة القصص: الآية ٧٨.

(١٣) سـورة القصص: الآية ٨١.

﴿ أليس لى ملك مصر وهذه الأنهار تجرى من تحتى﴾(١٤). فعاقبه الله، وأغرقه ومن معه.

وهكذا الأمر، فذاك غرق فى الأرض، وهذا غرق فى البحر، لماذا؟.

لأن هذا نسب المهارة والشطارة لنفسه، وهذا جعل مصر كلها ملكه.

إذن ماذا أقول؟.

هذه من الله، وهذا بتوفيق الله، وهذا بمعونة الله.

وهذا يا إخوانى فى كل خير يجريه لى الله عز وجل.

﴿ ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك﴾(١٥).

الأمر الثانى: إذا أصابنى مرض، مابك يا فلان؟.

أقول: ربنا جاء به.

أو أقع فى ضرّ فأقول: جاء به ربنا.

أو لا أصلى، فإذا سئلت: لماذا لا تصلى؟.

أقول: ربنا يريد هذا، ولو أرادنى أن أصلى سيجعلنى أصلى.

هذه كبيرة من الكبائر، وهذا شرك ظاهر، لأن الله عز وجل أخبر عن ذاته فقال:

﴿ إنّ الله لا يأمر بالفحشاء ﴾(١٦).

حقاً الهداية من الله. لكنه قال فى شأن قوم ثمود:

---

(١٤) سورة الزخرف: الآية ٥١.
(١٥) سورة النساء: الآية ٧٩.
(١٦) سورة الأعراف: الآية ٢٨.

﴿ **فأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى**﴾[١٧].

أى نحن هديناهم، لكنهم اختاروا العمى.

هذا الأمر يؤدى إلى:

النوع الثانى من الشرك وهو:

أمن جانب الله

لماذا لا تصلى يا فلان؟.

يقول: ربنا غفور رحيم، أو أنه تواب كريم، أو خذني على جناحك، أو إن شاء الله سأدخل الجنة قبلك، وهكذا حتى وصل الأمر فى هذا الزمان الذى نحن فيه، أنه إذا قيل: يا فلان لماذا لا تصلى؟ يقول: إننى سأقفز من على السور وسأدخل الجنة قبلك.

وهذه كبيرة من الكبائر التى لا توبة لها إلاّ إذا رجع إلى الله، ونزف الدمع والدم بين يدى الله، حتى يتوب عليه عز وجل.

وقد يأتى بعض الجهلة منهم ويقول: النار أفضل من الجنة.

لماذا؟.

يقول: النار فيها أم كلثوم وعبد الحليم حافظ، وأنا أريد أن أكون معهم لكنكم مع الفقراء والمساكين الداخلين الجنة.

وصل الأمر بكثير من شبابنا إلى هذه الترّهات، ولم يفطن إلى أنه يستهزىء بالله عز وجل. وهذا -والعياذ بالله- نهايته سوء الخاتمة.

---

(١٧) سورة فصلت: الآية ١٧.

فأنت إذا ابتليت وكنت غير قادر على نفسك، فعليك بقول النبى ﷺ: «**إذا بليتم فاستتروا**»[١٨].

أى على الأقل تستتر. فالإنسان الذى يأمن جانب الله، أى الذى لا يصلى ويعتقد أن الله سيغفر له، أو يشرب السيجارة فى نهار رمضان علناً، ويقول أنا مريض – مع أن المريض لا يصح أن يجهر بالفطر أمام المسلمين، لقوله ﷺ:

«**كل أمتى معافى إلاّ المجاهرين**»[١٩].

اليأس من رحمة الله

فالذى يأمن مكر الله يا إخوانى، وقع فى كبيرة من كبائر القلوب. وكذلك مثلها الذى ييأس. ولذلك ليس لدينا فى الإسلام حوادث انتحار، لأنه لا يوجد فى الإسلام أى مبرّر للإنسان أن ينتحر.

لماذا ينتحر الإنسان؟.

إذا أظلمت الدنيا كلها فى وجهه. وهذا يقول فى شأنه الله:

﴿ **ومن يقنط من رحمة ربه إلاّ الضالون**﴾[٢٠].

فالذى يقنط من رحمة الله، أى ييأس من تحقيق أى أمر يريده ضال. لماذا؟.

مثلاً إذا مرضت مرضاً احتار فيه الأطباء.

أليست معجزات ربنا جعلها للمؤمنين.

---

(١٨) رواه الحاكم من حديث ابن عمر رضى الله عنهما.

(١٩) متفق عليه من حديث أبى هريرة رضى الله عنه.

(٢٠) سورة الحجر: الآية ٥٦.

هذه المعجزات نراها فى كل وقت وحين.

كم من مريض يأس الأطباء من شفائه، شفاه الله فى طرفة عين!! أليس يحدث هذا يا إخوانى؟.

سيدنا الإمام البوصيرى، وأنتم تحفظون البردة، متى قالها؟.

حينما جاء له شلل كلى، وليس نصفى، بل شلل كلى.

والأطباء قالوا: ليس له شفاء. ماذا يعمل؟.

قال لهم: إذا كان بابكم أنتم قد سدّ فباب الله مفتوح وباب رسول الله مفتوح، وظل يصلى على سيدنا رسول الله ويقول كما نحفظ:

مولاى صلّ وسلم دائماً أبداً
على حبيبك خير الخلق كلهم

وظل يصلى حتى جاءت ليلة، وجد رجلاً جاء ومسح بيده عليه، وكلما مسح بيده على جزء يشفى بإذن الله.

فقال له: مَن أنت؟.

قال: أولست تعرفنى؟.

قال: لا.

قال له: أنا نبيّك، وجئتك لأنك تصلى علىّ.

فاستيقظ من النوم وقد شفى تماماً، فقال بردته المباركة والتى منها:

ما سامنى الدهر ضيماً واستجرت به
إلاّ وجدت جواراً منه لم يضَم

أى لا أقع فى مشكلة وأقول يا رسول الله، إلاّ حلّت.

وهذا أيضاً كالرجل الذى ذهب إلى رسول الله ﷺ وقال له: إنّ نظرى سُلب منّى، وليس عندى من يقودنى.

قال له: إن شئت صبرت، ولك الجنة.

قال: لا أستطيع الصبر

قال له: صلى ركعتين من غير الفريضة (أى نفل وسنة) وقل بعد الركعتين:

«يا محمد يا نبى الرحمة، يا كاشف الغمة.

اللهم إنى تشفّعت به إليك فى حاجتى هذه لتقضى.

اللهم فشفّعه فىّ».

فصلى الرجل الركعتين، وقال الدعاء فأبصر بإذن الله فى الحال.

وهذه المعجزات كثيرة وأنتم تعلمون منها أكثر منى، فباب الله مفتوح، وكلنا والحمد لله ربنا أجرى على أيدينا كرامات.

فكم من وقت لايجد الإنسان فى جيبه مال، وفى الحال يلجأ إلى الله، فيجد أن ربنا فتح له باباً من حيث لا يحتسب من قول الله عز وجل: **﴿والله يرزق من يشاء بغير حساب﴾**(٢١).

من أجل هذا فالمؤمن لا ييأس من رحمة الله عز وجل أبداً.

الإصرار على المعصية

وأيضاً الإصرار على المعصية. إذا ارتكبت ذنباً وندمت عليه وتبت، فلا أرجع له مرة أخرى. وكونى أعود إليه وأصرّ على ذلك، فهذه كبيرة من الكبائر التى نسمّيها كبائر القلوب.

---

(٢١) سورة النور: الآية ٣٨.

فكبائر القلوب يا إخواني أخطر ما يتعرض له الإنسان، لأنه لا يدرى ولا يحسّ بها. فالمؤمن دائماً يطهّر نفسه من هذه الكبائر.

أما حق المؤمن لإخوانه لتعارفوا.

وأما حق المؤمن فى استخلاف الله له فى الأرض.

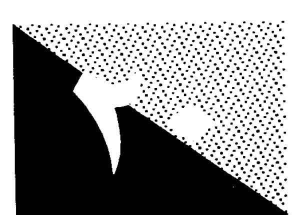
فهذا موضوع يحتاج إلى شرح طويل.

نسأل الله عز وجل أن يوفقنا لطاعته وحسن رضاه.

ونسأله عز وجل أن يُقبل بنا عليه، وأن يجعلنا من عباده الذين يستمعون القول فيتّبعون أحسنه.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.





من العلم المكنون

* ★ أهل التقوى
* ★ عجائب القلوب

كانت هذه الأسئلة والإجابات بقرية المودّة محافظة المنيا مساء يوم الجمعة الموافق ١٩٩٣/٧/٦م

من العلم المكنون

سؤال: نريد أن نعرف شيئاً عن عجائب القلب.

[وكان السائل الأستاذ حسن عبد العظيم من مدينة العـدوة محافظة المنيـا].

هذا هو العلم الذى خصّ الله به أحبابه، وكان منهم سيدى عبد الله القرشى رضى الله عنه وأرضاه، وهو دفين بيت المقدس، وكان من كبار الصالحين، لكنه كان من أهل الجذب، حتى أنه ابتلاه الله بمرض الجذام فى ظاهره، لكنه تزوج من بنت غاية فى الجمال.

فسألوها: كيف تقبلين معاشرة هذا الشيخ على مابه؟.

قالت: ومابه؟.

قالوا: ألا ترين؟.

قالت: لا أرى به شيئاً مما تقولون، وإذا رأيتموه ستقولون ماشاء الله، حياة وصحة كأنه فى الجنة.

وهذه أحوال عجيبة وغريبة!! لأنه معها يصبح فى حال آخر وحلّة أخرى.

وقد قال له إخوانه: نريد أن تحدثنا عن العلم المكنون الذى خصّك الله به.

فقال لهم: كم عدد أحبابى وإخوانى؟.

قالوا: حوالى ستمائة.

قال: اختاروا منهم مائة من أفضلكم. فاختاروا مائة.

فقال: اختاروا من المائة خمسة وعشرين من أفضل المائة. فاختاروهم.

قال: اختاروا من الخمسة والعشرين ستة. فاختاروا ستة، كلهم من أهل الكشف.

فقال رضى الله عنه وأرضاه: لو حدثتكم بما خصنى الله به، لكان أول من يفتى بكفرى هؤلاء الستة. وهذا مصداقاً لقول القائل:

يا رُبَّ جوهر علم لو أبوح به
لقيل أنت ممن يعبد الوثنا

ولاستحلّ رجال مسلمون دمى
يرون أقبح ما يأتونه حسناً

والشيخ أبو اليزيد البسطامي الذى رأى هذه الحقائق، يسألونه عن القلب. قال: اسمعوا وعوا، وإياكم أن تكرروا هذا القول لغيركم لأن هذا خاص بكم. قال: عوالم العرش، وعوالم الكرسى والسموات السبع والأرضين السبع، لو وضعت فى قلب العبد المؤمن، تقع فى زاوية من زواياه. وزواياه ثلاث مائة وستون زاوية.

كل هؤلاء يصبحون فى زاوية صغيرة من ثلاثمائة وستين زاوية!!.

إذن ماهو اتساع هذا القلب؟.

أو ما حاله؟ أو ما ماهيته؟.

هذه غيبيات تحتار فيها العقول، وهذا ليس من علوم العقل. بل من علوم السرّ.

وعلوم السرّ كيف تتأتى؟.

أمِنْ القلوب إلى القلوب شرابى
ومن الفؤاد إلى الفؤاد خطابى

لا تتأتى من علوم اللسان يا إخوانى. لكن إذا أخلص الإنسان مع الله، يعلّمه الله هذه العلوم فى النوم، ويستيقظ من نومه لا يذكر أى شىء، حتى لا يبوح بالسر فى البداية. ثم بعد أن يسير فى طريق القوم، ويتمكن، ويعلم علم اليقين أن السيف مسلط على عنقه، ولو أباح بشىء لغير أهله فسينزل عليه السيف، تأتى له هذه العلوم، وهذه الأسرار، وهذه الأنوار.

مثل الرجل الذى خدم أحد العارفين فترة طويلة، وجاء وقال: يا سيدى أريد منك طلباً بسيطاً مقابل هذه الخدمة.

قال له: ماذا يا بنى؟.

قال: أريد أن تعلمنى اسم الله الأعظم.

قال له: غداً إن شاء الله -وكان فى مصر- تذهب إلى باب الفتوح وتظل هناك من الصباح حتى آخر النهار، وترى ماذا يحدث هناك. وكانت مصر فى هذا الوقت محاطة بسور حول البلد، ولا يخرج ولا يدخل أحد إلاّ من هذه الأبواب التى تعرف إلى الآن.

فذهب وجلس طوال اليوم، وجاء آخر النهار للشيخ.

فقال له: ما الذى لفت نظرك فيما رأيت اليوم؟.

قال: لم يلفت نظرى سوى رجل جمّال معه جمل يحمل حمل حطب، ودخل من الباب فى وقت دخول أحد الأمراء، فضيّق على الأمير حتى سقط من على ظهر فرسه. فأمسك الأمير بسوطه، وظلّ يضرب هذا الرجل حتى تعاطفت معه.

فقال له الشيخ: ماذا كنت تعمل لو كنت مكانه؟.

قال: كنت طرحت هذا الأمير أرضاً، وجلدت به الأرض.

فقال له: أتعرف هذا الحطّاب أو هذا الجمّال؟.

قال: لا.

قال: هذا هو الذى يعرف اسم الله الأعظم. أنت تريد أن تأخذ اسم الله الأعظم، وإذا أذاك أحد تدعو عليه، وهذا لا يجوز، أو جارك أساء إليك إساءة خفيفة تدعو عليه، وهذا لا ينفع. فلا يأخذ اسم الله الأعظم إلاّ أمثال هذا الرجل الذى وصل إلى مقام لا ينتقم فيه لنفسه قط، ولا يغضب إلاّ إذا انتهكت محارم الله عز وجل.

وأيضاً الشيخ إبراهيم بن أدهم الذى كان يعرف اسم الله الأعظم كان قادماً من الصحراء، وكانت المقابر فى أول الصحراء، وهو قادم من طريق المقابر، فقابله عسكرى وسأله: أين العمار؟ فأشار إلى المقابر – وقد نطق بلسان أهل الحقيقة. فلم يتأدب العسكرى، ورفع يده وضربه على رأسه.

فقال له: اضرب رأساً طالما عصى الله عز وجل.

فقال له رجل: ألا تعرفه؟ إنه إبراهيم بن أدهم.

فرجع الرجل مسرعاً يقبّل يديه ورجليه ويقول له: سامحنى يا سيدى – لأنهم كانوا يعرفون مكانة الصالحين، وأن الذى يؤذى الصالحين يتعرض لمقت الله عز وجل، فلحوم الأولياء مسمومة يا إخوانى، حتى أن الذى يؤذيهم بالكلام يأخذ فوراً سمّاً ويموت.

وليس الموت هنا هو الموتة العادية، بل يموت قلبه والعياذ بالله وهذه هى الطامة الكبرى، وهو لا يحسّ بها. فلا يحسّ بحلاوة الإيمان ولا بطاعة الله، ولا بحلاوة القرآن، ولا خشوع، لأن قلبه مات عن مثل هذه المعانى.

فلما قال له: سامحنى يا سيدى.

قال له: والله قبل أن ترفع يدك عنى دعوت الله لك أن يغفر لك.

ولما رأى تعجب الحاضرين من هذا الكلام قال: قلت لا يصحّ أن يكون نصيبه منى الشرّ، فدعوت الله له أن يغفر له، حتى لا أستأثر بالخير دونه.

ما هذه الأحوال؟ وكيف وصلوا إليها؟.

لقد وصلوا إلى هذه الأحوال لأنهم وصلوا إلى قمة التقوى وطبق عليهم قول الله عز وجل:

﴿ وألزمهم كلمة التقوى﴾(1).

وكانوا هم أحق بها وهم أهلها.

ومن أهل التقوى؟.

هو عز وجل - أهل التقوى.

فيكونون هم أهله.

هذه التقوى وصل فيها إبراهيم بن أدهم إلى درجة أنه كان راقداً ذات ليلة تحت صخرة بيت المقدس، فحضر جماعة من الملائكة ودار بينهم الحوار الآتى، وهو سامع لهم:

مَن هـذا؟.

قالوا: إنه إبراهيم بن أدهم.

قالوا: الذى سقط من عين الله.

قالوا: لماذا؟.

قالوا: لأنه أخذ تمرتين من البصرة ليستا له.

حيث كان يشترى تمراً من بائع فى البصرة وبعد وزنه له نزل من عند البائع تمرتين على الوزن فأخذهما وسار - تدبروا كيف وصلوا إلى قمة التقوى؟.

---

(1) سورة الفتح: الآية ٢٦.

فلما أصبح الصباح سافر من هناك إلى البصرة ليستحلّ الرجل ويطلب أن يسامحه، فوجد البائع غير موجود، والذى فى الدكان ابنه.

فقال له: أين يا بنى والدك؟.

قال: إنه مات.

فحكى له ما حدث وطلب منه أن يستحلّه من التمرتين.

فقال له: أنا لا أستطيع، لأن هذا أصبح مال ورثة، فلابد أن يسامحك كل الورثة، حيث أن كل واحد من الورثة له نصيب من التمرتين وتنازل هو عن حقه.

فناشده الله أن يذهب معه إلى بقية الورثة ليستحلهم جميعاً، فلبى طلبه، فلما اطمأن إلى استحلالهم جميعاً رجع إلى بيت المقدس، ونام تحت الصخرة، وأثناء نومه رأى الملائكة ثانية وسمعهم يقولون:

مَن هـذا؟.

قالوا: إبراهيم بن أدهم.

قالوا: هذا الذى ردّه الله إلى حالته.

قالوا: نعم فقد ردّ التمرتين.

سبحان الله! كأنه بسبب تمرتين يسقط من عين الله، وينزل من مكانته!! نعم! هذا هو الحساب الشديد الذى يحاسبون به أنفسهم.

ولذلك رقّاهم الله، وحباهم الله، وصـفّاهم الله، وأدناهم الله عز وجـل. إذ كيف يفتح لهم هذه الأبواب الخفية إلاّ بهذا الأمر يا إخوانى؟.

فإذا فتح لهم هـذه الأبواب يروا هـذه العجائب، والتى منهـا عجائب القلب، والتى يقول فيها الله عز وجل:

«ما وسعتنى سمواتى ولا أرضى، ولكن وسعنى قلب عبدى المؤمن»[2].

فكأن الجمال الذى ظهر فى كل الأرض والسموات من جمال الله، الذى نحن نراه فى الزهور والثمار، والرجال والنساء، والجبال والشمس والنجوم والسماء والماء، كل هذه الجمالات، ومعها الجمالات التى فى الجنة، والتى لا نعرفها، وإن كنا سمعنا عن بعض منها، والجمالات التى في عالم الملكوت، والجمالات التى فى كل هذه العوالم - ما وسعت جمال الله، ولا تفى بكل كمال الله، ولا تكفى لظهور ضياء الله، ولا تبرز كل أنوار الله، لأنها ضيّقة.

إذن ما الذى يكفى لإبراز مظاهر هذه العظمة الإلهية؟.

«قلب عبدى المؤمن».

سبحان الله! إذن قلب العبد المؤمن فيه من جمال الله، وبهاء الله، وضياء الله، وكمال الله أعظم ملايين ملايين المرات من الجمال المنتشر فى عوالم الروحانيات، وعوالم السّفليات، وعوالم الإنس والجن، وعوالم الملائكة.

هذا الجمال ليس جمالاً حسّياً، لكنه جمال معنوى. ولتأخذوا بالكم بعض الشيء منه، قال ﷺ:

«السموات السبع والأرضين السبع بالنسبة للكرسى كحلقة من الحديد ملقاة فى أرض فلاة »[3].

أى فى صحراء واسعة. أى لو وزنت السموات السبع والأراضين السبع، كم يكونوا بالنسبة للكرسى؟.

---

(٢) رواه أحمد فى الزهد.

(٣) أخرجه أبو نعيم فى الحلية والبيهقى فى الأسماء والصفات عن أبى ذر.

يكونون كقطعة من الحديد، والكرسى مثل الصحراء التى ليس لها نهاية. والكرسى بالنسبة للعرش كذرة رمل فى صحراء واسعة.

عوالم واسعة. والعرش: ﴿ **ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية**﴾[٤]. هؤلاء الثمانية يقول فيهم ﷺ:

«ما بين شحمتى أذنيهما كعرض السموات السبع والأراضين السبع»[٥].

هذا ما بين الشحمتين بالوجه فقط، وهو شىء يجلّ عن الوصف ويفوق الغرابة.

ويعود مرة أخرى فيقول هذه السموات والعرش والكرسى والعوالم كلها صفة واحدة من صفات الله، أوسع منها:

﴿ **ورحمتى وسعت كلّ شىء**﴾[٦].

صفة الرحمة فقط وسعت كل شىء، وهى صفة واحدة.

إذن ماذا يكون فى العارف الذى هو متّصف بالصفات الإلهية كلها؟.

ولكى تعرفوا وسعة العارف المعنوية والروحية ومقدارها، والتى يشير إليها الإمام أبو العزائم فى قوله:

وسعة القلب حجة للتدانى
كيف لا والقلوب للرحمن

ننظر إلى عوالم الأسماء والصفات الإلهية التى لا نهاية لها. فإذا كانت صفة واحدة وسعت كل شىء، وهى صفة الرحمة، فأين صفة الحلم؟ وأين صفة الكرم؟ وأين صفة الجود؟ وأين صفة العطاء؟ وأين صفة الوهب؟.

---

(٤) سورة الحاقة: الآية ١٧.
(٥) أخرجه الطبرانى عن أنس وأبو داود والضياء عن جابر.
(٦) سورة الأعراف: الآية ١٥٦.

وهــذه الصفات يتفضــل الله بهــا كلها أو بعضها على العــارفين. فهى فى بطن العــارفين. والبطن ليست هــذه البطن. وإنما تعنى عوالم البطون التى أفاضها عليهم الله عز وجل.

ولذلك أشار على الذى يرغب فى شيء من فضله أو جوده أو كرمه المعنوى والإيمانى، أن هــذا هو الباب، وهــذه هى الخزائن. وذلك فى قوله عز وجل فى الحديث القدسى:

«أنا عند المنكسرة قلوبهم من أجلى»[٧].

أى أن الذى يريد علماً من علمى، فعندهم خزائن علمى. والذى يريد حلماً من حلمى، ففيهم مظاهر حلمى، والذى يريد كرماً من كرمى، فلديهم بحار كرمى. والذى يريد جوداً من جودى الذاتى، فهم خزائن جودى.

فعندهم من خزائن كرم الله، وفضل الله، وجود الله، وعلم الله مالا يسعه حدّ، ولا يعرب عنه لسان، ولا ينطق عنه جنان. وإنما كما قال الإمام علىّ رضى الله عنه وأرضاه:

«إن هاهنا لعلوماً جمة لو أجد لها حملة».

قالوا: أعطنا مثالاً.

قال: «لو فسرت فاتحة الكتاب بما أعلم وأنتم تكتبون ما أقول لوقرتم سبعين بعيراً».

أى يحملون سبعين جملاً كتباً مكتوبة فى تفسير فاتحة الكتاب بالذى هم لا يتحملوه من غوامض العلم.

وأين يوجد هذا العلم؟.

(٧) خرّجه السخاوى فى المقاصد الحسنة والغزالى فى البداية.

قال الإمام علىّ رضى الله عنه: «يحفظونه فى صــدورهم حتى يودعونه فى قلوب أشباههم وأمثالهم».

وأين هذا فى القرآن؟.

﴿ **بل هو آيات بينــات** ﴾[8].

فى المصحف العثمانى.

لا، بل: ﴿ **فى صدور الذين أوتوا العــلم** ﴾[8].

هو آيات واضحة جـداً فى صــدور هؤلاء القوم. آيات بيانيــة ونورانيــة فى صدر الرجل القرآنى (القرآن المتحرك) فإذا حركها فإنه يهزّ بها أعطاف القلوب، ويجعلها تشتاق إلى حضرة علام الغيوب عز وجل. فهو القرآن الذى يتحرك لينشر علوم القرآن، وأسرار القرآن، وأنوار القرآن للراغبين فى كتاب الله عز وجل.

عجائب القلوب

فمن العجائب الموجودة فى القلوب، عوالم الأسماء والصفات وهذه عوالم لا عدّ ولا حصر لها يا إخوانى. ومن العجائب التى فى القلوب، أسرار الحبيب المحبوب، فإن الله عز وجل بحث فى سمواته، وفى أرضه، وفى عوالم ملكه وملكوته عن موضع أمين، وعن مكان دفين يحفظ فيه أسرار غيبية، وأسرار قدسيه الأعلى، فلم يجد إلاّ صدور العارفين، فأتمنهم على أسراره، وجعلهم خزاناً على أنواره، وقال لهم كما قال للأنبياء السابقين والوارثين اللاحقين:

﴿ **هــذا عطاؤنا فامنن أو امسك بغير حساب** ﴾[9].

---

(8) سورة العنكبوت: الآية ٤٩.

(9) سورة ص: الآية ١٥٦.

أى أنتم أحرار فى توزيع العطاء الربانى، والفيض الرحمانى. وهذا بمثابة تفـويض كامل من الله، لأنهم فى هـذه الحالة ليس لهم حظ ولا هـوى، ولا نفس ولا رغبة، ولا شهوة أبداً إلاّ رضا الله، وإلاّ العمل على محاب الله ومراضيه عز وجل.

فلا يفعلون من ذات أنفسهم، وإنما يفعلون ما يعلمون يقيناً أن فيه طاعة الله، ورضـوان الله، وجمال الله وكمال الله عز وجـل. لأنهم لم يعـد لهم فى أنفسهم ولا فى غيرها حظ ولا هوى، بل صاروا كما قال الله عز وجل فى شأنهم:

﴿ **إنا لله وإنا إليه راجعون** ﴾(١٠).

أسرار وأنوار يضيق الحدّ عنها يا إخوانى، نسأل الله عز وجل أن يهذب نفوسنا، وأن يرطب قلوبنا، وأن يصقل ألواح صدورنا حتى تنتقش فيها هذه الحقائق الإيمانية، والأسرار الربانية، ونكون جميعاً لوحاً محفوظاً من الأهواء الدنيوية، والشهوات النفسانية، والنزغات الإبليسية، ونحشر جميعاً فى روض المعية المحمدية، ونكون عيوناً نورانية ينظر بها رب البرية فى قلوب عباده المؤمنين.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. وبارك الله فيكم أجمعين.

قال المنشد مردداً قول الإمام أبى العزائم رضى الله عنه على مجلس الذكر:

ما لتلك الأجسام مالت سكارى
تتغنى بالوجد ليلاً نهاراً
ألعشق وصبوة وغرام
أم جمال الجميل لاح جهاراً

---

(١٠) سورة البقرة: الآية ١٥٦.

أم تراءى المحبـــوب حـال التجـلى
حـــيّر اللـبّ أدهـش الأفـــكـار

أم مـــدام الأفـــراد دارت بـفـضـــل
مـحت الحـجب هتـكت أسـتـاراً

نتـغنى بحـبــه إن صـــفــونا
ونـراه أنـســاً لـنـــا وفـخـــاراً

لا تـلمنـــا إذا صـــفـونا فـإنا
عـنـد ذكــراه قــد خـلـعنـا العــذار

ليس يدرى أحـوالنـا غـــيـر فــرد
نال منـــا القبـــول والاختـيـــار

فقال الشيخ عفا الله عنه:

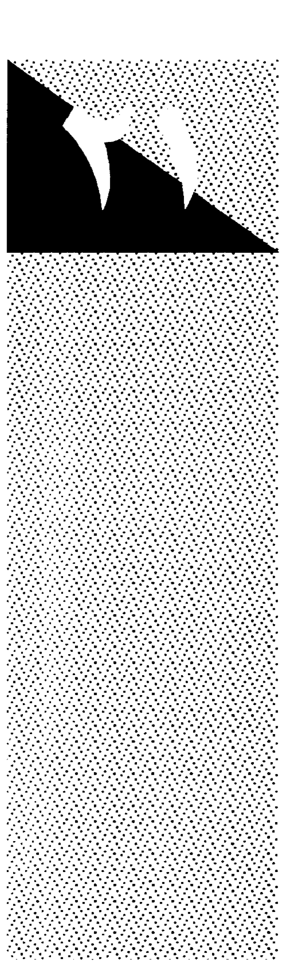
البداية تلاوة الآيات، وبعدها تدخلون إلى قسم تزكية النفوس وبعد هذا يضعون فى صدوركم الكتاب، وبعدها يعلمونكم الحكمة، وبعد هذا العلم الوهبى، وبعد هذا تصلون إلى مقام ﴿ **فاذكرونى أذكركم** ﴾(1).

إذن هـذا المقـام لمن؟.

لمن تعدى هـذه المراحل، وهو الذى وصـل إلى مقـام ﴿**فـاذكـرونى أذكركم**﴾.

نسـأل الله عـز وجل أن يجعلنا من أهل هذا المقـام، وأن يكـملنا بهـذه المقـامات، ويكرمنا بهـذه المنازل والدرجات، وأن يفـتح لنا أبواب الحضـرة المحمدية لننهل من علومها الوهبية، وأسرارها الربانية، مابه تزكو نفوسنا، ومابه تطيب قلوبنا، ومابه تهنى أرواحنا بجمال حضرة إلهنا وخالقنا عز وجل بجاه النبى ﷺ.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.



إستغلال حياء المؤمن

استغلال حياء المؤمن

المؤمن منذ بدايته، لابد أن يتحرى المأكل الحلال. فيتحرى المطبات والمتاهات التى توقعه فى الحرام، فلا يحاول أن يغتصب شيئاً من بائع أو من إنسان، أو يأخذه منه بسيف الحياء، كأن يقول له: أنت لست فى حاجة إلى هذا، أعطنى إياه. لأن أمور الإسلام مبنية على الرضا، وعلى التراضى ولا حرج فيها:

﴿ وما جعل عليكم فى الدين من حرج ﴾[1].

فلا إحراج فى دين الله أبداً، ولا يجب أن تحرج أخاك المسلم وتعرضّه إلى مالا قبل له به، كأن تقول له: لن أخرج من منزلك حتى تطعمنى. فربما لا يكون لديه فى منزله شىء يقدمه، ولو كان عنده شىء فإنه سيأتى به دون أن تحرجه وتعرضه إلى هذا الإحراج. أو تقول له سنحضر أنا وفلان وفلان لطعام الغداء غداً. فلنفرض أنه لا يملك سوى مصروف الشهر بصعوبة، هل تجعله يقترض من أجلك؟.

هذا لا يصح فى الإسلام يا إخوانى، لأن الإسلام رقة ولطف وأدب وحياء، ووفاء وصفاء بين جميع عباد الله عز وجل.

ونظام الإسلام فى كل هذه الأمور أن لا يستغل مؤمن حياء أخيه، ولا يستغل ضعف أخيه، وهذا يحدث حتى فى العمل، فنجد الموظفين يستغلون الموظف المؤدب المؤمن. فيقول أحدهم: يا فلان سأذهب المشوار الفلانى وأنت هنا حتى أعود. والثانى هكذا، ويظل الرجل الكريم الأعطاف من الصباح حتى آخر النهار يعمل لنفسه ولزملائه، وهم يسرحون هنا وهناك.

---

(١) سورة الحج: الآية ٧٨.

وهذا لا يجب فى الإسلام، فلا يجوز أن أستغل طيبة المؤمن ولا صفاء المؤمن، ولا كمال المؤمن، ولا أدب المؤمن بهذه الكيفية.

ومثل هذا أن يقال يا شيخ اقض لى هذه المصلحة. وأنا أعرف أن هذه المصلحة تتكلف عشرون جنيهاً، وأعرف سعرها، ولكن لأن هذا الرجل طيب لا يتكلم أضـع فى يده جنيهين، وأقول له تمام! أظن هـذا يكفى، توكل على الله.

يحدث كل هذا ومثله كثيراً، وكل هذا من أجل أنه رجل طيب، ونسينا أن هذا الذى يقول فيه ربنا:

﴿ إن الله يدافع عن الذين آمنوا ﴾[٢].

هؤلاء الذين سيدافع الله عنهم، إياك أن تحتقر أحـداً منهم أو تظن أنك تضحك عليه، لأنه يرمى حموله على الله. فإذا أردت أن تضحك عليه، فالذى يشغّله، والذى وظّفه، والذى يتولاه لن يسكت ولن يتركك، فهو قادر ومقتدر، وسيأخذ له حقه وأكثر، وإن لم يكن هنا فهناك، لكن حكمته اقتضت أن يؤاخذك هنا قبل هناك، فالذى تسخّره فيه هنا، يجعلك تذهب لمن لا يرحمك، وتدفع مثلاً روشتة بخمسين جنيهاً وكشفاً عشرين جنيهاً، وتدفع ذلك رغماً عنك.

وهكذا، فالذى تأخذه من هذا الرجل الطيب القلب، يسلط الله عليك من لا يرحمك، فيأخذه منك أضعافاً مضاعفة. ورغم هذا فلا تسقط عنك المطالبة.

وهذه يا إخوانى هى المثالب التى ضيعت المجتمع الذى نحن فيه. فالناس يحاولون أن يستغلوا الناس المؤمنين، ويقولون فلان طيّب أضحك عليه، وفلان سافل [illegible] له ألف حساب. بينما الحقيقة أن الذى يجب الخوف منه هو

---

(٢) سورة الحج: الآية ٣٨.

هذا الطيّب، لأن الذى يحميه هو الله عز وجل. أما السافل الذى نخاف من سلاطة لسانه، فالله قادر على ردّه عنى مادام معى الحق.

فالخوف يجب أن يكون من الطيب الذى يلجأ ظهره إلى الله. والحديث الصحيح يقول:

«من خاف الله خوّف الله منه كل شيء، ومن لم يخف الله خوّفه الله من كل شيء»(٣).

فالذى لا يخاف من الله عز وجل، من الأفضل أن لا تشاريه ولا تبايعه. لماذا؟ لأنه ليس لديه مانع أن يهضمك حقك، فالأولى أنك تخاف من التعامل معه. فنحن نخاف من التعامل مع القوم الذين لا يخشون الله عز وجل، لعدم توافر الأمانة عندهم ونحن طيّبون.

وهذه مشكلة المؤمنين الآن، فمثلاً الناس الذين عملوا فى الخارج وأحضروا معهم المال، المشكلة عندهم لمن يعطوه؟ وفى أى مشروع يستثمرونه؟.

فقد تذهب الأموال سُدَى، أو لا يستطيع أحدهم أن يسترد ماله. حتى أن الإخوة أصبح بينهم مشاكل، فقد تجد الأخ من الأب والأم يأكل مال أخيه، وقد سمعت فى هذا الباب واقعة غريبة بين أخوين شقيقين، فقد كان أخوه فى اليمن وأرسل له مبلغاً ليشترى له قيراط أرض مبانى، فاشتراه بألفين من الجنيهات وحاسب أخاه على خمسة آلاف، والذى كشف الأمر صاحبة الأرض، قالت: ألا يوجد إسلام؟ لماذا؟.

قالت: أعطانى ألفين حسب الإتفاق، وطلب منى تحرير العقد بخمسة آلاف. إذن فكم أخذ فى المبانى التى بناها؟ الله أعلم، وهذا أخوه وليس غريباً عنه.

(٣) خرّجه أبو الشيخ ابن حبّان عن واثلة بن سقع رضى الله عنه والديلمى والقضاعى كذلك.

إذن أين الأمان يا إخوانى؟.

إذا الإيمان ضاع فلا أمان
ولا دنيا لمن لم يحيى ديناً

ضاع الإيمان، فأين الأمان الآن؟.

من منا آمن الآن؟.

لا أحد. لماذا؟.

لأن الذمم خربت، والشح ملأ النفوس، وأصبحت القلوب لا تخشى علام الغيوب. فالله نسأل أن ينجّينا من هذه الأوصاف وهذه الأحوال، ولكننا نسير على قول سيدنا رسول الله ﷺ:

«يأتى على الناس زمان القابض فيه على دينه كالقابض على الجمر»[٤].

ليس لنا شأن بالناس، فنحن قابضون على الجمر، ومتمسكون بديننا مهما يحدث، وليس لنا شأن بغيرنا، ولا نقول مثلنا مثل الناس، لأن النبى ﷺ قال:

«لا يكن أحدكم إمّعة، يقول: إن أحسن الناس أحسنت، وإن أساء الناس أسأت، ولكن وطنوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تحسنوا، وإن أساء الناس أن تحسنوا»[٥].

فأنا ليس لى شأن بغيرى، وإنما عليّ بكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، فى كل لحظة من لحظات هذه الحياة، لأننى أعرف أننى مسافر اليوم أو غداً أو بعد غد إلى لقاء الله، ولن ينفع هناك الإنسان إلاّ ما قدمت يداه، وكل ما فعله سيندم عليه ولا ينفع الندم عند لقاء الله، يقول:

---

(٤) أخرجه الترمذى عن أنس.

(٥) أخرجه الترمذى عن حذيفة رضى الله عنه.

﴿ يا حسرتى على ما فرّطت فى جنب الله ﴾[٦].

أو يا ويلتى، أو ياليتنى، ولكن لا ينفعه ذلك أبداً لأن الأمر انتهى.

ومن أجل هذا فالمؤمن حريص على دينه، أكثر من حرصه على الدنيا، لأنه يحذر من التشبه بصفات القوم الذين يقول الله فيهم:

﴿ ولتجدنهم أحرص الناس على حياة ﴾[٧].

وهم اليهود وأمثالهم. لكننا أحرص على الدار الآخرة، وعلى المرجع والمآل، وعلى كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ.

واعلموا علم اليقين أن المتمسك بهذا النهج الكريم لن يضيّعه الله أبداً، ولن يشمّت الله به عدواً، ولن يلجأه الله عز وجل إلى أحد يتحكم فيه أو يتحكم فى مقاليد أموره أو أرزاقه، لأن الله هو الرزّاق ذو القوة المتين، وهو القائل فى حديثه القدسى:

«إذا كنت أرزق من غفل عنى وعصانى، فكيف لا أرزق من أطاعنى ودعانى؟».

فهل يرزق الغافل والكافر والعاصى، ويترك المؤمن التقى؟.

أبداً، لكن يرزقه بحساب. لماذا؟.

حتى لا يغترّ بالدنيا وينسى يوم الحساب. وهذه الدعوة التى دعاها لنا رسول الله ﷺ:

«اللهم ارزق آل محمد كفافاً»[٨].

ما معنى كفافاً؟.

---

(٦) سورة الزمر: الآية٥٦.

(٧) سورة البقرة: الآية ٩٦.

(٨) رواه مسلم من حديث أبى هريرة رضى الله عنه.

أى رزق يوم بيوم. لأنه لو وسّع عليه دنياه، ربما دخل فى قول الله:

﴿ **إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى**﴾(٩).

أى إذا مازادت الدنيا معه، فإنه ينسى العبادة فيقول يوماً:

﴿ **يا حسرتى على ما فرّطت فى جنب الله** ﴾(٦).

أى أنا لا ينفعنى هذا الكلام كله!.

فيجمعه كله، ويتركه كله، وسيحاسب عليه كله، ولا ينفعه فى الدنيا ولا فى الآخرة. وهذه هى المصيبة.

فالذى يجمع المال تجده شحيحاً على نفسه، وبينما هو فى وسط الجمع، إذا بالله يقول له: تعالى، فيقول: اتركنى أتمتع ببعض ما جمعت. يقول له: لا، لن تتمتع به هنا أو هناك.

فالأطباء المشهورون ليس عند أحدهم وقت يرى فيه أولاده إلاّ يوماً فى الأسبوع مرة، ففى الصباح من المستشفى للجامعة للعيادة، يرجع الساعة الثانية عشر ليلاً، ومعه شنطة فيها خمس عشرة أو عشرون ألف، أين أولاده؟ نائمون. وهو يستيقظ مبكراً قبل أن يستيقظوا، متى يراهم؟ بعض الوقت يوم الجمعة، أين يأكل؟ يحضر له الممرض سندوتش لأنه ليس عنده وقت يذهب فيه إلى المنزل.

لكن المال يظل يجمع فيه، وفى لحظة يقال له: تعالى.

أين المال؟.

فلا ينتفع به هنا أو هناك، وسيحاسب عليه كله.

من أين جمعه؟.

---

(٩) سورة العلق: الآيتان ٦، ٧.

من حـلال، أو من حـرام، مع أنه لم ينتفع بقرش واحـد منـه. وهـــذا يا إخوانى غضب من الله عز وجل على مثل هؤلاء. فهو لو أدرك الأمر يقول لماذا لا أجعل لى لهذه الساعة مريضاً أو مريضين يومياً لوجه الله؟ فلو كان عشرون كشفاً، اجعل منهم فقيرين لوجه الله. ولا مانع أن يقول لأحدهم خذ احضر علاجك.

لكن مَن مِن هؤلاء يدرك هذا الأمر؟.

واحد فى المليون! والباقى لا يفعل، ولذلك مع كل هذا يتحسّر عليه كله، لكننا لا نراه وهو يتحسر لأنه فى العالم الآخر –فى عالم البرزخ– ونحن لا ندرى، فيترك ماله كله، ولا ينتفع بهذا ولا بهذا، وكان مسكيناً يحضر آخر اليوم منهكاً، عنده الڤيديو– وقد يكون أكثر من ڤيديو، لكن ليس لديه وقت يرى الڤيديو، وعنده تليفزيون... لا يراه.

وقد يأتى آخر اليوم ويرتمى فى أى مكان من الإجهاد، ولا يعلم أنظيف هـذا المخدع أم لا؟ وهو مسخّر كلية لجمع المال، وينهى مهمته ثم يذهب إلى الله. لم ينتفع به فى الدنيا ولا فى الآخرة. وقد لا يعلم أن هذا المال عليه زكاة ليخرجها، حتى يزيد عليه العذاب يوم الحساب.

لكن المؤمن الذى يحبه الله عز وجل، يقول له: كن كذلك يوماً بيوم على قدرك حتى لا تتعب، وتحاسب نفسك بسهولة ويسر فنعطيك على قدر ماتريد، فإذا أردت كثيراً سنزيدهم على قدر طلبك، ولكن إذا زادوا ستنشغل بهم عن الله، فيقول لك: إنى أحبك، ولا أريد أن أشغلك عنى، أريد أن أراك هكذا تقف أمامى تناجينى وأسمع كلامك، وإذا غبت عنى بعض الشىء أقول: أين فلان؟ إنى أحب أن أسمع صوته؟.

أما الآخـر إذا تذكّر يوماً وجاء ليصـلى، فيقول: ابعـدوه فإنى لا أحب أن أسمع صوته، واشغلوه بأى شىء عنى حتى لا أسمع صوته.

لكنه يريد أن يسمع صوتك دائماً فيعطيك على قدرك، ثم قال لك لا تيأس: «**إذا أصبحت معافاً فى بدنك، عندك قوت يومك، آمناً فى سربك** (يعنى فى بيتك) **فقد حيزت لك الدنيا بحذافيرها**»[١٠].

ماذا تريد بعد هذا؟.

فقد أصبحت وجسمك صحيح، وعندك أكل يومك، وآمناً فى بيتك. فلا يوجد بينك وبين أحد خلاف، فماذا تريد من الدنيا؟.

فهذا فضل الله علينا يا إخوانى والحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله.

نسأل الله عز وجل أن يجمّلنا بالتقوى، وأن يزيّننا بالعلم، وأن يكمّلنا بالحلم، وأن يوفقنا لما يحبه ويرضاه، وأن يجعل رزقنا حلالاً مباركاً لنا فيه، وأن يجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم أجمعين.

انتهى بحمد الله تعالى (الجزء الأول) من كتاب

«نفحات من نور القرآن»

ويليه (الجزء الثانى) إن شاء الله تعالى

---

(١٠) رواه الترمذى وابن ماجه من حديث عبيد الله بن محصن.

كتب للمؤلف

(أ) من أعـلام الصوفيـة المعاصرين:

١ – الإمام أبو العزائم المجـدد الصوفى

دار الإيمان والحيـاة

٢ – الشيخ محمد على سلامة سيرة وسريرة

دار الإيمان والحيـاة

(ب) الإيمان والحيـاة:

١ – زاد الحاج والمعتمر

دار الإيمان والحيـاة

٢ – نفحات من نور القرآن (الجزء الأول)

دار الإيمان والحيـاة

٣ – مائدة المسلم بين الدين والعلم

دار الإيمان والحيـاة

تحت الطبع للمؤلف:

٤ – طريق الصديقين إلى رضوان رب العالمين

دار الإيمان والحيـاة

٥ – نفحات من نور القرآن (الجزء الثانى)

دار الإيمان والحيـاة

من مطبوعات دار الإيمان والحياة

١ – فى الفتاوى والأحكام:

المجموعة الكاملة لمؤلفات العارف بالله الشيخ محمد على سلامة:

١ – مصابيح على طزيق الإيمان «ثلاث أجزاء».
٢ – من منابع الدين الحنيف.
٣ – حكمة الحج وأحكامه.
٤ – الصوم عبادة ومجاهدة.

٢ – فى العقيـدة الإسلامية:

١ ـ التوحيد فى القرآن والسنة.
٢ – علامات وقوع الساعة.
٣ – حوار حول غوامض الجن.
٤ – مواقف بعض الأنبياء والرسل فى القرآن الكريم.
٥ – أيام الله.
٦ – شعب الإيمان.
٧ – الإسراء معجزة خالدة.

٣ – فى الأسرة المسلمة:

٨ – توجيهات فى بناء الأسرة.
٩ – حقوق الإنسان فى الإسلام.
١٠ – قبس من معانى سورة النور.
١١ – خواطر إيمانية حول تنظيم الأسرة والمشكلة السكانية.

٤- فى الدعوة الإسلامية:

١٢- الإنسان الوسط.

١٣- كيف يدعو الإسلام الناس إلى الله.

٥- فى التصوف الإسلامى:

١٤- الإمام أبو العزائم كما قدم نفسه للمسلمين.

١٥- أنوار التحقيق فى وصول أهل الطريق.

١٦- عبادة المؤمن اليومية.

١٧- شرح الفتوحات الربانية فى الصلوات على خير البرية «للإمام أبى العزائم».

١٨- قطرات من بحار المعرفة.

١٩- الجواب الشافى على أسئلة الحكيم الترمذى فى كتابه: «ختم الأولياء».

٢٠- ندوة عن التصوف.

٢١- بريد إلى القلوب «جزءان».

٦- فى الحديث الشريف:

٢٢- من هدى النبوة «جزءان».

تطلب مطبوعات الدار
من الاماكن التالية

١ – **الزقازيق** : حي السلام ش عمرو بن العاص – مسجد جمعية الدعوة إلى الله .

٢ – **ديرب نجم**: جمعية الدعوة إلى الله – خلف المدرسة الثانوية للبنات.

٣ – **الجميزة / غربية** : دار الصفا .

٤ – **بنها** : جمعية الدعوة إلى الله – المنشية – ٧ ش شريف باشا متفرع من ش وهبة .

٥ – **محافظة المنيا – مغاغة** : جمعية آل العزائم « مسجد آل العزائم »

٦ – **محافظة قنا–العديسات قبلى – نجع علوان**:جمعية الدعوة الى الله

٧ – **محافظة الإسماعيلية – سرابيوم – عزبة القراقرة**
مهندس / عبد العزيز عبد السلام

٨ – **الدراسة** : دار جوامع الكلم

٩ – **مكتبات القاهرة** .

الناشر : **دار الإيمان والحياة للطباعة والنشر**
٧٤ شارع ١٠٥ حدائق المعادى
تليفون ٣٥٠٩١٤٠

الفهرست

رقم الايداع
٩٤/٨٥٤١
I. S. B. N.
977 - 00 - 7555 - 8